



جَامِعَةُ صَفَاةِ
كُلِّيَّةِ الْآدَابِ وَالْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِصَفَاةِ
قِسْمِ الْعَرَبِيَّةِ

"تكرار القصص في القرآن:

قصة إبليس أنموذجاً "

إعداد

فتحي السعدي

تصديـر

لَيْسَ التَّكْرَارُ تَكْرِيرًا لِلْمَكْرُورِ، إِنَّمَا هُوَ عَوْدَةٌ فَارِقَةٌ لِلْفُرُوقِ.

عبد العزيز العيادي: "أثيقًا الموت والسعادة"

دار صامد للنشر، صفاقس- تونس، ص 148.

الإهداء

قضاءً لبعضِ الدّينِ أهدي هذا العمل

إلى رجلٍ تجاعيدُ كَفِّهِ تحكي تاريخَ أجدادي.

إلى أنثى أرضعتني حتى اشتدَّ لي عظامي.

إليها حين تورقُ الرّؤيا لأني ما تعلّمتُ الجُود: هالة بن نورة، شيمة جود ووُجود.

إلى الذين أنفوا الذلَّ في أوطانهم ففدوه بالدمِّ العَالي المطهّر.

الشكر

يقتضي واجبُ العرفانِ بالجميلِ أن أتوجّهَ بأحرّ عباراتِ الشكرِ تعبيراً عن خالصِ تقديري وامتناني

للأستاذ: مُحَمَّد بن عيَّاد

لتفضّله بالإشرافِ على هذا البحثِ من أوله إلى آخره، ولما أسداهُ إليّ من مُحكم التوجيه، ولما قدّمهُ لي من نصائحٍ منهجيّةٍ وتفصيلٍ معرفيّةٍ، ولما أمدّني به من بعضِ مؤلّفاته في مجالِ السردياتِ قبلَ إنجازِ هذا البحثِ، ولما أفادني به من دقّيقِ الملاحظاتِ التي فيها علمٌ غزيرٌ ونُصحٌ كثيرٌ لإخراجِ هذا العملِ على ما هو عليه. ستظلّ شفّائي تُؤمّنُ بنُصحِكَ الموفّورِ وتشجيعِكَ المشكورِ.

المُقدِّمة العامَّة

إنَّ تقنية التَّكرار في القرآن الكريم ليست وابلَ ظلَّ، إنما هي ظلُّ وابلٌ إذ تحنَّلت من القرآن ربعه تقريباً. والتَّكرار الذي نحن منه بسبيل هو التَّكرار القصصي في الخطاب القرآني. فلم تُغفل الدِّراسات الحافلة بالفنِّ القصصي في القرآن، الحديث عن فنِّية التَّكرار القصصي، بيد أنَّها أشارت إليه إشارة عابرة، حتَّى أنَّه لم ينل حظَّه من الدِّرس والتحليل قدر تواتره في القرآن. وإذا ما تطرَّقت هذه الدِّراسات إلى ظاهرة تواتر القصة القرآنيَّة في أكثر من سورة فهي تقصر همَّتها على مقاصد الخطاب القرآني دون أن تأبه للنسيج المعماري الفنِّي الذي كوَّن قصة من طينة خاصَّة، فالقصة القرآنيَّة المكرَّرة مختلفة عن القصة النثرية المألوفة. فلنأخذ عهد في المدونة السردية العربيَّة القديمة والحديثة نصًّا يتضمَّن قصصاً معاودة، إنَّما جملة ما نعرث عليه، نصوص تتضمَّن قصصاً من غير طينة القصة الأصليَّة.

لهذا نعتبر هذا التَّميِّز علامة تخلع على القصة القرآنيَّة المكرَّرة وشاحاً خاصاً وتمنحها بعداً مخصوصاً، وهذا ما ليس للقصة النثرية المألوفة منه شيء. ولما كان لكلِّ شيء إذا ما تمَّ نقصان، فإنَّ الدِّراسات التي تناولت التَّكرار القصصي في القرآن أبقت على جملة من الثُّغرات وهذا ما وُلد لدينا الرِّغبة في استكمال ما لم تتناوله بقيَّة الدِّراسات وحثُّنا على النية في الإضافة العلميَّة المرجوة علنا نسهم قدر ما استطعنا في إخراج ظاهرة التَّكرار القصصي في الخطاب القرآني من الدِّيجور إلى النور. ومثلما يدلُّ على ذلك عنوان البحث "التَّكرار القصصي في القرآن: قصة إبليس أنموذجاً" فقد ارتأينا أن يكون مسار عملنا، البحث في تفاعل تقنية التَّكرار القصصي بين دلالة التَّحالف ودلالة التَّخالف في قصة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني وما تحمله هذه القصة التَّكرارية من وظائف متنوِّعة.

والحقُّ أنَّ "التَّكرار" بما هو المصطلح الرِّئيس في هذا البحث قد ذاع صيته وغداً بذلك محلَّ دراسة تتوخَّاه بعض الدِّراسات النقدية الحديثة. فنحن نعرف تكرار اللأزمة وتكرار السَّجع وتكرار الأزواج وتكرار العبارة وتكرار القصة إلى غير ذلك من ضروب هذه المركِّبات الإضافية التي ينبغي أن تُدرس مقرونة لا مفروقة حتى لا يُضيرها ضيم ولا يلحقها غبن. ولفظة التَّكرار هي من مادة (ك، ر، ر) فقد ورد في لسان العرب لجمال الدِّين بن منظور: "إنَّ الكَرَّ مصدر كَرَّ عليه كَرًّا ومنه التَّكرار كتكرار للكلمة أو للقصة أكثر من مرَّة لمعان متعدِّدة".¹ ومن شأن هذه المعاني النَّاتجة عن تقنية التَّكرار أن تؤكِّد أنَّ التَّكرار القصصي في الخطاب القرآني لا يقيِّم بكونه ضرباً من ضروب الإملال وإنَّما يقيِّم بوصفه ضرباً من ضروب المتعة السَّمعية وتحقيق الفائدة العلميَّة.

¹ المجلد الخامس تحقيق عبد الله علي الكبير-محمَّد احمد حسب الله-هاشم محمَّد الشاذلي طبعة جديدة دار المعارف:القاهرة ص 3951

فلا محيصَ من أن نلاحظَ أنّ تقنيّة التكرارِ في القصةِ الإِبليسيّةِ المُكرّرة حملت هذه القصةَ رؤياً انحنى لها اللسانُ والوجدانُ لما فيها من إسداءِ التّصحيحِ وتّدوينِ الوصايا. ومن هذا الموقعِ ليست هذه القصةُ مُتعة حكي يُبتَغى بها لتسليّةِ النّفوسِ. وإن راقّت وراعت، لم تُكنْ لئسْنَهوى بخُلبٍ من ضُرُوبِ المُحالِ ولا بِقُلبٍ من ألوانِ التّرحالِ.

فلا يخفى أنّ خطاباتِ إبليس التي يُزاوِجُ ويُمازِجُ فيها بين الفكرِ والحسِّ، هي صوتِ فكرٍ أعياءهُ طُولُ النَّظرِ في آلِ آدمٍ وهُم بين خُروجٍ وخُروجٍ. من بطنِ الأمِ إلى بطنِ الأرضِ، من رحمِ السّراءِ إلى القبرِ، من موتٍ إلى جزاءٍ. هو نُزُولٌ في الوُجُودِ يتلوهُ الرّحيلُ، رحيلِ بلا عودٍ إلى يومٍ يُبعثون، وفي ثنايا ذلك ضائعون، ضياعِ مردّةٍ غيابِ الدّليلِ. وما التكرارُ الذي انبنت عليه قصةُ إبليس، إلّا لغرضِ أقصى هو منجّاتنا والسلامة.

لهذا لا نرى بُداً من أن ننظرَ في وظائفِ التكرارِ القصصي في الخطابِ القرآني بشئى ألوانِ الإلفِ والخُلفِ، واستجلاءِ نقاطِ الائتلافِ والاختلافِ في القصةِ القرآنيةِ المُكرّرة مثلما تنطوي على ذلك قصةُ إبليس مثلاً.

أفلا نجد في ائتلافِ القصصِ القرآنيةِ المُكرّرة دلالة؟

ألا يـكـون في اختلافها معانٍ ودلالات؟

وليكون طرحنا لمثل هذه التّساؤلاتِ أكثرَ وَجَاهةً، نذكرُ أنّ للقصةِ المُكرّرة قواعدَها وضوابطَها من قبيلِ نظامِ السّردِ وتركيبِ الحكايةِ وحتّى اللّغة ذاتها إذا ما تعاملنا معها من النّاحيةِ القصصيةِ، فلا الائتلافِ هنا شكلي فحسب ولا الاختلافِ في مثل هذا الموضوعِ مظهري فقط، إنّما هما وجهان لقصةٍ واحدةٍ هي القصةُ القرآنيةِ المُكرّرة.

وبناء على ما تقدّم، تراءى لنا أن نخضع عملنا لعمليةِ انتقائيةٍ وفق ما تقتضيه طبيعة بحثنا. فاجتمعت لنا أربعة فصولٍ إذا ما استثنينا فصلَ المِهَادِ الاصطلاحي الذي نُعدّه عتبةً مدخّلةً للشّروعِ في البحثِ. ومن ثمة يستمدّ بحثنا نسقَهُ من فصلٍ أوّلٍ وهو، تقنياتِ القصةِ القرآنيةِ المُكرّرة. ويتضمّن هذا الفصلُ عنصرين. فقد أردنا أن ننظرَ في القصةِ التّكراريةِ في الخطابِ القرآني من جهةِ الخبرِ ثمّ من جهةِ الخطابِ.

ولما كان من مُقتضى الحالِ أنّ السّبيلَ إلى تفكيكِ اللّغزِ الخِطّابي هو إرجاعُ المَقاصدِ الكلاميةِ إلى أصولها الوظيفيةِ فإننا سنُخصّصُ الفصلَ الثّاني للبحثِ في وظائفِ التّكرارِ في قصةِ إبليس التي تراوحت بين أحاديةِ الحدثِ واختلافِ الرّوايةِ. فتفرّغ هذا الفصلُ إلى الوظيفةِ التّنبهيةِ فالتأثيريةِ فالحجاجيةِ.

ثمّ رأينا من الجدوى أن تناولَ بالتّحليلِ شخصيةِ إبليس وهيمنةِ حضورها في القصةِ، لنرصدَ بعد ذلكِ كيفيّةَ تحوّلِ شخصيةِ إبليس من التّبعيةِ لآدمٍ وحواءٍ إلى الاقتدارِ عليهما. نقصدُ أنّ إبليس خسر مكانه

في الجنة ومكانته فيها لأنه تمرّد على خالقه على عكس آدم وحواء. وهنا كان إبليس في وضعية تبعية. ثم أسعفته وسوسته إلى أن أخرجهما من الجنة. ومن هذا الموقع يكون قد مارس عليهما سلطته.

وضمن هذا السياق فطن آدم وزوجه بهزيمتهما وما عليهما إلا أن يتحملا المسؤولية التي أخلاها لهما الشيطان. لذلك من البديهي أن يكون العنصر الختامي لهذا الفصل هو إعلان الهزيمة وإخلاء المسؤولية أي لكل امرئ شأن يُغنيه.

ومما لاشك فيه أنه لا يخفى على نظر المتفحص في القصة الإبلية المكررة في الخطاب القرآني، أن التكرار فيها يتخالف مداً ويتخالف جزراً. لذلك قرّر قرارنا أن يكون الفصل الثالث في دلالة الانتلاف في تكرر قصة إبليس وفيه نتعرض إلى مستوى اللفظ فمستوى الجمل فمستوى السياق. ولما كان لكل مطاف ختام، فإن المطاف ينتهي بنا عند الفصل الرابع الذي حطت رواجه عند دلالة الاختلاف على مستوى اللفظ، ثم على مستوى الجملة وأخيراً على مستوى السياق.

ذاك هو مسار العمل في مفاصله الكبرى مرتبة على النحو الذي سيكون عليه مدار عملنا. وحرصاً منا على اكتمال المنهجية، حرصنا على أن نتصدّر كلّ فصل من الفصول التي ذكرنا شرحاً للمفاهيم التقنية قبل تناولها بالدرس والتحليل، تليه مقدّمة فيها نطرح ما نعتزم القيام به. وسيكون لكل فصل من فصول هذا العمل خاتمة مخصوصة هي إيجاز لما انطوى عليه كلّ فصل وهي حصيلة ما انتهينا إليه من نتائج أسلم إليها التحليل.

وخليق بنا أن نشير إلى أن منطلقنا البحثي لا مكان فيه للأحكام القسرية، فجلّ ما نورده من استنتاجات و أحكام هو ما تسمح به مدونة بحثنا. ولهذا سنعمد في بعض مواطن البحث إلى استخراج مضبوط ودقيق لهذه المدونة التي عليها مدار العمل.

ولما كانت كلّ البحوث تأتلف في شيء واحد وهو الصعوبات التي تعترض سبيل الباحث، فإن بحثنا كبقية المباحث لم يخل من صعوبات. فهناك صعوبة محتملة تتعلق بمدى استجابة النص القرآني للدراسة المنهجية الحديثة؟ وهل يكون النص الإعجازي قابلاً للإجراء المنهجي أم هل هو يفيض عنها كلها؟ ناهيك أن القصة التي عليها مدار البحث (وهي قصة إبليس في الخطاب القرآني) هي قصة مستخرجة من نصّ مقدّس. فهل بمستطاعنا أن نخضعها لمقتضى الحبكة والعقدة بالمفهوم السرد في علم السرديات؟ فالقرآن قد يتأبى على الامتثال لهذا الرابط بوصفه نصّاً متعالياً.

ثم إن دراسة السياقات التاريخية للقصص القرآنية قد لا نفع فيها على المصادر الأصلية التاريخية الصحيحة، إنما قد نفع تحت طائلة إسرائيليات قد تكون محرّفة للنص القرآني. وقد استقرت مدونتنا في نهاية المطاف بعد جرد دقيق لأبرز القصص القرآنية المتواترة على ثلاث عشرة سورة وعلى زهاء سبعين آية.

ولا نزع أن فهمنا لتكرار القصص في الخطاب القرآني سيبقى بنويًا. فقد تجاوزنا ذلك معتبرين فهم الموقع تلفظيا وتداوليا يهَيء لنا سبل الاستفادة من كل المناهج النقدية ذات الصلة بالدلالة كالمناهج التأويلية مثلا. لذلك اتسع بحثنا للتأويل بين الفينة والأخرى. وبذكرنا للمبررات والغايات والمنهج والصعوبات التي اعترضت سبيلنا ونحن نتحسس طريق البحث في "تكرار القصص في القرآن: قصة إبليس أنموذجا" نكون قد سورنا بحثنا آملين أن تقر العين وتطمئن النفس .

المهاد الاصطلاحي

القصة: تتكوّن من مادّة (ق، ص، ص) تُجمع على قصص. والقصة هي الخبر المقصوص. والقصص بكسر الفاف هي جمع القصة التي تُكتب. ونقول تقصص فلان الكلام أي حفظه. وتقصص الخبر بمعنى تتبّعه. واقتصت الحديث بمعنى رويته على وجهه. نلاحظ إذن أنّ فعل القصّ والاقتصاص يفترض الإتيان والمحافظة. فعلى القاصّ الذي يأتي بالقصة أن يتبّع معانيها وألفاظها.

ونقول قصّ يقصّ قصاً وقصصاً وتقصصاً أي تتبّع الأثر. وتتبع الأثر هنا بمعنى تتبّع أثر الخبر الذي نقصه على السامع. ففوق الحادثة يسبق حصول القصة التي تُروى أو تُحكى، ممّا يعني أنّ فعل القصّ يخلّد حصول الحادثة. والقصة أيضاً تعني فعل التّقصيص وهو التّجسيص². بمعنى البناء أو البنية أو "البينونة" على حدّ عبارة "أبي حيّان التّوحيدي" فللقصة بناؤها الداخلي المحكم من ذلك الحبكة القصصية والسرد الخطّي للأحداث أو السرد غير الخطّي، بغضّ النظر عن أنماط الكتابة السردية والأركان السردية القصصية ومنها الشّخصيات وما بينها من علاقات إضافة إلى الزّمان والمكان.

وإذا نظرنا في القصة من زاوية فنيّة، نجدها لونا من ألوان الأدب القصصي، المتعة فيها ناجمة عن المقومات الفنيّة والحبكة القصصية التي تتصلّ اتّصالاً وثيقاً بحياة الإنسان وتُحيي الشّخوص بطبائع وانفعالات يثيرها منطق الحادثة. والقصة بذلك تحمل فعل القصّ الرّوائي وتحتضن القصص. وللقصة موضوعات جمّة منها التّاريخي والاجتماعي والنّفسي والديني، والقصة الدينيّة كما هو شأن قصة إبليس التي كثيراً ما تكرّرت في الخطاب القرآني متّخذة بذلك النّسيج القصصي سبيلاً.

ولعلّ قصة إبليس المتواترة في القرآن، تُعدّ قصة متميّزة في هذا السّياق لانطوائها على خصائص كثيرة إذ فيها رصد لدقائق النّفس وانفعالاتها وطبائعها ورسم لدواخل النّفس والتّصرفات السلوكية: (حركة وإشارة وكلمة) . فلا محيص من أن نلاحظ أنّ هذا التّصوير القصصي المبطن والمعتمّد يصوّر شخصيات نكاد نلمسها أو نراها.³

واغناء لما سبق ذكره فإنّ القصة كذلك تعين لأحداث حقيقيّة أو هي من صنّع الخيال (L'imaginaire) وهذه الأحداث تكون شفووية أو مكتوبة. ولم تشهد القصة تطوّراً (Evolution) من جهة الفعل القصصي. وحسبنا أنّ الفعل القصصي ظلّ تلاوة حوادث قصصية تُطوّر بعض القيم المخصوصة التي تُحدّد النّمط التعليمي (Le manière didactique) المعروف بواسطة شخص يعرض أحداثاً تراجمية لا تُمثّل مشهداً بل إنّها أثر أدبي مسرّد يسرّد لنا وقائع وقعت حقيقة - (كواقعة آدم وإبليس لمّا وسوس الثّاني للأول وأغراه فخرس مكانه ومكانته) - أو هي من محض الخيال.⁴

² جمال الدين بن منظور، لسان العرب المجلّد الخامس طبعة جديدة محقّقة ومشكولة: دار المعارف: القاهرة ص ص 3651+3652

³ أميل بديع يعقوب وميشال عاصي ، المعجم المفصل في اللّغة و الأداب: المجلّد الثاني، دار العلم للملايين-لبنان ص 97

⁴ انظر ألان ربي الذي يقول:

وُشير كذلك إلى أنّ القصة هي علاقة الشفوي بالمكتوب، تسرد الوقائع الحقيقية أو التي ابتدعها الخيال. فهي عرض (Exposé) أو تسريد (Narration) أو حكي (Raconter) فالقاصّ في القصة يسرّد لنا مغامرات أو مغامراته⁵. (Ses aventures) من المهمّ منهجياً وعلمياً أن ننظر في ماهية الحكاية و ماهية الرواية، قصد تبيين الفرق بين مفهوم القصة ومفهومي الحكاية والرواية.

الحكاية هي لون من ألوان القصص تعتمد السرد والتشويق والإمتاع والإفادة. وهي قد تضرب في أرض الخيال والمغامرات وتتخذ أبطالها من الإنس والجنّ وتنسج أحداثها من خيوط الخارق واللامعقول. كما قد تقتحم غمار الواقع المعيش وتروي أحداثاً من صميم الحياة وتعتمد أساساً على رواية يروي ويصف. ومن هنا تشترك الحكاية مع الرواية والقصة في المناخ العام وفي الاعتماد على عناصر مشتركة فيما بينها. بيد أنّها لا تلتزم المأثور في التقنية القصصية وإبداعاتها، بله اعتماداً على سجيّة الراوي وطرائقه في السرد والتشويق والوصف والإمتاع. ومن ثمة يمكن القول بشأن الحكاية أنّها أقرب إلى الأدب الشعبي منها إلى الأدب الفني وهي إلى التسلية والتفكهة أقرب منها إلى التحليل ورسم النماذج الإنسانية والأبعاد الاجتماعية، كما هو الشأن في الرواية والقصة والأقصوصة.⁶

وبهذا التعريف نكون قد نظرنا إلى مفهوم الحكاية في الأدب. أمّا مفهوم الحكاية في النحو فهي إيراد اللفظ أو التعبير على حسب ما ورد عن صاحبه، سواء كان ذلك عن طريق الكلام أم الكتابة أم القراءة. فيحكي على لفظه ويكون إعرابه محلاً نحو قولك: من محمد؟ ، من قال لك رأيتُ محمدًا؟⁷ وإضافة إلى هذا كلّ فإن الحكاية أيضاً هي قصة تقريرية أو لنقل هي قصّة طرفية (Anecdote) تتعلّق ببعض المغامرات (Les aventures). وتجدر الإشارة إلى أنّ الحكاية المؤلفة من صفحات ثلاث لا يمكن أن تُطلق عليها كلمة رواية بأي حال من الأحوال بينما الرواية بكلّ ما تحملها اللفظة من دقّة هي حكاية طويلة بما فيه الكفاية (Sufisament). والقصة لا تُستخلص من عمق الحكاية أو الرواية. وفي

Le récit désigne la narration d'évènement réel ou imaginaire de vive voix ou par écrit le mot n'a pas suivi l'évolution de sens du verbe. Ce dernier ayant déjà récitation comme non d'action récit à développé quelque valeurs spécialisées désignant de manière didactique l'exposé par un personnage de tragédie d'évènement non représentés sur scène , une ouvre littéraire narrative relatant des fais réels ou imaginaires.

Le robert : Dictionnaire historique de la langue française. منشورات Paris 1992 ص 3113

⁵ انظر كريستين إيهام و ماري هيلان تورنادر الذان أوردا ما يلي:

Le récit est une relation orale ou écrit de faits vrais ou imaginaires exposé ,narration raconter. Il nous a fait le récit de ses aventures.

Le robert d'aujourd'hui منشورات Montréal Canada ص 1198

⁶المعجم المفصل في اللغة والأدب، المجلد الأول، ص 583 – 584.

⁷ المرجع نفسه ص 584.

المُحادثة (La conversation) التي تأتي بعد سماع القصة يمكن القول بشأنها أنها حكاية أو خرافة (Une fable). ومن الخطأ الشائع أن نطلق على القصة لفظة الرواية. ونجدد بالذكر أنّ المغامرات المحكيّة هي من نوع الخارق والعجيب (Extraordinaire) ومع ذلك يُمكن أن تحمل جانب من الحقيقة.⁸ فما الرواية؟ الرواية (Le roman) هي وسيلة مهمّة لنقل التراث، وقد أدت قضية النحل في الأخبار إلى إتجاهات السياسة المتضاربة. وللرواية صلة متينة بالقصة، فهي القصة الطويلة المكتوبة نثراً. وقد بُدئ بالكتابة بها منذ القرن السادس عشر في بريطانيا. أما الرواية الحديثة فيرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر. وتُعرّف الرواية بكونها سرد قصصي نثري طويل يُصوّر شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأفعال والأحداث والمشاهد لذلك يُمكن اعتبار "ألف ليلة وليلة" من جملة الروايات العربيّة القديمة. وتُعدّ رواية "زينب" لـ: "محمد حسين هيكل" أول رواية عربيّة. فما التكرار؟ وما أخصّ خصائصه؟

التكرار (La récurrence) يتكوّن من مادّة (ك، ر، ر) والكرّ مصدر كرّ عليه يكرّ كرّاً وتكراراً، بمعنى رجوع. فالتكرار بهذا المعنى هو حركة الرجوع إلى الشيء مرّات عدّة فيتوارد الشيء المذكور في مواضع عديدة. ويُقال كرّرت عليه الحديث أي رددته عليه. والكرّة هي تجديد الخلق بعد الفناء. وهذا عين ما ينطبق على القصة المكرّرة. فبعد انتهائها تقف الحكاية ومعها يضمحلّ الزمان والمكان والشخصيات. وتتكرّر حكايتها من جديد فلا يكون الفناء بل يكون الخلق. لذلك قيل التكرار "تجدد الخلق بعد الفناء". ونقول شيئاً مكرراً: أي شيئاً تمّ ترديده أكثر من مرّة، لذلك يمكن أن نقول القصة القرآنية المكرّرة أو القصة القرآنية المكرّرة. والكررة أيضاً تعني التّرديد، فيمكن أن نطلق على ترديد القصص في الخطاب القرآني كركرة القصص. وقدما ألحّ على إعرابي بالسؤال فقال: "لا تكررني، أي لا تردّدوا عليّ السؤال".⁹

والتكرار عموماً هو تكرار كلمة أو جملة أكثر من مرّة لمعانٍ متعدّدة كالتوكيد والتّهويل وغيرهما. والتكرير أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لما غلط¹⁰. والتكرار له من الأضرب اثنان. فأما الضرب الأوّل فهو تكرار اللفظ دون المعنى. وهو ما تكرر فيه اللفظ دون اختلاف في المعنى. وأما

⁸ انظر "بول إميل ليتري الذي يُعرّف الحكاية بقوله:

Le conte c'est un récit rapport et particulièrement récit de quelque anecdote de quelque aventure. Un conte de trois pages ne s'appellera jamais un roman, tandis qu'un roman est dans toute la rigueur du terme, un conte suffisamment long. La nouvelle ne se distingue pas au fond du conte ou du roman. Dans la conversation quand après un récit entendu on dit : c'est un conte ou c'est une fable, en entend que le récit n'est pas vrais, quand dit c'est un roman, on veut dire que les aventures racontées son extraordinaire elles peuvent néanmoins être vrais.

⁹ Dictionnaire de la langue française, tome 2, منشورات Partenaires ص ص 1137 – 1138.

⁹ لسان العرب المجلّد الخامس ص ص 3851، 3852

¹⁰ جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن الجزء الثالث طبعة مؤسسة النداء ص 280

الضرب الثاني هو تكرار المعنى دون اللفظ، مثل قصص الأنبياء مع أقوامهم وذكر الجنة ونعيمها والنار وجحيمها. وجدير بنا أن نشير إلى أن القصة المكررة في الخطاب القرآني مثل قصة إبليس تستجيب للضربين المذكورين آنفاً. وهذا ما سنبينه في جوهر عملنا.

ولئن كان التكرار الذي سوره القصة الإبلية في الخطاب القرآني غاية في المنفعة السمعية، فإن سواه يُعد ضرباً من ضروب الإملال. لذلك فإن للتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يُبغ فيها. وأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني وهو في المعاني دون الألفاظ وأقل. ومناطق ذلك كله أن التكرار أنواع، إذ نجد "التكرار التوكيدي" وهو ذكر الشيء مرتين أو أكثر لتقرير المعنى في النفس. هذا إلى جانب "تكرار الصدارة" وهو تكرار العبارة أو الجملة نظماً أو نثراً في أول الكلام لإيقاع بلاغي هو التأكيد والتركيز كما في الحديث الشريف " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يصمت ". كما نجد التكرار المتزايد وهو شكل من أشكال الإعادة في الكتابة ولا سيما في القصيدة القصصية، يعني الإكثار من الإضافات وتكرارها. وهو وسيلة بنائية مهمة في القصيدة القصصية.

ونجد كذلك التكرار المغاير، ونعني به تكرار كلمة أو عبارة بمعنى مختلف أو عكسي، نحو قولنا: " أسعدتني وأسعدتني أهلي ". هذا فضلاً عن تكرار النهاية، وهو تكرار كلمة أو عبارة في آخر الكلام لتقريرها في النفس.¹¹ وبالإضافة إلى ما ذكرنا نجد أن التكرار خاصية ما يتعاود أو يتكرر على نحو مميز ونحن بذلك ننتج الآثار البرغسونية بكونها ذات طبيعة معاكسة لجوهر الإيقاع التكراري. هذا من ناحية من ناحية أخرى يفيد التكرار البرهان التراجعي إذ يفترض أن $1 = n$ ثم يقوم التكرار على خطأ منطقية قوامها أن المنطوق في مجمله هو ذاته من القيم الممكنة لواحد من المتغيرات المضمنة فيها، ومن ثمة يمكن أن نطلق اسم حكم متواتر على الحكم الذي يمكنه أن يكون موضوعاً لذاته.¹² وضمن هذا الإطار تتشابه المعرفة والحقيقة تشابكاً متبادلاً حركة موازية أو معاكسة وهذا ما نطلق عليه التكرار التحالفي و التكرار التخالفي.

¹¹ محمد التتويحي، المعجم المفصل في الأدب، الجزء الأول، الطبعة الأولى 1413 هـ _ 1993م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 277 _ 278.

¹² يقول أندري لالاند:

La recurrence caractère de ce qui se répète accès récurrent particulièrement retour periodique l'héraclitisme bergsonien est de nature contraire à l'essence récurrente du rythme. La récurrence... démonstration on établit d'abord un théorème pour on montre ensuite que'il est vrai $n=1$. En trouve ...propriété logique consistant en ce qu'un énoncé pris en bloc et lui même une des valeurs possibles d'une des variables qui y sont contenues. Nous appelons jugement récurrent celui qui peut être à lui même son propre objet.

وحرصاً ممّا على اكمال المنهج أردنا أن ننظرَ في الفرق بين مفهوم التكرار ومفاهيم أخرى مُجاورة من قبيل الإطناب و الاستطراد والتوارد . فَبَحْثْنَا فِي التّعريف فإذا نحن واجدون ما يلي:

الإطناب: هو أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة. نقصد أن يُخبرَ المتكلم بكلام طويل لأنّ

كثرة الكلام عند المطلوب مقصودة. كذلك كثرة الكلام توجب كثرة النَّظر. هذا وقد قيل الإطناب هو أن يكون اللَّفظ زائداً عن أصل المراد.¹³ وإضافة إلى ما تقدّم يُعدّ الإطنابُ أيضاً زيادة اللَّفظ على المعنى لفائدة، وله دواع كثيرة منها: تثبيت المعنى وتوضيحه وتوكيده ودفع الإبهام وقوّة التأثير وتحريك النفس والعواطف والانفعالات وما إلى ذلك. ونحن إذ نتوخى تقنية الإطناب فإننا نسعى إلى بلوغ مأرب من ذلك: الايضاح بعد الإبهام. وهو إعطاء المعنى في صورتين مختلفتين، إحداهما مُجملة مُبهمة والأخرى مُفصّلة مُوضّحة. ومن شأن هذا أن يُرسخ المعنى في الذهن.

وممّا لا شكّ فيه أنّ الإطناب ضرب من ضروب التكرار ولعلّ الغاية من تكريره هي تقرير المعنى في ذهن السّامع. هذا ويكوّن التكرار المترتب عن الإطناب لغاية الاستيعاب. نحو قولك: "قرأت الكتابَ فصلاً فصلاً". ويكوّن الإطناب أيضاً لغاية التلذذ بذكر الشّيء المُكرّر أو يكوّن لتأكيد الإنذار. ويكوّن الإطناب كذلك من أجل الاحتراس، وهو ذكر معنى فيه غموض مع الإتيان بما يُزيل هذا الغموض. كما قد يكوّن الإطناب لغاية الاعتراض، كأن نأتي بجملة في وسط الكلام لا محلّ لها من الإعراب. ويكوّن الإطناب كذلك لغاية الدّعاء. ناهيك أنّ الإطناب له وظيفة التذليل وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مُستقلّة تشتمل على معناها تأكيداً للفظ الأوّل أو لمعناه.¹⁴ وغير بعيد عن الإطناب هناك مصطلح مُجاور لمفهوم التكرار وهو الاستطراد (La digression). ففيم يميّز الاستطراد عن التكرار؟

ليس التكرار استطراداً وليس الاستطراد تكراراً، وحسبنا في ذلك أنّ الاستطراد هو الخروج شفويّاً أو كتابة من سياق الموضوع للتحدّث عن شيء آخر يُنبّه إليه الموضوع. ومن المفاهيم المُجاورة لمفهوم التكرار كذلك نذكر مفهوم "التوارد". فهل التكرار والتوارد لهما نفس الخصائص؟ للإجابة على مثل هذا السؤال نقول: من وجهة نظرٍ ما، يشترك مفهوم التكرار مع مفهوم التوارد (Occurrence) في بعض النقاط ذلك أنّ التوارد هو حدث يحصل جرّاء أسلوب (Une manière) طارئ وغير متوقّع (Imprévu) فالتوارد يُمكن أن يكوّن حدثاً (Événement) أو ظرفاً (Circonstance) أو مُناسبة (Occasion) أو التقاء (Rencontre).¹⁵

¹³ أبو الحسن الجرجاني، *التعريفات*، دار الشؤون الثقافية للطباعة والنشر، العراق- بغداد، ص 23

¹⁴ *المعجم المفصل في اللغة والأدب*، ص ص 165 - 166 - 167

¹⁵ انظر "ألان ربي" الذي يُعرّف التوارد بقوله:

L'occurrence est un événement qui se produit d'une manière fortuite et imprévue, événement, circonstance, occasion, rencontre. Dans la plupart des occurrences.

.879 ص Manterial Canada 1992 منشورات **Le grand robert** : Dictionnaire de la langue française, tome VI .

والتواردُ كذلك هو تواتر حُضور كلمة في نصٍّ ما. وتوارد كلمتين هو تعداد المرّات التي ظهرها فيها معا في نصٍّ مُعيّن.¹⁶ وما من شك في أنّ ملامسة مفهوم التكرار اقتضت ممّا أن نُشير إلى أنّ تقنية التكرار لم تكن حكرًا على القصّة فحسب، وإنّما تشمل كذلك الشعر. ومن ثمّة فإنّنا مدعوون إلى التّظر في التكرار على مُستوى الشعر والتكرار على مُستوى القصّ.

فالتكرار في الشعر يُكوّن على مُستوى الوزن، سيّما أنّ الفنّ الشعري كلام موزون. ويشمل التكرار أيضا القافية علما وأنّ الشعر فنّ يحتكّم إلى قانون عروضي مُمأسس هو الحِفاظ على القافية نفسها في كلّ الأبيات الشعرية. لذلك قيل: " الشعرُ كلام موزون مُقصود به الوزن المُرتبط بمعنى وقافية ".¹⁷ ولا يخفى أنّ للشعر صلة متينة بالموسيقى لما فيه من إيقاع وجرس. لذلك فإنّ التكرار في الشعر يُكوّن أيضا على مُستوى الإيقاع. لهذا يُقول "ابن طباطبا العلوي" « الشعر الموزون إيقاع يُطربُ الفهم لصوابه وما يردُّ عليه من حُسن تركيبه واعتدالِ أجزائه ». ¹⁸ وضمن هذا السياق يتلوّن التكرار الإيقاعي تحالفا وتخالفا وذلك وفق ما تُمليه علينا الزحافات والعلل. لذلك يذهب "محمّد التّوخي" إلى القول: « الشعرُ إبداع يختلف عن النثر في كثيرٍ من الأمور أبرزها اعتماده على العروض والقافية والرّوي واختياره الأحرف الموسيقية والألفاظ الإيقاعية ». ¹⁹

ناهيك أنّ التكرار في النصّ الشعري ينهض على التبرير. نقصدُ تكرار تبرير العلاقة بين الدال والمدلول في كلّ مرّة على اعتبار أنّ العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة قائمة على التبرير. ويشمل التكرار على مُستوى الشعر الصور المجازية. ذلك أنّ الشعر تحكّمه لغة المجاز لأنّه يحتكّم إلى الجانب التخيلي. وهنا تكمن غاية التكرار في الجانب الإمتاعي. عندئذٍ تتولّد المتعة السمعية لدى القارئ.

وإضافة إلى ما تقدّم تجدر الإشارة كذلك إلى أنّ التكرار في الشعر يشمل العُدول فتتكرّر شرعية البيت الشعري. وبسبب من هذا سمّي البيت (Vers) والأصل (Versus) بمعنى الالتفاف على النفس .

وبناء على كلّ هذا، تُعدّ تقنية التكرار في الشعر صناعة وهذا ما نُعبّر عنه بالبُعد الخطابي. لهذا على صانع التكرار في النصّ الشعري أن يصنعه صنعة لطيفة فينحى الشاعِرُ بذلك منحى الإعجاز وإذا بتقنية التكرار تنأى بالصنيع الشعري إعجازا. ولتأكيد ذلك نستشهدُ بهذا الرأي. " واجب على صانع الشعر أن يصنعه صنعة لطيفة مقبولة حسنة مُستدعية لعشق المُتأمّل في محاسنِه والمُتفرّس في بدائعِه، فيكسوه فُبحا ويبرزه مسخا بل يُسوّي أعضاءه وزنا ويُعدّل أجزاءه تأليفا ويُحسنُ صورته إصابة ورونقه اختصارا

¹⁶ يذهب " سارج كاكالي" إلى أنّ التوارد هو :

C'est un fréconce d'aparition d'un mot dans un texte la co-occurrence de deux mots étant le nombre deux fois qu'il apparaisse ensemble dans un texte.

Dictionnaire de l'information منشورات Armand colin Paris 2004 ص 172.

¹⁷ انظر المُعجم المُفصل في الأدب، الجزء الثّاني، ص 550.

¹⁸ عيار الشعر، تحقيق مُحمّد زغول سَلام، منشأة المعارف بالأسكندرية، ص 53.

¹⁹ المُعجم المُفصل في الأدب، الجزء الثّاني، ص 551.

ويُكرّم عنصره صدقا ويهدّب القول رقة ويحصّنه جزالة ويُدنيه سلاسة وينأى به إعجازا ويعلم أنّه نتيجة عقله وصورة علمه والحاكم عليه أوله²⁰. ونُشيرُ أيضا إلى أنّ التكرار الشعري يشمل السجع أو الترصيع. لهذا يقول 'قدامة بن جعفر': "كلّما كان الشعرُ أكثرَ اشتمالا على التسجيع والتقفية كان أدخلَ له في باب الشعرِ وأخرجَ له عن مذهبِ النثرِ"²¹.

ونحنُ إذ نُغيّرُ فوتوغرافية الرؤية من الخاصّ إلى العام، فإننا نجدُ ضربا آخرَ من التكرار يختصّ به الشعرُ الأندلسي وخاصة شعر المؤشحات. فالتكرار فيه يكوّن على مستوى القفل والغصن. فقد دأب أربابُ هذا الشعرِ على تكرار القفل في نهاية الأغصان. وبذكرنا لخصائص التكرار في النظم نُكون قد أنرنا السبيل شعرا. وبذلك علينا أن نتحسّس الطريق لإنارة السبيل قصا وذلك بالبحث في خصائص التكرار القصصي، أملين بذلك أن ننتهي إلى نتيجة قوامها تمييز التكرار القصصي عن التكرار الشعري.

ونُشيرُ كذلك إلى أنّ التكرار القصصي يشملُ كذلك حبكة الحادثة النموذجية. فكلّ قصة تتكرّر فيها تقنية الحبكة القصصية. ومن ثمّة أضحى منطقُ الحبكة قاعدة تكرارية في جُلّ القصص. هذا فضلا عن تكرار العقدة القصصية. فكثيرا ما تتوقّر القصة على جملة من القضايا الإنسانية وتُحاول مُعالجتها بأن تبحث لها عن الحل. ومن ثمّة يتكرّر فعلُ القصص الروائي بكلّ ألوانه النثرية²². كذلك من علامات التكرار في القصة نذكرُ تكرار الأخبار والأحداث والنوادر والحكايا. وتلك سمة أخرى تنفردُ بها القصة دون الشعر. لذلك قيل: "القصة لونٌ من ألوان الأدب القصصي الذي يروي الأخبار على أنواعها ويعرضُ الأحداث وينقل المآثر، ويسوقُ الحكايا والنوادر وينسج الأساطير والخرافات طلبا للمتعة والفائدة"²³.

ونذكرُ أيضا أنّ التكرار القصصي يكوّن أيضا على مُستوى الاستطرادات (Les digressions) حيثُ نلاحظ سرد لقصة طويلة يعترضها سرد آخر مُكرّر وبعد انتهائها تُتابع القصة الطويلة سردها، وتعتمدُ القصة الثانية والثالثة على نوع من الاستطراد. من ذلك قصة "كليّة ودمنة" وقصة "شهرزاد"²⁴.

وبناء على ما تقدّم، نستخلصُ أنّ التكرار على مُستوى القصة هو تكرار الخطيّة التواصلية المحيلة على المرجع. فالتكرار من هذا المنطلق هو تكرار نسقي يشملُ الفواعل والوظائف الحكائية. وهو أيضا تكرار سردي يشملُ التواتر والتبئير، فنجدُ في القصة تبئيرات ثلاث من ذلك التبئير الصفري والتبئير الداخلي والتبئير الخارجي. ففي مُستوى التبئير الصفري أو اللاتبئير يتكرّر ذكرُ باطن الأحداث وظاهرها. وفي التبئير الداخلي يتكرّر ذكرُ الأفعال من خلال وعي الفاعل، ومن ثمّة تتكرّر النظرة الذاتية.

²⁰ ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ص 161.

²¹ نقد الشعر، تحقيق وتعليق مُحمّد عبد المنعم خفاجي، دار الكُتب العلمية، بيروت - لبنان، ص 90.

²² المُعجم المُفصل في اللغة والأدب، الجزء الثاني، ص 979.

²³ المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

²⁴ المُعجم المُفصل في الأدب، الجزء الثاني، ص 708.

وفي التبئير الخارجي يتكرّر الوصف العياني. ومناطق ذلك كلّها أنّ التكرار القصصي تقنية مُدبّرة تدبيرا قبلها على عكس التكرار في الشعر بما هو تقنية توارديّة.

ولا يذهبن بنا الظنّ إلى أنّ مقومات التكرار في القصة تتبرّأ من أسس التكرار في الشعر بصفة كُليّة لأنّنا نجد أيضا شرعيّة تُؤسّس قاسما مُشتركا بين التكرار في الشعر والتكرار في القصة. وحجّتنا في ذلك أنّ التكرار في الشعر يشملُ مستويات ثلاثة هي من الأهميّة بمكان وهي المُتمثّلة في اللفظ والجُملة والسيّاق. هذه المُستويات لم يكن التكرار في القصة في جِلّ منها. وهكذا يسوّدُ مبدأ الغور (La profondeur) على مبدأ السطح (La surface) ويطغى منطق الداخلانية (L'intériorité) على منطق الخارجانية (L'extériorité).²⁵ ومن ثمة يتّضح لنا التكرار التّحالي بين الشعر والقصة. نقصدُ أنّهُ ليس بوسع تقنية التكرار في القصة أن تتجرّأ على طرد تقنية التكرار في الشعر ومنها تتبرّأ.

وبما أنّ منهاج عملنا هو السير في درب القصّ والسرديات، لا القصيد والشعريات، كما نستشفّ ذلك من عنوان البحث وهو: " تكرار القصص في القرآن: قصة إبليس أنموذجا". فلا محيص من أن نلاحظ أنّ الأسّ في عنوان بحثنا، ثلاثة مُصطلحات رئيسيّة وهي: مُصطلح قصة و مفهوم التكرار لفظية إبليس. وبما أنّنا أشرنا إلى المفهومين الأولين وهما القصة والتكرار، فإنّه حريّ بنا أن نُعرّف "إبليس" تجسيدا لرغبتنا في الحفاظ على منهجية عملنا. فمن إبليس؟ والمقصود بالتسمية؟

إبليس هو اسم الشيطان. والراجح أنّ هذه التسمية تحريف للكلمة اليونانيّة [ديابلس] وهي كلمة مُشتقة من الأصل [بلس] لأنّ الشيطان أبلس من رحمة الله. وقد سُمّي أيضا " الشيطان ، عدو الله ...". وتجدر الإشارة إلى أنّ "إبليس" ليس اسم علم. ويردّ في القرآن غالبا عند الكلام عن بدء الخلق، مُتمردا على خالقه، مغويا "لآدم" و "حواء" في الجنّة.²⁶ فبعد أن خلق الله "آدم" من طين ونفخ فيه من روحه، أمر الملائكة بالسجود له فما كان منهم إلّا أن سجدوا عدا إبليس استكبر وهو المخلوق من نار. وقد تسبّب له عدم سجوده لآدم في الطرد من حضرة الملائكة ومن ثمة كان إبليس ملعونا.

ونذكر في هذا الإطار، أنّ قصة إبليس تستند إلى الروايات النصرانية. إذك يُروى أنّ "ميكائيل" أمر الملائكة بأن يعبدوا "آدم" فاعترض إبليس بتعلّة أنّ آدم أقلّ منهم شأنًا. وبسبب ذلك كان نُزول إبليس إلى الأرض. وتجدر الإشارة إلى أنّ القرآن الكريم قد عدّ إبليس من الجنّ كما عدّه من الملائكة أيضا. ونشير هنا إلى أنّ الجنّ كانوا يسكنون الأرض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء، فبعث الله إبليس الذي كان يُعرّف آنذ بـ [عزازيل] أو [الحارث] في جندٍ من الملائكة فقاتلهم.²⁷ هكذا إذن تبدو القصة الإبلبيسيّة المُكرّرة في الخطاب القرآني قصة مُشوّقة من كلّ النواحي ومن جميع المناحي. ففيم تتمثّل تقنيّاتها؟ وما أخصّ خصائصها الفنيّة؟

²⁵ مسالك التّأويل السيميائي، ص 102 .

²⁶ انظر مثلا سورة البقرة، الآية 34، وسورة الأعراف، الآيات 11، 12، 13، 14، 15، وما سواهما

²⁷ دائرة المعارف الإسلاميّة، الجزء الأوّل، الطبعة الأولى 1418هـ - 1998م، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ص ص 103 - 104 - 105 .

تحديد المفاهيم

الخبر (La nouvelle) هو كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته أو يتحقّق مدلوله في الخارج من دون النطق به. وأمّا الخبر في الرواية يُطلق على الرواية التاريخية أو الرواية التي تتعلّق بالتراجيم. ومهما يكن من أمر الخبر نوعان: مرسل ومُسند. فالخبر المرسل هو الذي يُرسله الراوي من غير إسناد إلى راو آخر. في حين أنّ الخبر المُسند هو الذي أسنده الراوي إلى راو آخر عن طريق الإسناد.²⁸ والخبر أيضا هو الحدث الذي يُنقل لأول مرّة إلى شخص بعينه أو إلى عامّة الناس. والخبر كذلك موجة غير مُتماسكة (Sans consistance) لا تظهر مشيّدّة. لذلك ينبغي أن يكون الخبر مؤيّدًا (Confermé).²⁹ هذا ويذهب "جوزاف هانس" في تعريفه للخبر إلى القول: " عندما نكتب " أنا من دون خبر لك. فإنّ ذلك يعني أنّي استوفيت البوح بكلّ الأخبار." لكن عندما نقول " لا أحمل أيّ خبر لك " فإننا نَقصد بذلك لا علم لي بأيّ خبر.³⁰ فما الخطاب؟

الخطاب (Le discours) هو عملية فكرية تجري من خلال سلسلة عمليّات أوليّة جزئية ومتابعة وهو تعبير عن الفكر وتطوير له من خلال سلسلة من الكلمات أو لنقل هو عبارات متسلسلة³¹. والخطاب كذلك هو تحوّل المحادثة أو المحاورة إلى فعل خطّابي (Devloppement aratoire) أمام الملمأ. ونشير إلى أنّ الخطاب يشتمل على ستّة أقسام وهي المتمثّلة في: الاستهلال (L'exorde) والاقتراح (La proposition) والتّسريد (La narration) و البرهان (La preuve) والتّقييد أو الدّحض (La réfutation) وأخيرا خاتمة الكلام (La péroration). وتجدر الإشارة إلى أنّ الخطاب المباشر والخطاب غير المباشر والخطاب المنقول كلّها خطابات لا تكون إلّا بعد فعل الكلام.³²

²⁸ المعجم المُفصل في الأدب، ص 393 – 394.

²⁹ يُعرّف "ألان ريبّي" بأنّ الخبر:

C'est l'événement porté pour la première fois à la connaissance de la personne interessée ou du puplic. La nouvelle encore vague sans consistance qui ne parait pas fondée qui demande à etre confermée.

Le grand robert ص 823.

³⁰ انظر التّعريف باللسان الفرنسي وهو.

On écrit « Je suis sans nouvelle de lui (puisqu'on dit : Recevoir des nouvelles ». Mais je n'ai aucune nouvelle de lui (Aucun).

Neveau dictionnaire des difficultés du français moderne منشورات Duculot, Paris Gembloux 1987 ص 651.

³¹ انظر أندري لالاند الذي يُعرّف الخطاب قائلا:

Le discours (the speech) opération intellectuelle qui s'effecture par une suite d'opérations élémentaires partielles et successives. Spéciallement expression et devloppement de la pense par une suite de mot ou de proposition qui s'enchainement.

Vocabulaire de la philosophie منشورات Boulevard saint Germain Paris 1996 ص 237 - 238

³² لقد عرّف كلّ من أ. ريبّي و ري دي بوف الخطاب على النحو الآتي:

مقدمة الفصل الأول

إنّ السرد القصصي في الخطاب القرآني نسيج قَدّت مواده من إنشائية خطابية لها تقنياتها العلمية. والسرد القصصي الذي نحن إليه بسبيل هو سرد القصة القرآنية المكررة مثل قصة إبليس وما سواها. فلا يخفى أنّ تعاود القصة الواحدة بتقنيات أسلوبية ثابتة تارة ومتحوّلة تارة أخرى سمة الخطاب القرآني دون سائر الخطابات الأخرى.

إذّاك لا نجد في المدونة السردية العربية قديمة كانت أم حديثة نصّا يتضمّن قصصا متعاودة إنّما غاية ما نجده نصوص تتضمّن قصصا من غير طينة القصة الأصلية. لذلك نعتبر فنية التكرار القصصي في الخطاب القرآني تأصيلا تقنيًا به يتشكّل السرد القصصي. وسبيلنا إلى فهم بناء السرد القصصي في خطاب القصة القرآنية المتعاودة، هو نهج الإنشائيين. فالقصة وفق المنهج الإنشائي أحداث وشخصيات تتحرّك في مكان (Espace). لذلك نروم البحث في الأسلوب التقني الذي أنشأ هذه القصة (القصة المتعاودة)، ونعني بالأسلوب التقني مستويين أساسيين وهما: مستوى الخبر ومستوى الخطاب.

فالمتملّع إلى مادّة (خ، ب، ر) يطالعه مصطلح "خبر" بما هو الإخبار بما وقع وحصل، أي إنّ ما حصل يسبق ما وقع الإخبار به. وهذا عين ما ينطبق على الأحداث القصصية في القصة القرآنية المكررة، وتبعًا لذلك سنعرض في الخبر منطق الأعمال (أي الأحداث) والعلاقات بين الشخصيات و أيضا خصوصية المكان. وإذا ما عدنا إلى مادّة (خ، ط، ب) نجد أنّ الخطاب هو مراجعة الكلام، والمراجعة هنا تكون بتقنيات سردية متّفق عليها علميًا. منها نمط الخطاب وخصائص القول ووظيفة السرد، هذا فضلا عن علاقة زمن الحكاية بزمن الخطاب. ومن ثمة ما يهّمنا هو الطريقة التي يتمّ بواسطتها تنظيم القصة القرآنية التكرارية ونقلها إلى القارئ. ومناطق القول في المسألة أن الخطاب القرآني وما يخبرنا به من أحداث قصصية متعاودة، يحمل في طياته خصائص فنية، وهو الأمر الذي دفعنا إلى البحث في تقنيات التكرار القصصي لمعرفة سحر الحكاية، حكاية القصة المكررة.

لذا سيكون محور عملنا في هذا الفصل هو رصد تقنيات القصة القرآنية المكررة من خلال مستوى الخبر ومستوى الخطاب. ولا يخفى أنّ وجود مصطلح الخبر إلى جانب مصطلح الخطاب أمر دعاه داع، هو أنّ القصة هي نظام أو تنضيد لعناصر الخبر على نحو مخصوص.

Le discours c'est une conversation ;dialogue :devloppementaratoire fais devant une réunion de personne. Le discours expression verbale de la pensée. Le discours à six parties qui sont : (exorde – proposition – narration – preuve – réfutation – péroration). Le discours rapporté – direct – indirect cité après un verbe de parole.

I - تقنيات القصة القرآنية المكررة

1 - على مستوى الخبر

إنّ المتأمل في قصة إبليس المتكررة في الخطاب القرآني من جهة الشخصيات، يلاحظ أنّ إبليس الذي عصى ربّه وتمرد على أوامره ولم يأبه لنواهيته، هو الشخصية المحورية التي تدور عليها الأحداث. ذلك أنّ الخطاب الذي تكوّنت منه كلّ الآيات القرآنية، يروي عدوانية إبليس للإنسان واحتقاره له فقد ورد في قوله تعالى:

﴿ وَمَا آتَاكُمْ خَمُولًا وَفَرَسًا ۖ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾
 ﴿ قَالَ لِمَ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمِئٍ مَسْتُونٍ ﴿٣٤﴾

وقد اتخذت شخصية إبليس أشكالاً متنوعة، فهي تارة مستخبرة سائلة مُحاورَة، إذ نجد في قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٥﴾

وتارة أخرى نجدها مُحاورَة مُخبِرة، كما في قوله تعالى :

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٣٥﴾ قَالَ فِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٦﴾

فإبليس الشخصية المحورية في القصة القرآنية المكررة، هو الذي يدفع الأحداث في اتجاه حركي بحكم استحواده على نصّ القول، فكّل الأقوال لا تكون إلّا منه أو إليه أو تتحدّث بشأنه. وهو بذلك نواة الحركة ومحور القصّ في كلّ آيات الخطاب القرآني. لذلك يصحّ أن نقول بشأنه هو قطب رحى القصّ في القصة الإبلية المكررة في القرآن. وأمّا الشخصيات الثانويّة التي نجدها في القصة الإبلية المتواترة فهي: مشاركة في الأحداث القصصية أو غير مشاركة فيها. فمن الشخصيات المشاركة في أحداث القصة، نجد الملائكة إلى جانب آدم وزوجه، وأمّا الشخصيات غير المشاركة في الأعمال القصصية فنجد القاريء وهو الذي يطلق عليه "جيرار جينات" "المسرود له". وضمن هذا الإطار لا تتعدّد لعبة السرّد، فاللغة القصصية ناتجة عن كلام الله تعالى، لذلك فالمسرود له لا يمكن أن يكون إلّا قارئاً حقيقياً.³⁷

³³ سورة الأنعام الآية 142.

³⁴ سورة الحجر الآية 33.

³⁵ سورة الحجر، الآية 39.

³⁶ سورة ص الأيتان 70 – 81.

³⁷ يختلف القارئ الحقيقي عن القارئ الضمني. فلئن كان الخطاب القرآني موجّهاً إلى الإنسان فإنّ ذلك من شأنه أن يؤكّد أنّ المسرود له لا يكون إلّا القارئ الحقيقي. انظر مثلاً كتاب "محمد رجب الباردي" "سحر الحكاية" الطبعة الأولى 2004 مطبعة التفسير الفني صفاقس ص 61

وما تجدر الإشارة إليه أنّ الشخصيات الثانوية لكلّ منها خصائصها. فالملائكة لا نجد لهم أيّ اثر للتمرّد على خالقهم. فشخصيات الملائكة تبعا لذلك تسعى إلى إرضاء ربّها. يَقُولُ تَعَالَى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾

فعبارة "أسجدوا...فسجدوا" التي تكرّرت في "سورة البقرة وسورة الأعراف وسورة الكهف" وما سواهم من السور تؤكد تطبيق أوامر الخالق، لا مخالفتها ونكرانها. وأمّا بالنسبة لشخصيتي آدم وزوجه، فقد خصّهما المولى بالجنة. بيد أنّ الشيطان أغراهما. ففقدنا نعمة هذا المكان. يقول تعالى:

﴿وَيَتْلُوهُنَّ لِيخبرنَّ بَأْسَانَ كَثِيرٍ مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْغَيْبِ وَكَانَ صِدْقًا عَنِ الْمَلَأِ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِبُّونَ الْحَرَّ وَالْحَرُّ يُحِبُّونَ الْيَاسْمِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾
 وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٤١﴾ فَدَلَّيْنَهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفِنِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٤٢﴾
 قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٣﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾

فلا ريب أنّ آدم ومعه حواء ترددا بين الاستجابة لإغراءات الشيطان ورفضها وبين الخضوع لإغراءاته أو اللأخضوع. إنّه صراع داخلي يترنّح فيه آدم وزوجه بين طاعة الله وطاعة إبليس، فما كان منه إلا أن استجاب لدعوة الشيطان سالكا طريق المعصية من دون قصد. ومن ثمّة فارق آدم ومعه حواء العالم المتعالي (transedant) نحو العالم الدنيوي. ولعلّ هذا الانتقال من حالة إلى حالة، كان بتعلّة الاستهتار بالأمانة وعدم الإخلاص والوفاء بالوعد. لذلك يقول التهامي نقرة: "القصة لا تسجّل واقعا، ولكنها تستنصر للقيم الإنسانية الجديرة بالخلود، إنها تنتصر للإيمان والصبر والعفاف والأمانة والإخلاص".⁴⁰

وبعد أن نظرنا في خصوصيات الشخصيات، يمكن أن ندرس العلاقات بينها، وهو ما نوضّحه في الجدول الآتي:

³⁸ سورة البقرة، الآية 33

³⁹ سورة الأعراف، الآيات 18 - 19 - 20 - 21 - 22 - 23

⁴⁰ سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع 1971 ص 510

الجدول الأوّل: الفاعل الرئيسي في علاقته بالفواعل الثانوية.

الشاهد القولِي	تبرير العلاقة	العلاقة بين الفواعل	منزلة الفاعل الرئيسي و الفواعل الثانوية في قصة إبليس المكوّنة
<p>﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ۖ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾ 41</p>	<p>إبليس لم يسجد لآدم، واعتبر ذلك من باب المفارقات العجيبة، وفي ذلك استعلاء وكبرياء. أما الملائكة فقد سجدوا لآدم وطبقوا أمر الله. ذلك أنّ الله تعالى أمرهم بأن يسجدوا لآدم.</p>	<p>علاقة تضاد وتنافر</p>	<p>"إبليس ليس + "الملائكة" فاعل مركزي+ فاعل معارض لأفعال الشيطان</p>
<p>﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٤٢﴾ 42</p>	<p>الشيطان لم يسجد لآدم المخلوق الذي فضله الخالق، لأنه يرى في ذلك قلب للقيم. فالشيطان يعتبر نفسه أفضل من آدم لأنه خلق من نار في حين أنّ آدم خلق من طين، لذلك استنكر كيف يسجد لبشر "خرج من بين الصلب والترائب"</p>	<p>علاقة استنكار</p>	<p>إبليس + آدم : فاعل مركزي+فاعل مكمل للمركزي في وضع البداية</p>
<p>﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَبِّئُكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكِينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٤٣﴾ 43</p>	<p>وسوسة الشيطان لآدم وحواء أغرتهم بأن يأكلا من الشجرة. فحيلة إبليس ومكيدته انطلت على آدم وزوجه، ذلك أنهما انساقا وراء إغراءات إبليس وظنّا أنّ هذه الشجرة هي شجرة الخلد .</p>	<p>علاقة إغراء ومكيدة</p>	<p>إبليس + آدم : في سياق التحوّل</p>
<p>﴿ فَدَلَبْنَهُمَا بِخُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَيْنِ عَلَيْنِهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنِ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٤٤﴾ 44</p>	<p>الشيطان هو عدو البشرية جمعاء. فقد غرّ آدم وأغواه، حتّى أكل وزوجه من الشجرة معتقدين أنها السبيل إلى الخلود إلى أن كلمهما الله "إن الشيطان لكما عدو مبين"</p>	<p>علاقة عدوانية</p>	<p>إبليس+آدم في وضع الختام</p>

41 سورة البقرة، الآية 33

42 سورة الأعراف الآية 11

43 سورة الأعراف الآية 19

44 سورة الأعراف الآية 21

<p>﴿ وَلَا يَصْدَنُكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ 45</p>	<p>الشيطان بمعية حزبه يدعو الإنسان إلى ارتكاب المعاصي. ويزين له ذلك بطرائق شتى. بيد أن ذلك لا يجدي نفعا مع الإنسان المؤمن الذي لا يقتنع إلا بأوامر الله ونواهيه. لذلك يستعاض من الشيطان ويبتعد عنه قدر ما استطاع.</p>	<p>علاقة نفور وتباعد</p>	<p>إبليس+ الإنسان المؤمن: الفاعل المركزي+ فاعل معارض لأفعال إبليس</p>
<p>﴿ أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ 46</p>	<p>الشيطان لا يحرص إلا على المحرمات وعصيان الله. وهو لا ينتصر في ذلك إلا للفئة الضالة التي تتبّع ملذات الدنيا(المحرمات) ولا تفكر في عقاب الآخرة. ومن ثمّة فهذه الفئة تُعدّ من حزب الشيطان لأنها تساند أفعاله وتسلّك طريقه.</p>	<p>علاقة تفاهم وانصهار</p>	<p>إبليس+الإنسان الذي ينتمي إلى حزبه: فاعل محوري+ فاعل مساند</p>

الجدول الثاني: علاقات الفواعل الثانوية في ما بينها:

الشاهد القرآني	تبرير العلاقة	العلاقة بين الفاعل ومثيله	الفاعل
<p>﴿ فَقُلْنَا يَتَّعَدُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْوَانِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ 47</p> <p>﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سُوءُ آتِهِمَا وَطَفِيفًا تَخْصِفْنَ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ 47</p>	<p>آدم وزوجه تربطهما علاقة مودة تُوجت بالزواج. سكنا معا واقتربا الذنب معا. وهما بذلك يتشاركان في كل الأمور.</p>	<p>علاقة حب ومودة</p>	<p>آدم وحواء</p>
<p>﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾ 48</p>	<p>آدم خصه الله بأفضل المراتب. إذك أمر الملائكة بالسجود له تقديرا لمرتبته واعترافا بعزته. وقد قدرّت الملائكة هذه الخصوصية وسجدت لآدم اعترافا بتكريمه وتقديرا له.</p>	<p>علاقة تقدير</p>	<p>آدم والملائكة</p>

45 سورة الزخرف الآية 62

46 سورة المجادلة الآية 19

47 سورة طه الأيتان 114 - 118

48 سورة طه الآية 113

22

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

<p>﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾ 49</p> <p>﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَمِعْ لَهُمْ وَاعْلَمْ أَنَّهُمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا سُلْطَنُهُمُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُمُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ 50</p>	<p>الملائكة سجدوا لآدم لأن الله أمرهم بذلك. فتطبيق أمر الله ضرب من ضروب الإيمان بأقواله وطاعته والولاء له. وهذا عين ما يقدم عليه المؤمنون، فهم بذلك ينحون منحى الملائكة في إخلاصهم لرب العزة</p>	<p>علاقة إيمان وطاعة لأمر الله</p>	<p>المؤمنون والملائكة</p>
<p>﴿ قَالَ أَهَبْطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴿٥١﴾ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿٥٢﴾ أَوْ مَنِ اتَّبَعَ آخَرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا أَوْ يَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿٥٣﴾ ﴾ 51</p> <p>﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ اصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٥٤﴾ ﴾ 52</p>	<p>المؤمنون على الله يتوكلون إيماناً منهم أنه هو نعم المولى ونعم النصير في حين أن الكافرين لا يابهن لمثل هذا. وقد وعدهم الله بالسعير. وشتان ما بين أصحاب النعيم وأصحاب الجحيم.</p>	<p>علاقة تباعد وتنافر</p>	<p>المؤمنون والكافرون</p>

الجدول الثالث: علاقة الفاعل الرئيسي والفاعل الثانوية بالخالق:

الفاعل	علاقته بالخالق	تبرير العلاقة	الشاهد القرآني
إبليس	علاقة تمرد وعصيان مقصودة	الشيطان عصى الله الذي أمره بالسجود لآدم. وفي عدم الخضوع لأوامر الله تمرد، ومن تمرد على خالقه وعصى أمره ماله لا يُحمد عقباه.	﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ ٧٢
الملائكة	علاقة طاعة وولاء	الطاعة والولاء من أخص خصائص الإيمان، والسور القرآنية الإبلسية الواردة في القرآن، كلها تسرد لنا طاعة الملائكة لأمر الخالق. إذ لا نعثر أبداً على سورة	﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿١٥﴾ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ ١٥-١٧

49 سورة طه الآية 113

50 سورة النحل الآيات 99 - 100

51 سورة طه الآيات 120 - 121 - 122

52 سورة فاطر الآية 6

53 سورة ص الآيات 73 - 83

<p>﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ ﴿٥٤﴾</p>	<p>تخالف هذا المنطق، فكّل السور القرآنية الإبلسية تؤكد طاعة الملائكة لخالقها.</p>		
<p>﴿ إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ ﴿٥٥﴾</p>	<p>آدم وزوجه قبل أن يغراهما الشيطان أمنا بالله وأخلصا له الدين حنيفة والدليل على ذلك أن الله كرّمهما بمكان لا يجوعان فيه ولا يعطشان وهو الجنة بما هي فضاء أتيح لمن آمن بالله وأطاعه.</p>	<p>علاقة إيمان وإخلاص</p>	<p>آدم وحواء قبل وسوسة الشيطان</p>
<p>﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفْنَ عَلَيْنِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ ﴿٥٦﴾</p>	<p>لم يف آدم وزوجه بوعدهما للخالق الذي أمرهما ألا يأكلا من الشجرة. فيعد إغراءات الشيطان ووسوسته لهما، خالفا وعد الله وأتبع خطوات الشيطان. فهبطا من الجنة إلى الدنيا.</p>	<p>علاقة عصيان خطأ لاعمداء (عملية) العصيان كانت بفعل غرور (الشيطان)</p>	<p>آدم وحواء : بعد وسوسة الشيطان</p>

وبناء على ما تقدّم نلمس في هذه العلاقات المتنوّعة ضربا من ضروب التكافؤ (Equivalence) فالصورة العاتية التي يراها إبليس مجسّدة في شخصه (عدم السجود لآدم ، يعتبر نفسه خيرا منه ، أتباع طريقة الوعد والوعيد) كما في قوله :

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٧﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ ﴿٥٧﴾

تتفاعل معها في الآن نفسه صورة أخرى مضادة تأتي لتعدّلها حيناً، وتكبح جماحها حيناً آخر. ولعلّ الرّسم التّالي يوضّح ذلك:

إبليس : = التّمرد الصّلاية العنف = معجم الشّرّ.
 ≠ ≠ ≠ ≠
 الملائكة : = الطّاعة السّماحة اللّين = معجم البراءة.

وخليق بنا أن نذكّر بعد هذا أنّ الفضاء الذي احتضن الأحداث في قصّة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني، هو فضاء لا يتنوّع كثيرا. فهو إمّا فضاء ديني وإمّا فضاء دنيوي. فما خصوصية المكان في قصّة إبليس المتواترة في القرآن، علما أنّ المكان من أهمّ الأركان السردية القصصية؟

54 سورة ص الآيات 70 - 71 - 72
 55 سورة طه الآيات 115 - 116
 56 سورة طه الآيات 117 - 118
 57 سورة ص الآيات 81-82

إنّ الأمكنة في قصة إبليس المكررة في الخطاب القرآني لها من الأصناف آيتان: فأما الصنف الأول فهو الأمكنة المتعالية و نعني بها الجنة و جهنم. وأما الصنف الثاني فنعني به الفضاء الدنيوي أي الأرض. فالقصة الإبليسيّة التي تواترت في سور عديدة إما لفظاً أو معنى أو لفظاً ومعنى، لا تخرج عن أماكن ثلاثة إذ الأحداث بتنوعها وتنميتها لا تحيد عن مسار ثلاثي (Triple processus) وهو الجنة فالنار فالأرض. ولعلّ المتأمل في هذا المسار المكاني (Processus spatiale) يلاحظ ترتيباً تنازلياً أي من السماء إلى الأرض. فلماذا لم يكن هناك ترتيباً تصاعدياً؟

للإجابة عن هذا السؤال و تفسير هذا المسار التنازلي يمكن القول: إنّ أصل القصة ، والمقصود بالقصة هنا هو قصة إبليس وما تحتويه من فواعل أو شخصيات، نشأت في العالم العلوي حيث الفضاء الديني أو المكان الغيبي، وهو الجنة بما هي فضاء احتضن الملائكة و آدم و زوجته و إبليس. لكن كلّما تمرّد أحد الفواعل على أمر خالقه كان مآله الخروج منها و النزول إلى الأرض و نوضح ذلك بالمثال الآتي:

- أبا إبليس أن يسجد لآدم في الجنة، فأنزله الله إلى الأرض. يقول تعالى:

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٥٨﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾

فعبارة "اهبط منها" فيها حركة نزول من الجنة إلى الأرض، أي من الأعلى إلى الأسفل، أي من العزة إلى الدّل. ومن ثمّة نلاحظ فعل نزول لا فعل إصعاد على مستوى الحركة وعلى مستوى المرتبة. ثم أمر الله آدم و زوجته ألا يقربا الشجرة ولا يغتزا بإغراءات الشيطان حتّى لا يكونا من الظالمين. لكنهما انقادا وراء وسوسة الشيطان و أكلا من الشجرة، فخالفا بذلك أمر الله، فكانت عاقبتهم مفارقة الجنة و النزول إلى الأرض. قال تعالى:

﴿ قَدْ نَبَّأَهُمَا بِعَصْرِ الْعَجْوَةِ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتَا لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَيْنِ عَلَيْهِمَا مِن وَّرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفَّاءٌ لَّكُمَا وَعَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥٨﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٩﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾

نفهم من هذا الشاهد القرآني أنّ تطبيق نواهي الخالق و تنفيذ أوامره جزاؤه الجنة وهذا ما ظفر به آدم و زوجته قبل أن يتتبعا خطوات الشيطان. ولما خالفا أمر الله، كان مآلهما النزول من الجنة والاستقرار في الأرض إلى حين. وتبعاً لذلك نلاحظ مسارا حركيا تنازلياً: من الجنة إلى الأرض، من الغيب اللامرئي (Invisible) إلى الوجود المرئي (Visible) أي نزول من عالم الفضائل إلى عالم الرذائل. لكن

58 سورة الأعراف، الآيتان 11 - 12
59 سورة الأعراف، الآيات 21-22-23

من وجهة نظر ما نلاحظ أنّ هذا المسار المكاني الثلاثي (الجنة، جهنم، الأرض) الذي سور أحداث القصة الإبليسية في الخطاب القرآني، هو مسار دائري إذ الأحداث تتخذ فيه مسارا تنازليا كما بيّنا آنفا، ثم سرعان ما تعود بشكل مضاد. فيصبح لها مسار تصاعدي.

فبعدها أمثحت فواعل قصة إبليس المكررة في العالم الغيبي (الجنة)، خصّها الخالق بامتحان ثان في الأرض. فمن اتّبع هداية الله فمآله الجنة ومن عارض ذكره فمصيره جهنم. ومن ثمة نلاحظ أنّ هنالك مسارا تصاعديا نشأ على أنقاض المسار الأوّل وهو المسار التنازلي، فنقطة الانطلاق هي الأرض وهنا يتفرّع مسلكان: طريق يُؤدّي إلى جهنم، وطريق يُؤدّي إلى الجنة. وأيتنا في هذا قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ 60

فالواضح أنّ المكان بما هو فضاء تتحرك داخله الشخصية هو " عامل تأكيد الوجود وتحقيقه وتنشيطه".⁶¹ ونعني بذلك أنّ نحت الكينونة لا تكون إلاّ بفهم الفضاء الذي يكتنف الذات. ففهم الفضاء تذويتا هو بحث عن أفضلية وجودية. ولتوضيح ذلك، قمنا بعملية جرد فيها نبرز المكان وأهم خصوصياته في القصة الإبليسية المكررة وهذا ما نوضّحه في الجدول الآتي:

الجدول الرابع: المكان وأهم خصائصه:

المكان	أهم الخصوصيات
الجنة	فضاء غيبي، لا يمكن أن نراها ولكننا نسمع عنها. فهي فضاء فيه الكلاّ والملاّ. ولا يخفى أنّ الجنة عدت للمتقين. وبناء على هذه المؤشرات نخلص إلى أنّ العدل النفسي (تقوى وإيمان وإخلاص لله...) هو عدل للخصب المكاني(الكلاّ والملاّ...) ⁶² فالجنة لا يكون فيها العراء ولا الجوع ولا الضمأ... لكن الظفر بهذا المكان له مشروطاته. منها اتّباع هدى الرّحمان وذكره وعدم الإنصات للشيطان العدوّ المبين. فالعيش في الجنة والبقاء فيها مكان يُطلب فيُدرك. وإدراك المكان هنا لا يتسنّى لحزب الشيطان، وإنّما يتسنّى لمن استعاض منه، فالجنة تبعاً لكلّ هذا فضاء مقدّس، يدخلها الناسك ولا يظفر بها الفاسق المتمرد.

⁶⁰ سورة طه الآية 123

⁶¹ محمّد بن عياد، الزهراء الترجماتي مطبعة التفسير لفني صفاقس نقلا عن:

" محمد الباردي" من كتابه "وجوه الشبه بين الرواية الحديثة في مصر و الرواية الحديثة في فرنسا شكلا "ص ص235،236 المواقع المكانيّة أصبحت إذن تعرف بالأحداث القصصية. انظر مثلا كتاب محمّد بن عياد، جدلية القصة و الشعر، مطبعة التفسير الفني صفاقس

⁶² كلية الآداب و العلوم الإنسانيّة صفاقس ص 56

<p>هي الفضاء الذي عدّه المُذَلّ جزاء للكافرين أصحاب الشيطان. خصوصياته سالبة على عكس خصوصيات الجنة. فجهنم فضاء فيه الفقر والفقر والجذب... ومن ثمّة فالجذب النفسي (الكفر، الإعراض عن ذكر الله، اتباع الشيطان) عدل للجذب المكاني⁶³ (السّعير، نار الله الموقدة، العذاب...) بيد أنّ هذا الجذب المُخيف يمكن تفاديه إن تقيّد المرء بأوامر الله وسلّم بأن الشيطان عدوّ الإنسانيّة وكان لربّه كفورا. فمن ولى وجهه شطر عبادة الخالق لا يظَلّ ولا يشقى ولا يلحقه غبن جهنم وضيم السّعير اللّهيب.</p>	<p>جهنم</p>
<p>هي فضاء مواز للجنة والنار. وهي أيضا مكان دنيوي، وإن شئنا فهي المكان الذي عدّه الخالق للإنسان كي يمنحه فرصة ثانية لمراجعة نفسه. فالأرض بهذا تكون مكان تدارك بعد خيبة آدم وزوجه التي حصلت في الجنة. ففي الأرض يبحث المرء عن أفضلية وجوده ونحت كينونته، وذلك بسبر أغوار العالم بغير فهمه وفهم وجوده داخله حتى يعرض عن الرذائل ويتبع طريق الفضائل لاستئصال مآله.</p>	<p>الأرض</p>

أما الزمن في قصة إبليس المكررة في الخطاب القرآني غير محدّد بل غاية ما نجده هو أزمنة صيغية ثلاثة (ماضي، حاضر، مستقبل). و حتى يكون عملنا أكثر علمية، أردنا أن نُؤكّد ما أشرنا إليه آنفا من خلال بعض الآيات القرآنية التي نشغل بها.

زمن الماضي: زمن انقضاء الحدث، اللحظة العقبيّة بمعنى الاعقابية.

- سورة البقرة (قلنا- أسجدوا- أبي- استكبر- أزلهما- أخرجهما - تلقى - تاب) من الآية (34) إلى الآية (37)، ثمّ الآيتان : (208) و (268). / - سورة آل عمران (ذلّ) الآية: (175).
- سورة الأنعام (0) الآية: (142) . / - سورة الأعراف (خلقنا- صورنا- قلنا- سجدوا- خلقت- دلّ- ذاقا- بدا- نادى - قال) من الآية (11) إلى الآية (27). / - سورة الحجر: (سجد،أبي، قال، خلقت، اتّبع): من الآية (30) إلى الآية (42). / - سورة النحل: (قرأت) الآيات: (100/99/98). / - سورة الكهف: (قلنا، سجدوا، فسق) الآية : (50). / - سورة طه: (قلنا، سجدوا، أبي ، وسوس، أكلا، بدت، عصى، غوى، تاب، هدى، اتّبع): من الآية (116) إلى الآية (124). / - سورة فاطر: (0) الآية: (6).
- سورة ص: (قال، نفخت، سجد، استكبر، خلقت، تبع): من الآية (71) إلى الآية (85). / - سورة الزّخرف (0): الآية: (62). / - سورة المجادلة: (استحوذ، أنساهم) الآية : (19). / - سورة الحشر: (قال، كفر) الآية: (16).

زمن الحاضر: زمن حاضر الحدث، اللحظة التّزامنية

- سورة البقرة: (اسجدوا، أسكن، كلا، لا تقربا، اهبطوا، ادخلوا، يأمركم، يعدكم، يأمركم) من الآية (34) إلى الآية (37) ثمّ الآيتان (208) و(268). - آل عمران: (يخوف، خافوا) الآية: (175). - الأنعام:

⁶³ جدلية القصة و الشعر ص 56

(كلوا) الآية (142). - الأعراف: (اسجدوا، تتكبر، اخرج، أملأ، اسكن، كلا، يخصفان، أقل، ينزع، يراكم، ترون): من الآية (11) إلى الآية (27). - الحجر: (أسجد، أخرج) من الآية (30) إلى الآية (42). - النحل: (استعذ، يتولون) من الآية (98) إلى الآية (100). - الكهف: (قلنا، اسجدوا): الآية (50). - طه: (اسجدوا، يخرج، لا تشقى، لا تجوع، لا تعرى، لا تضحى، لا تضموا، أذل، يخصفان، اهبطا، يأتينكم، لا يضل، لا يشقى، نحشره): من الآية (116) إلى الآية (124). - فاطر: (اتخذوه، يدعو) الآية (6). ص: (فقعوا، أخرج، أقول): من الآية (71) إلى الآية (85). - الزخرف: (لا يصدنكم) الآية (62). - المجادلة (∅): الآية (19). - الحشر: (اكفر، أخاف) الآية (116).

زمن المستقبل: زمن استشراف الحدث : اللّحظة الاستباقية.

- البقرة (∅): من الآية (34) إلى الآية (37) والآيتان (208) و (268). - آل عمران (∅): الآية (175). - الأنعام (∅): الآية (142). - الأعراف: (لأقعدن، لأتينيهم) من الآية (11) إلى الآية (42). - الحجر (لأزيتنن، لأغوييهم): من الآية (30) إلى الآية (42). - النحل (∅): من الآية (98) إلى الآية (100). - الكهف (∅): الآية (50). - طه: (إما يأتينهم، نحشره يوم القيامة): من الآية (116) إلى الآية (124). - فاطر: (ليكونوا) الآية (6). - ص: (إذا سويته، لأغوييهم، لأملأن): من الآية (71) إلى الآية (85). - الزخرف (∅): الآية (62). - المجادلة (∅): الآية (19). - الحشر (∅): الآية (16).
← زمن الماضي 49 فعل / ← زمن الحاضر 51 فعل / ← زمن المستقبل 9 أفعال.

فمن خلال هذه المعادلة نلاحظ أنّ زمن الحاضر يكاد يساوي: زمن الماضي و زمن المستقبل معا تقريبا. من ذلك أنّ 9 (أفعال)+49 (فعلا)=58 (فعلا)، أي أنّ زمن الماضي +زمن المستقبل=58 فعلا، في حين أنّ زمن الحاضر =51 فعلا. فلا محيص من أن نلاحظ أنّ زمن الماضي مجموعا إلى زمن المستقبل يعادل زمن الحاضر تقريبا.

2 - تقنيات القصة المكررة على مستوى الخطاب:

إنّ تحليل القصة الإبلية المكررة في الخطاب القرآني على مستوى الخطاب يعدّ استكمالا للتحليل التقني السردى. لذلك صحّ منا العزم على رصد النظميّة التنضيدية التي يتأسس عليها الخطاب تلك المتمثلة في ما يلي: - أساليب القص: فقصة إبليس المتكررة في الخطاب القرآني تقوم على أسلوب سردي ويضطلع القاص (الله) بالرواية في كلّ الآيات المكررة ونلمح ذلك من خلال قرينة تكررت على امتداد ثلاث عشرة آية تقريبا وهي (قلنا) أو (قال) من ذلك:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ 64

أو قوله تعالى:

﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ 65

فهذه القرينة بمثابة اللّزمة أو قل هي العتبة السردية. وتبعاً لذلك فالسرد في مجمله يتم بواسطة ضمير "نحن" فجُلّ الأفعال التي ألّفت النسيج القصصي منسوبة إلى ضمير نحوي هو (نحن) يقول تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ

فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ 66

أو (خلقناكم/صوّرناكم). مثلما ورد في قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ 67

فقاصّ القصة وهو (الله) في الخطاب القرآني لا يترك زمام الرواية لأي طرف أو فاعل. فهو يتكفّل بالقصّ وبالرواية. ولعلّ السمة البارزة في قصة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني هي قصر المدى. ذلك أنّ ميسم السرد الذي نلحظه هو الاختصار والاختزال. ففي سورة البقرة مثلاً: نجد إبليس يتأبى عن السجود لآدم ثمّ سكون آدم وزوجه الجنّة ثمّ غرور الشيطان بهما فالنزول من الجنّة. ومثل هذا الاختصار تكرر في سور كثيرة منها الأعراف والحجر والكهف وص وغيرها. فهذه الخاصية الاختزالية طبعت الصياغة السردية في القصة التكرارية في الخطاب القرآني.

ومهما يكن من أمر، فإنّ السرد بما هو النمط المهيمن على التقنية القصصية في الخطاب القرآني هو المنسّق بين عناصر الرحلة: الرحلة بين الجنّة والجحيم وبين السماء والأرض. وما تجدر الإشارة إليه أنّه كلّما وقع الانتقال عقبه تعليق إمّا على الشخصية و إمّا على المكان وذلك بتوظيف تقنية جديدة تتمثّل في الوصف. فما حظّ الوصف في القصة الإبليسية المكرّرة؟ إنّ المتأمل في تقنية الوصف يلحظ حضّها الزهيد. فالوصف في القصة الإبليسية ورد باقتضاب خلافاً لتقنية السرد. فالوصف تعلّق بالشخصية المحورية وهي إبليس، وصِفُ جعلها في أسوأ حالاتها. يقول تعالى:

﴿ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ 68

64 سورة البقرة، الآية 33

65 سورة الأعراف الآية 14

66 سورة الكهف، الآية 49

67 سورة الأعراف الآية 10

ومن ثمّة، فالوصف كان من قبيل الوصف المآلي أي المكافأة التي ظفر بها إبليس لما تمرّد على خالقه. ولئن ورد الوصف باقتضاب وكانت سمة السرد الاختصار، فإنّ الحوار نُقل على مهل دون استعجال، وتلك سمة تجعل القصة الإبليلية في الخطاب القرآني تمدّ بصلة للخبر القصصي. فالحوار (dialogue) يطغى على مختلف السور القرآنية التي كرّرت قصة إبليس تقريبا، وهو حوار ثنائي دار بين الخالق ومخلوقه (إبليس).

﴿ قَالَ يَتْلِبِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ (٧٤) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (٧٥) قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَايْنَكَ رَجِيمٌ ﴾ (٧٦) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٧٧) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٧٨) قَالَ فَايْنَكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ (٧٩) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ (٨٠) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨١) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُحْلَصِينَ ﴾ (٨٢) ﴿ 69

كذلك نجد حوارا ثنائيا دار بين الخالق ومخلوقه آدم وحواء من ذلك قوله تعالى:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١١) قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (١٢) ﴿ 70

والملاحظ في هذا الحوار الثنائي أن الشخصية تطلب من الخالق ما توّده، والله يصدر أوامره بما هي جواب لطلب الشخصية. وهذه طريقة أقرب ما تكون إلى السؤال والجواب وهذه الصيغة الحوارية هي وظيفة تعليمية وجدلية تميّز الخطاب الواقعي الوصفي.⁷¹ فالحوار في القصة الإبليلية المكررة في الخطاب القرآني تعليمي لأنّ المتحاورين في وضعية خطابية غير متساوية. فالله بكلّ شيء عليم فهو المالك للمعرفة التي تسعى الشخصية إلى امتلاكها. لذلك يقول "محمد رجب الباردي" " يكون الترابط المهيمن بين أفعال الكلام من نوع سؤال وجواب فأحد المتحاورين يسأل والآخر يُجيب...."⁷²

وإذا رمنا البحث في زمن القص، فإننا نجد أن قاصّ القصة الإبليلية المكررة في الخطاب القرآني ليس مجبرا على رواية الأحداث القصصية حسب الترتيب الذي جاءت عليه في الواقع. ذلك أن الأحداث في

⁶⁸ سورة الأعراف، الآية 17

⁶⁹ سورة ص الآيات 74-75-76-77-78-79-80-81-82

⁷⁰ سورة الأعراف، الآيتان 22-23

⁷¹ محمد رجب الباردي، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2000 ص 31

⁷² إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة ص 31

القصة الإبلية تُقدّم حدثاً على حدث في هذه السورة وتؤخّر حدثاً على حدث في سورة أخرى. ففي سورة الأعراف يقول تعالى :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٥﴾﴾

ويستهلّ القصة في سورة الحجر بقوله:

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٥﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾

كذلك قاص القصة الإبلية القرآنية حرّ في الرفع من سرعة القص أو التخفيف منها. وفي الجملة لا يجري زمن القص/ زمن الخطاب إلا في ضوء الاختيارات التي وضعها القاصّ لنفسه ومن أبرزها، **السرد المجمل (Le sommaire)**: قصّة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني تسرد وقائع أمداء زمنية وأحداث سنوات بتقنية التلخيص والاختصار . من ذلك نجد هذا الشاهد:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴿٣٧﴾ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٨﴾﴾ **73**

فيكم تُقدر المدّة الزمنية التي قضاها آدم وزوجه في الجنّة؟ الجواب غير معلوم. فالقاصّ هنا اختزل الزمن لقطع المسافة الفاصلة بين البقاء في الجنّة والخروج منها. هذا فضلاً عن الوقفة الوصفية **(La pause)**: فمواطن الوصف في قصّة إبليس تكاد تكون منعدمة . فقلّما نعثر في هذه القصة على وقفة وصفية، فنعثر على وقفة وصفية في سورة طه:

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ هُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفْنَ عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَىٰ ﴿٣٥﴾﴾

فالوقفة الوصفية توقّف العملية السردية فتتوقّف الحركة ثم تعود من جديد ، فإذا بالموطن الوصفي يمثّل حاجزا عندئذ تنقطع عملية سرد الأحداث وينقشع الحاجز فتتواتر الأحداث ويبنى السرد. هذا إلى جانب صيغة أخرى وهي المُتمثّلة في : **التواتر**: فالحدث في القصة الإبلية المكررة ليس له أن يُنتج فحسب، ولكن أن يُعاد إنتاجه مرّات ومرّات أيضاً. لذلك يقول جينات (جيرار) " ليس حدث من الأحداث بقادر على الوقوع فحسب بل يمكنه أن يقع مرّة أخرى." **74** من هنا نخلص إلى أنّ لتواتر الحدث في مستوى الحكّي ثلاثة أشكال : **السرد الإفرادي (Singulatif)**: فما حدث مرة يسرد

73 سورة البقرة، الآيات 34- 35- 35

74 خطاب الحكاية ص 129

مرة واحدة و السرد الإعادي (Répétitif): ما حدث مرات يسرد مرة أومرات وأخيرا السرد التكراري (Itératif): فما حدث مرة يسرد مرات. 75 فأين قصة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني من هذه الأشكال السردية الثلاثة؟

- "أبى إبليس أن يسجد لأدم": حدث مرة واحدة لكنه تم سرده مرّات عديدة في سور قرآنية متنوّعة .
 - "سجود الملائكة لأدم": حدث وقع مرة واحدة ومع ذلك ذكر مرّات عديدة .
 - "غرور إبليس بأدم وزوجه": حدث وقع مرة واحدة، ولكنه سُرد مرّات عديدة.
 - "خروج آدم من الجنة": حدث واحد والسرد تم مرّات عديدة .
- وكلّ هذه الأحداث وما سواها حفلت بها سورة (البقرة/ الأعراف/ الحجر/ طه/ ص ...)

لهذا يمكن أن نقول إن القصة الإبليسية المتواترة في الخطاب القرآني " يغلب عليها السرد التكراري. فنحن إزاء حدث يتكرر بين الفينة والأخرى . وإضافة إلى الوقفة الوصفية والتواتر نجد أيضا: المشهد (la scène): فَبَحَثْنَا فِي هَذَا الْعَنْصَرِ مِنْ خِلَالِ قِصَّةِ إِبْلِيسَ يَتَوَقَّفُ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي يَتَوَافَقُ فِيهَا زَمَنُ الْخِطَابِ وَزَمَنُ الْخَبَرِ. وهي الحالة التي تتجلى في الحوار، إذ يقم المتخيل في صلب الخطاب. وإذا ما اعتبرنا أنّ القصة الإبليسية في الخطاب القرآني هي قصة أقوال تتعاش فيه أضرب عدّة أهمّها المخاطبة/ الحوار، وحظّ السرد فيها قليل، فالسرد بذلك كان مُمهّداً أو مُوطّراً أو مُسوِّراً للأقوال. فما أنماط الرّؤية في قصة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني؟

إنّ نمط الرّؤية أو ما يُعبّر عنه "جرار جنات" بـ"المنظور السردى" هي من أهمّ المسائل التي تهّم التقنيّة السردية. 76 لهذا نروم في هذا البحث معرفة موقع القاصّ من محور القصّ أو الشّخصية المحورية في القصة الإبليسية المكرّرة في الخطاب القرآني. فالمُطلّع على السور القرآنية التي فيها تكرّرت قصة إبليس، يلاحظ أنّ القاصّ الذي يقصّ القصة تارة يُدمج ذاته ضمن الأحداث وقد دلّنا على ذلك الأفعال المنسوبة إلى الضّمير "نحن" مثلما يدلّ على ذلك قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِئَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٧٧﴾ .

وبهذا التّعبير القصصي كان الراوي جوانباً. إذّاك وجّه الأحداث وأظهر مواقفه من الأشخاص بدليل قوله:

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنَّا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقَلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ

عَدُوٌّ وَكُفِرُوا فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٧٨﴾ فَلَقِيَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ، كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٧٨﴾ .

75 المرجع نفسه ص 130/131

76 خطاب الحكاية ص 197

77 سورة الأعراف الآية 10

78 سورة البقرة الأيتان 35 - 36

وتارة أخرى نجده (القاص) يقصّ الأحداث دون أن يُدمج ذاته فيها. وفي هذا الإطار يطغى ضمير (هو) الذي يعود على شخصية إبليس: الشخصية المحورية في القصة. من ذلك نجد قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمُ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ 79

فالقاص في هذا الشاهد كان قاصًا خارجيًا إذ هو لا يُشارك في الأحداث إنّما هو عليم بما ظهر وما بطن من الأحداث فهو يُدرك تمام الإدراك عالم الشخصية القصصية. ونحن نتحرّك داخل المنظور الجوّاني والمنظور الخارجي، يتبادر إلينا ضربان من الأحداث نلخصها في الجدول الآتي:

أنماط الرؤية بين التحليل والملاحظة

أحداث مُلاحظة من خارج	أحداث مُحللة من الدّخل	الأحداث أنماط الرؤية
المؤلف للخطاب القرآني وهو قاصّ القصة الإبليسية يحكي القصة من الخارج. فهو ملاحظ يعرف الباطن والظاهر. ومع ذلك لم يكن مُشاركًا في الأحداث.	القاصّ يحكي القصة الإبليسية ويُقِم ذاته في القصّ فيكون ضمير "نحن". فهو المؤلف العليم والمحلّ الثقة يحكي قصة إبليس.	قاصّ حاضر بصفته مُشاركًا في العمل القصصي ومساهمًا في النسيج القصصي في القصة الإبليسية
يُغيب إبليس، النّواة القصصية. وتُصبح مُتحدّثًا عنها. فهناك فاعل يحكي قصة البطل.	الشخصية المحورية تُساهم في بناء قصتها. فبين الفينة والأخرى تستحوذ على الحوار وتُحلّل موقف أفعالها.	النّواة القصصية وهي الشخصية المحورية، غائبة بصفقتها شخصية، عن العمل القصصي فكلّ الأحداث وردت بشأنها أو منها واليها.

وبعد هذا يتّضح لنا أنّ قاصّ القصة الإبليسية في الخطاب القرآني، يعلم أكثر من الشخصية المحورية، بل "أكثر ممّا تعلمه أي شخصية من الشخصيات"⁸⁰. ولا يخفى أنّ أنماط الرؤية وثيقة الصّلة بمصطلح التّبئير (La focalisation)، لهذا سنعمل مقدار جهدنا على دراسة القصة الإبليسية المتواترة في القرآن الكريم من زاوية البؤرة السردية. لدينا من التّبئيرات أضرب ثلاثة وهي: التّبئير الصّفري (La focalisation zéro): ففي هذا المستوى يحضر ضمير غائب في القصة، فالقاصّ اله عليم بكلّ شيء، ينقل ما ظهر وما بطن. هذا إلى جانب التّبئير الداخلي (La focalisation interne): الذي يتّصل بالشخصية: فالقاصّ لا ينظر إلى الأشياء إلاّ بمنظارها. والتّبئير الخارجي (La focalisation externe): يقتصر المبرّ فيه على ما يراه دون الغوص في عمق الشخصية أو التّيه في أقاصي الأمكنة.⁸¹

فإلى أيّ ضرب من هذه الأضرب تنتمي القصة الإبليسية المكررة في الخطاب القرآني؟

⁷⁹ سورة فاطر الآية 6

⁸⁰ خطاب الحكاية ص 201

⁸¹ جيرار جينات Figure III، منشورات Cérés édition _ Seuil 1972-1996 ص ص 314-315

إنّ المتأمل في قصة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني، يلاحظ أنّ القاصّ وهو الله تعالى يُصدر أحكاماً بشأن الفواعل بعد أن يُحاورها وتحاوره. ومن ثمّة فهو يُجازيها بأفعالها وفق منظارها. ولنا في هذا الصّدّد مثال للتطبيق:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٨٢﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾

فمن خلال هذا الشاهد نحن إزاء تبئير داخلي: ذلك أنّ القاصّ والشخصية المحورية لهما منظار مشترك. هذا من جهة الكمّ. أمّا من جهة الكيف، فالمدرّك في هذا التّبئير الداخلي مشروط بذاتية المدرّك. بيد أنّ التّبئير الداخلي في القصة الإبليلية المكررة في الخطاب القرآني لم يُطبّق "بكيفية صارمة" ⁸³ وهو الأمر الذي جعل هذه القصة يطغى عليها التّبئير الصّفري. وحجّتنا في ذلك قوله تعالى:

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٨٢﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٨٤﴾﴾

فما نلاحظه في هذا الشاهد القرآني، هو طغيان الأفعال المنسوبة إلى ضمير الغائب المفرد (هو) من ذلك نجد (أبى، قال، قال، خلقت). والمعلوم أنّ حضور ضمير (هو) في القصة الإبليلية من شأنه أن يؤكّد بؤرة سردية سمتها التّبئير الصّفري الذي كان فيه قاصّ الخطاب القرآني مدرّكا مطلق المعرفة، فهو الله العليم بكل شيء. وأمّا اللّغة فهي الفصحى سواء كان ذلك في الخطاب المباشر الحرّ - وهو خطاب يستعمل فيه الناقّل الكلمات والملافيظ التي تستعملها الشخصية دون نسبتها إليه ثمّ أنّه يوجد تفاعل وتعامل بين قول الراوي وقول الشخصيات.

فالشخصية المنقول كلامها تُعبّر ولا تتلفّظ، أمّا القاصّ فهو يتلفّظ ولا يُعبّر. ونشير هنا إلى أنّ الانتقال من سرد القاصّ إلى أقوال الشخصية لا يحدث قطيعة تلفظية. ⁸⁵ - أو في الخطاب غير المباشر الحرّ، وهو خطاب مزدوج رغم تعلقه بمُتلفّظ واحد هو مقام الناقل. فيه يحضر ضمير [أنا] ومع أنّ هذا النوع يفتقر إلى الأمانة الكاملة، إلاّ أنّه في الخطاب القرآني ليس كذلك وحسبنا في ذلك من أصدق من الله قولاً وحقاً؟ ⁸⁶ وحتىّ إن عدنا إلى لغة الحوار المتداولة بين الفواعل، فإننا لا نجد إلاّ اللّغة القحة. فنتلّون الفواعل وتتنوّع الأحداث، ويظلّ المستوى اللّغوي هو ذاته لا يُدرّكه التّلّون ولا يشوبه الاختلاف. "إنّها

⁸² سورة الأعراف الآيات 10 - 11 - 12

⁸³ Ibid Figure III ص 321

⁸⁴ سورة الحجر الآيات 31/32/33

⁸⁵ ريني ريفارا La langue du récit, introduction à la narratologie énonciative

منشورات L'Harmattan l'Ecole - polytechnique ص 122 .

⁸⁶ المرجع نفسه ص 113

استقطابية لا تتعدّد مستوياتها".⁸⁷ ولا يذهبن بنا الظنّ أنّ اللّغة في قصّة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني وسيلة إبلاغ، بله هي وسيلة تعبير. والوجه في كلّ هذا أنّ الملفوظات (Les énoncés) تعكس الحالة النفسيّة التي يكون عليها المتلقّظ. وعلى هذا النّحو، كانت الخلجات النفسيّة. ولنا في هذا مثال وهو:

﴿ قَدَلْتُهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجِرَةَ بَدَت لهُمَا سَوَاءٌ لِيَهُمَا
وَطَفِقَا يَخْصِفْنَ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَيْتُهُمَا رَبَّهُمَا أَلَمْ
أَهْكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾⁸⁸

فاللّغة في القصّة الإبليسيّة تُحبّذ التّشبيه والتّكرار وما سواهما بالتّشبيه نستدلّ عليه من خلال هذه الآية:

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي
أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾⁸⁹

وأما التكرار فنستدلّ عليه في قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أجمعين ﴾⁹⁰

هذا وقد كانت المجالات التعبيريّة المهيمنة في القصّة الإبليسيّة مُتّصلة اتّصالاً وثيقاً بالمجرّد فغاب المحسوس. لهذا نرصد العبارات التّالية: التّوبة - التّكبر - الكبرياء - الدّم - الانحدار - الغرور - العداء... هذا فضلاً عن مفهوم "التّسطيح". وهو تراكم الأفعال في وظيفة سرديّة تُؤسّس مقطعاً سرديّاً.⁹¹ من ذلك:

﴿ وَتَقَدَّ حَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾⁹²

ففي هذه الآية نجد إحدى عشر لفظاً منها ستّة أفعال هي: (خلق - صور - قلنا - أسجدوا - سجّدوا - لم يكن).

⁸⁷ محمّد رجب الباردي، إنشائيّة الخطاب في الرّواية العربيّة الحديثة: من منشورات اتحاد الكتّاب العرب دمشق 2000- ص 81

⁸⁸ سورة الأعراف الآية 21

⁸⁹ سورة الحشر الآية 16

⁹⁰ سورة ص الآية 83

⁹¹ إنشائيّة الخطاب في الرّواية العربيّة الحديثة. ص 195

⁹² سورة الأعراف الآية 11

خاتمة الفصل الأول

نستطيع وقد أسلمنا هذا الفصل إلى خاتمته، أن ندرك القيمة القصصية لقصة إبليس المكررة في الخطاب القرآني. فقد شكّلت وحدة قصصية مستقلة من حيث أنماط الحكي وسياقاته ومن جهة الشخصيات وعلاقتها فضلا عن الأطر المكانية وخصوصياتها والظرف الزمني ومميزاته. وهكذا حاولنا ولوج الخطاب القرآني من خلال قصة متواترة هي قصة إبليس فأثرناه خطابا فنيا جليلا، خطابا يقصّ قصة قرآنية مكررة، تُبنى في هيكلها ولبّها، في قلبها وقالبها على حقيقة الإنسان في الوجود وتتأسس . والوجه في ما نقول أنّ القصة الإبلية في القرآن الكريم صوّرت أحداثا ووقائع وممارسات وسلوكات تقوم بها الفواعل، تختلف من جهة علاقتها بخالقها مثال: (علاقة إبليس بخالقه: علاقة تمرّد وعصيان، في حين تُعدّ علاقة الملائكة بخالقها: علاقة طاعة وولاء).

وبناء على ما أشرنا إليه، خليق بنا أن نُشير إلى أنّ القصة الإبلية من منظور الخبر والخطاب بما هما تقنيّتان سرديّتان، لا تعني أنّها إخبار أو هي قصة مكررة تدلّ على مفهوم الخبر، بل هي قصة حقّ ووجه الحقيقة فيها أنّها مستمدّة من الواقع. فما نلاحظه في القصة الإبلية المتواترة في الخطاب القرآني هو ضالة نصيب الأحداث. وهو الأمر الذي جعل الأسلوب القصصي، قصّ قول لا قصّ فعل، بل "العلّ الفعل الأغلب فيه هو الكلام ذاته. فالفواعل لا يفعلون وإنما يُفكّرون، حتّى تكاد القصة تنقلب إلى حكاية أقوال أكثر من حكاية أفعال".⁹³

وُشِيرُ إِلَى أنّ القاصّ في القصة الإبلية عرض علينا شخصية "الشيطان" لا يفصلها عن أيّ حدث لذلك لمحا قصة ذات حبكة متماسكة، وقد كان السارد أو القاصّ في القصة الإبلية المكررة نافذا إلى دواخل الفواعل عالما بالوقائع. ومهما يكن من أمر فإنّ التكرار الذي نحن إليه بسبيل، لم يكن تكررًا خلوا من كلّ وظيفة و لا هو تكرر خلّب قلب. إنّما هو تكرر محمّل بجملته من الوظائف. وهي التي سنحاول رصدها في مستهلّ الفصل الثّاني. لذلك نسأل:

ألا يمكن أن يكون تكرر القصة الإبلية في الخطاب القرآني مظهرا من مظاهر التّنبية؟
ألا يكون تكرر الحدث القصصي ضربا من ضروب التّأثير؟
أليس في لغة الحوار المتداولة في القصة الإبلية المكررة شكل من أشكال الحجاج؟

فمثل هذه الأسئلة يمكن أن نعتبرها إطلالة على وظائف التّكرار في قصة حادثتها واحدة وروايتها متشعبة هي قصة إبليس. هذه القصة التي يلحظ فيها "القارئ الحصيف أسلوب المناورة والمداورة في صلب خطاب المحاورة".⁹⁴

⁹³ فرج بن رمضان، خصائص الشكل القصصي. مجلّة الفكر 1997 العدد السادس ص 13
⁹⁴ محمّد بن عياد، المقام في الأدب العربي: مطبعة التّفسير الفنّي - صفاقس كلية الآداب والعلوم الإنسانية. 2004 ص 106

مدخل مفهومي

الوظيفة. (la fonction) هي لفظة متكوّنة من الجذر (و،ظ،ف) و جمعها وظائف ونقول "جاءت الإبل على وظيف واحد إذ تتبّع بعضها بعضاً" بمعنى أنّها لم تحد عن المسار. و هذا ما ينعكس على القصة الإبليسيّة المكرّرة في القرآن، فالروايات كثيرة بيد أنّ الحدث ظلّ واحداً و هو تمرّد إبليس على خالقه. و يقال "وظف فلان فلانا يظفه وظفا إذ تبعه"⁹⁵ وإذا أردنا أن نبحت عن أثر هذا في قصة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني لوجدنا أنّ المعجم القصصي مهما تنوّعت و اختلفت تعابيره الفنيّة تظل كلّ الحكايات تتبّع بعضها البعض من جهة المعنى. و من ثمة تختلف الحكايات و تبقى وظيفتها واحدة.

الأحادية: نقول الأحادية أو الواحد أو الأحد و كلّ منها يعني الفريدة و هو الشّيء الذي لم يكن معه آخر. و الأحادية من الوحدة بمعنى الواحد.⁹⁶ و الأحادية في بحثنا المعنون ب: "قصة إبليس بين أحادية الحدث و اختلاف الرواية" اقترنت بالحدث ممّا يعني أنّ الحدث في القصة رغم اختلاف رواياته و تنوّع تعابيره يبقى واحداً أوحداً هو تمرّد إبليس على خالقه و من ثمة فهو للإنسانيّة عدوّ مبین. ويُقال "إحدى الإحد" بمعنى الأمر المنكر الكبير.

الاختلاف: (Le désaccord) لفظة تتكوّن من جذر (خ،ل،ف) و هو ضدّ الاتّفاق. و المراد بالاختلاف كون المخالفين معاصرين منازعين و الحاصل من ثبوت الضّعف في جانب المخالف في الخلاف، فإنّه كمخالفة الإجماع و عدم ضعف جانب في الاختلاف لأنّه ليس فيه خلاف ما تقرّر.⁹⁷

و الاختلاف الذي نحن منه بسبيل هو اختلاف التّعابير الفنيّة و اختلاف الحكايات حول محكي واحد هو إبليس و عصيانه لخالقه. و الاختلاف هنا لا يُضير النسيج القصصي ذلك أنّ لبّ القصة يبقى ثابتاً لا يتغيّر. فإذا حافظت القصة عن معناها رغم اختلاف الروايات كان اتّفاق العبارات و اختلافها سواء.

الحدث: (L'événement) ينهل من جذر (ح،د،ث) و منه نجد الحديث و الحدث و المحادثة (La conversation). و ما تجدر الإشارة إليه أنّ لفظة الحدث ارتبط استعمالها بالقصص و الحكايات و الأخبار.⁹⁸ وإذا رُمنا البحث في موضوع بحثنا و هو "تكرار القصص في القرآن: قصة إبليس أنموذجاً" نجد أنّ الحدث الرّئيسي هو عدم خضوع إبليس لطاعة الله و من ثمة كان عدوّاً مبیناً. عندئذ ندرك أنّ الحدث في الاستعمال القرآني هو القول عامّة و هو يعني أيضاً القصة الوعظيّة.⁹⁹

⁹⁵ لسان العرب، الجزء السادس ص 4870

محمّد علي التهانوي، *كشاف اصطلاحات العلوم و الفنون*، الجزء الأوّل، تحقيق علي دحروج: سلسلة المصطلحات العربيّة و الإسلاميّة، مكتبة لبنان

⁹⁶ ناشرون. ص ص 116-117

⁹⁷ المرجع نفسه ص ص 110-111

⁹⁸ شارل بلا، *مقال حكاية*، دائرة المعارف الإسلاميّة، الطّبعة الفرنسيّة الجديدة

⁹⁹ المرجع نفسه

مقدّمة الفصل الثّاني

ما من قارئ ذي أنّاة إلّا وهو يشعر عند اطلاعه على الخطاب القرآني برغبة حثيثة متزايدة لمعرفة سرّ تكرار الحكايات والمحكي شيء واحد. فلو ولّينا وجوهنا شطر القصة الإبلّيسية في الخطاب القرآني، لوجدناها حكاية واحدة. بيد أنّ طريقة حكيها وأسلوب التّعبير عنها تغيّرا في زهاء ثلاثة عشر آية قرآنية. فإذا كان في قصة واحدة ووقع في كلام الله حكاية عمّا قال إبليس وعمّا قيل له عندما كان يظهر من عصيانه، فلماذا اختلفت الحكايات وتنوّعت أساليب التّعبير في صياغة الحكاية والمحكي شيء واحد؟¹⁰⁰ فلا ريب أنّ القصة الإبلّيسية المكرّرة في الخطاب القرآني قد أرخت سدولها على القارئ الحصيف¹⁰¹ بشنّى الوظائف ليتعلّم العبرة ويُعلّمها لمريديها.

وطبقا لذلك صحّ منّا العزم على أن نرصد ثلاث وظائف في القصة الإبلّيسية المكرّرة في الخطاب القرآني، بدءا بالوظيفة التّنبهية مرورا بالوظيفة التّأثيرية وصولا إلى الوظيفة الحجاجية. ولعلّ إشارتنا إلى هاته الوظائف فحسب هو تخيير دعاه داع، ذلك أنّ القصة القرآنية بتكرارها وتواترها، ترسخ في أذهاننا أحكاما وهذه الأحكام تتمخّض عن الوظيفة التّنبهية. ثمّ إنّ الكلام في وجه من وجوهه يُعدّ قوّة تأثيرية، فالكلام التّأثيري هو ما عبّرنا عنه بالوظيفة التّأثيرية. ثمّ إنّ من أقوى الحجج هي حجة الشّاهد القولي. ولا قول أحقّ من قول الله مبنوثا في الخطاب القرآني. لذلك تخيّرنا دراسة الوظيفة الحجاجية. هكذا نكون قد برّرنا اختيارنا لوظائف ثلاث تجسّدت في القصة الإبلّيسية المكرّرة في الخطاب

القرآني، حيث كتاب الله المفتوح يتجافى عن المشارب والنّزاعات الانعكاسية الضيّقة.¹⁰² وكيفما تصرفت الحال على حدّ عبارة "ابن جنّي"، فإنّ رصدنا لوظائف قصة إبليس بين أحادية الحدث واختلاف الروايات. وتسليطنا الضوء على هيمنة حضور إبليس في القصة الإبلّيسية المكرّرة في الخطاب القرآني ثمّ توخّي إبليس لإغرائية المناورة في صلب المحاوراة التي بمقتضاها انتقل من التّبعيّة لأدم وزوجه إلى السّلطة عليهما ومن ثمّة كان إعلان الهزيمة وإخلاء المسؤولية. كان بتعلّة فهم القصة الإبلّيسية المكرّرة. لذلك نستجد بالتأويليّة لاستجلاء الدّلالة ونتقيّد بالتداوليّة لفهم المعجم المتداول بين الفواعل في القصة. ونعتدّ بالتلفظيّة لمعرفة تكرار الكلام الذي يتوجّه به الفاعل إلى فاعل ثان قصد التّأثير فيه. ومجمل القول فيما نحن فيه، إنّ فهم الموقع تأويليا وتداوليا وتلفظيا، يُهيئ لنا سبل الاستفادة من كلّ المناهج النّقدية ذات الصّلة بالدّلالة كما سنرى ذلك في متن هذا الفصل.

¹⁰⁰ الخطيب الإسكافي، درّة التّنزيل و غرة التّأويل. برواية أبي الفرج الأردستاني، ط 4 لسنة 1981م: دار الأفاق الجديدة. بيروت - لبنان ص 141

¹⁰¹ المقام في الأدب العربي. ص 106

¹⁰² محمّد بن عياد: مسالك التّأويل السيميائي. الطّبعة الأولى، 2009 مطبعة التّفسير الفنّي، صفاقس - تونس ص 117.

II - وظائف التكرار: قصة إبليس بين أحادية الحدث و اختلاف الرواية

1- وظائف القصة المكرّرة: قصة إبليس أنموذجا

أ. الوظيفة التنبهية:

إنّ المتأمل في قصة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني يلحظ أنّها قصة هداية وإقناع. لذلك فالخطاب القرآني المكوّن لهذه القصة الإبلسية توقّر على وظيفة تنبيهية. ونعني بذلك أنّ الله الذي كرّر حكاية إبليس في أكثر من سورة وبطرق تعبيرية متنوّعة، أبقى على ميزة واحدة هي تنبيه الإنسان المقبل على الخطاب القرآني إلى فهم الواقع الذي يكتنفه. وليس في القصة الإبلسية المكرّرة في القرآن أوامر مفروضة بل إنّ غاية ما نجد وظيفة تنبيهية نابعة من مشاهدات ثابتة تستنبط منها نتائج لازمة.¹⁰³ وأول ما يبيده الخطاب القرآني من صور تنبيهية هو تنبيه النّاس جميعا وتحذيرهم من مكائد الشيطان وحيله. أولم ينعت الله الشيطان بأنّه عدوّ مبين. يقول تعالى:

﴿ وَمِنَ الْآيَاتِ أَنْ تَعْلَمَ حَمُولَةً وَفَرَشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾¹⁰⁴

فمن خلال هذا الشاهد، يتّضح لنا جليّا أنّ الله استعمل أسلوب الأمر (كلوا) وأسلوب النهي (لا تتبعوا) وأسلوب التوكيد (إنّه) في جملة واحدة لينبّهنا إلى أنّ الشيطان منكور لأفعاله ومكروه لذاته ذلك أنّه يُوسوس لكلّ امرئ بالمخالفة لمنهج الله لا سيّما أنّ عداوة الشيطان ظاهرة، خصوصا وأنّها عداوة سابقة. " فقد أنزل الشيطان آدم وحواء من مرتبة الطّاعة إلى مرتبة المعصية وجرّأهما على المخالفة فأخرجهما من الجنّة"¹⁰⁵. لهذا الغرض وربّما بغيره، يُنبّهنا الخطاب القرآني من أن نحتاط من قبول وساوس الوسواس الخناس. ولا غرو أنّ الخطاب القرآني يحمل دلالة التنبهية لجميع الخلق في كلّ عصر وفي كلّ مصر كلّما عدلوا عن المقصود. ويكون ذلك خاصّة إذا ما تحرّكت النّفس وفق شرعية الرّاغب بكلّ معانيها وحببت عن صاحبها طريق ربّه. ولنا هذا الشاهد القرآني نسوقه لتدعيم الفكرة بالمثال.

﴿ وَيَتْلَاكُمْ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾¹⁰⁶ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿١٠٥﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١٠٦﴾ فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ

¹⁰³ عبد الحليم الجندي، القرآن والمنهج العلمي المعاصر. الطّبعة الأولى 1404هـ/ 1984م. دار المعارف القاهرة، مصر ص36

¹⁰⁴ سورة الأنعام الآية 142

¹⁰⁵ محمد متولّي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلّد السابع، أخبار اليوم، قطاع الثقافة ص 3970

بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَيْنِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَتَادِيَهُمَا رِجْمًا آَلَمًا
أَنَّهُمَا عَنِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٦﴾

فلا يخفى أن هذا الشاهد القرآني محمل بالتنبيه والإرشاد من ذلك قوله تعالى متوجّها بالخطاب إلى آدم:

﴿وَيَتَادَمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

فالمولى هنا يرشد آدم وحواء ويُنبيهما ألا يُغيّر وجهتهما ولا يُخالفا أمره ولا يغترا باغراءات الشيطان:

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

فكان الخطاب القرآني في هذا الموضع في شكل نصيحة أو موعظة أو عتاب.¹⁰⁷

وما تجدر الإشارة إليه في هذا الإطار، أن التنبيه والإرشاد لا يخص إبليس وحواء فحسب، بل يتعدى ذلك ليشمل الإنسانية قاطبة. ألا يكون الخطاب القرآني المحمل بالإرشاد والتنبيه ذا طبيعة تأثيرية؟ أليس التأثير ضرباً من ضروب الحجاج؟ ألا يُعدّ الكلام القرآني حجة تدرج ضمن حجة الشاهد القولي؟ ألا يكون الشاهد القولي طرزا من طراز التأثير؟

ب - الوظيفة التأثيرية:

لئن كان التنبيه أكثر روعة للشكّك والمنافق والمخمن، فإن التأثير يحدث من الروعة ما تتخلع له الأفتدة. لهذا يستعمل الخطاب القرآني في القصة الإبلية المكررة أسلوب القسم وذلك لتقرير الأمر الجليل للتأثير في عقول الغافلين. ومن ثمّة يلفت أفهام الداهلين¹⁰⁸. أو كما يقول الإمام عبده: "لتقرير وجوده في عقل من يُنكره ولتعظيمه في شأن من يحتقره " وتنبيه الشعور إلى حكم وأسرار قصّ القصة الإبلية أكثر من مرة وبطرق تعبيرية شتى من ذلك يقول تعالى:

﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَتَّبِعُ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

فالتكرار اللفظي (الحقّ الحقّ) برفع الأول على الابتداء، أي الحقّ يميني، أي أنا الحقّ.¹¹⁰ فأنه يستعمل أسلوب القسم في هذا الشاهد بغية التأثير في العقول الغافلة عن ذكر الله وتتبع وساوس الشيطان. كما نجد الوظيفة التأثيرية كامنة في أسلوب الوعد والوعيد. وذلك في قوله تعالى:

¹⁰⁶ سورة الأعراف: الآيات 18 - 19 - 20 - 21 -

¹⁰⁷ صابر سويسي، مقال بعنوان: المعطن والمسكوت عنه ضمن ندوة " المسكوت عنه" قسم العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفافس أبريل 2009. مراجعة وتقديم محمد الشيباني. نوفمبر 2010 ص323

¹⁰⁸ القرآن والمنهج العلمي المعاصر، ص38

¹⁰⁹ سورة ص، الآية 83

الفيض الكاشاني، كتاب الصافي في تفسير القرآن، تحقيق محسن الأميني ط 1 لسنة 1419هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران ، ص

¹¹⁰ 247

﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا حَمِيْعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾

﴿ فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْغَبْ ﴾ ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ ﴿ 111 ﴾

فإنَّه في هذا الشَّاهد يتوخَّى أسلوب الوعد والوعيد لغاية التَّأثير في الفئة الضَّالَّة. هذه الفئة يتوعَّدها بالعيش الضَّنك والعمى يوم القيامة. في المقابل يؤثِّر في الفئة التي تخشاه وتتبع أوامره بالمأل المحمود. كذلك حصلت الوظيفة التَّأثيرية في خطاب القصة الإبلِيسية المكرَّرة عن طريق العظة. كما ورد في قوله:

﴿ وَلَا يَصَدَّنْكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ﴿ 112 ﴾

فالوظيفة التَّأثيرية في الخطاب القرآني بما هي وظيفة يترتَّب عنها من عمل التَّأثير بالقول (acte perlocutionnaire) تهدف إلى تحقيق قبول القارئ وجهة نظر يتم القبول بها. ولعلَّ التَّأثير الحاصل لدى القارئ قد يكون غير التَّأثير الذي قصده القائل المؤثِّر بقوله أو أقواله. فعندما يقول تعالى:

﴿ اسْحَبُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنْسِبُهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أَوْلِيَّكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۗ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ﴿ 113 ﴾

يحصل للمتقبَّل ردود تفكير وردود فعل كثيرة من قبيل: عدم اتِّباع خطوات الشَّيطان، تطبيق، أوامر الله ونواهيه، تقويم السلوك، مراقبة النَّفس، الابتعاد عن المعاصي. ¹¹⁴ ولما كان التَّأثير الوظائفي يتأسَّس على بنية منطقيَّة، فإنَّ هذا من شأنه أن يُؤكِّد أنَّ الوظيفة التَّأثيرية في عُلاقة وطيدة بالوظيفة الحجاجية.

ج. الوظيفة الحجاجية:

إنَّ المقصود بهذه الوظيفة هو سعي المُحاج إلى أن يكون في حلٍّ عن كلِّ خلاف. وذلك بإخفاء العنصر المشكوك فيه وإحلاله محلَّ العنصر المألوف و البديهي. وهذا من شأنه أن يُؤكِّد أنَّ الخطاب يسير من تلقاء نفسه. ومن ثَمَّة تصبح الفكرة سهلة النَّفاذ إلى الأذهان. ¹¹⁵ وما يمكن التَّنقُّن إليه في قصة إبليس المكرَّرة، أنَّ الخطاب القرآني خطاب إقناعي قائم على الحجج (argumentation) والبراهين (démonstration) الإغرائية، وأيضاً قائم على الحجج المنطقيَّة وأساليب الاستدلال بمهمة توجيه فكر المتلقِّي. فلكي نستدلَّ على الحجج الإغرائية في القصة الإبلِيسية المتواترة في القرآن، نورد هذا الشَّاهد:

¹¹¹ سورة طه، الآيات 120 - 121 - 122

¹¹² سورة الزَّخرف، الآية 62

¹¹³ سورة المجادلة، الآية 19

¹¹⁴ انظر كتاب عامر الحلواني، أسلوبية الوصف والحوار، مطبعة التفسير الفتي صفاقس، ص146

عبد الله البهلول، مقال بعنوان "استراتيجيات السكوت والإسكات في الرسائل المتبادلة بين أبي العلاء المعري وداعي دعاة الفاطميين"، ضمن

¹¹⁵ أعمال ندوة المسكوت عنه. ص170

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَبِّئُكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿١١٦﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١١٧﴾ قَدِ لَبِئْتُهُمَا بِعُرْوَةٍ ﴿١١٨﴾ 116

فالواضح أنّ الشيطان هنا سعى إلى المكيدة والحيلة وتوخى حجة إغرائية بها كسب الرهان وتمكّن من خداع آدم وزوجه مقدّمًا إيّهما إغراءات هي غاية في التّمني وقد دعّم هذه الإغراءات بالقسم، ليُوهم أنّه من النّاصحين. ومن ثمّة كانت هذه الوظيفة الحجاجية الإغرائية محمّلة بأوزار الكفاءة الإقناعية (La compétence persuasive). ولا يخفى أنّ الخطاب القرآني هو الموطئ الذي تنقذ عنده شرارة الحجج المنطقية وذلك لتوجيه الإنسان والتّعديل من سلوكه. ولما كانت الوظيفة الحجاجية تُبنى على سيرورة ثلاثية وهي فكرة فحجة فمثال. فإنّ مثل هذا التّمثلي كان حاضرًا في خطاب القصة الإبلسية.

- **الفكرة:** عداوة إبليس وطغيانه وعصيانه لأمر ربّه. / - **الحجّة:** أمره الله بالسّجود لآدم فأبى وتمرد. / - **المثال:** سجد الملائكة لآدم. إلاّ إبليس فقد فسق عن أمر ربّه. وضمن هذا الإطار نُشيرُ إلى أنّنا قد تبيّنا هذا المسار من خلال الآية القرآنية الآتية:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿١١٧﴾ 117

فالمنطق الحجاجي الذي نستنتجه من خلال هذه الآية القرآنية، هي هذه الحجّة المنطقية: " كلّ من تمرد على أمر الله هو عدوّ للإنسانية. إبليس تمرد على أمر الله، إذن إبليس عدوّ للإنسانية". ويقول تعالى :

﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَتَّبَعُكَ مِنْهُمْ مُجْمَعِينَ ﴿١١٨﴾ 118

ففي هذه الآية نجد أنّ الخطاب القرآني مبنيّ على أضرب ثلاثة: وهي مقدّمة كبرى فمقدّمة صغرى فننتيجة عامّة. نتمثّلها كما يلي:

- المقدّمة الكبرى: من اتّبع الشيطان كان مصيره جهنّم وبئس المصير.
- المقدّمة الصّغرى: الكافرون نسوا ذكر الله واتّبعوا خطوات الشيطان.
- النّتيجة: إبليس والكافرون هم وقود لنار جهنّم وبئس المصير.

وهكذا فإنّ الدّراسة الحجاجية (Etude argumentatif) المطبّقة على قصة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني، وردت على ضربين اثنين: ضرب فيه نجد أنفسنا أمام الحجج الإغرائية التي تبعث على إغراء السّامع وإذعانه، وهو الضّرب الذي استنجد به إبليس للغرور بآدم وحواء بدليل الآية:

116 سورة الأعراف، الآيات 19 - 20 - 21

117 سورة الكهف، الآية 49

118 سورة ص، الآية 83

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْئَلُ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءٌ لَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفْنَ عَلَيْهِمَا مِنْ وُرُقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١١٩﴾ ﴿١٢٠﴾ ﴿١٢١﴾ ﴿١٢٢﴾ ﴾

وأما الضرب الثاني، نحن فيه لا نبرح حدود المنطق المرادف للبرهنة والاستدلال، إذ هو يُعنى بتتبع الجانب الاستدلالي في المحاجة. وحصيلة كل هذا، أنّ التكرار في القصة الإبليسية المتروحة بين أحادية الحادثة واختلاف الروايات وتنوع التعبيرات الفنية. كان ذا معنى، ومعناه أنّ الشيء إذ تكرر تقرر. وتقرير تكرار القصة الإبليسية في الخطاب القرآني، كان بفضل الوظائف التي أداها الخطاب القصصي في قصة إبليس. ذلك أنّ هذه القصة القرآنية لم يُقصد بتكريرها فائدة الخبر على حدّ تعبير البلاغيين.

ومجمل القول، إنّ خطاب القصة الإبليسية، لم يكن ليُعلم الناس التاريخ أو يُورّخ لحادثة ولى زمانها أو ليُنذّر الخلق بشيء من الأحداث. بل إنّ الخطاب القرآني صنع من هذه المواد وظائف متنوّعة، لها معانٍ حقيقيّة مستخرجة من الأساليب التعبيرية المختلفة. واستخراج هذه الوظائف من القصة الإبليسية شبيه باستخراج المعاني المجازية من المعاني الحقيقيّة.¹²⁰ عندئذ يُتيح لنا استخراج وظائف قصة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني، الإجابة عن سؤال اعترض سبيلنا وهو: لماذا اختلفت الحكايات والمحكي واحد؟ فالجواب والعهد على الاسكافي صاحب "درّة التّنزيل و غرّة التّأويل" وعلى محمد أحمد خلف الله صاحب "الفن القصصي في القرآن"، هو أنّ الخطاب القرآني في هذا الموضوع "لم يقصد أداء الألفاظ بأعينها، إنّما قصد ذكر المعاني. "ذلك أنّ الألفاظ إذا اختلفت وأفادت المعنى المقصود، كان اتّفاقها واختلافها سواء"¹²¹

فكلّما وجدنا أنفسنا أمام إشكالية قوامها: لم اختلفت الصّور وتباينت التّعابير الفنية والأدبية في القصة الإبليسية المكرّرة في الخطاب القرآني؟ علينا أن نستجد بالقاعدة الآتية: "ابحث عن المعاني النّواني وأعرض عن المعاني الأوائل".¹²² وبعد الذي سبق ذكره تجدر الإشارة إلى أنّ المتأمل في قصة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني يلحظ أنّ إبليس نواة أسّ لا تغيب عن الأحداث القصصية. فهل سلطة إبليس ونصيبه من الأحداث كان كما أم هل كان فعلا ؟

2- إبليس في القصة الإبليسية: سلطة الكمّ أم سلطة الفعل:

أ - هيمنة حضور إبليس في القصة:

إنّ شخصية إبليس في القصة الإبليسية المتواترة في الخطاب القرآني، تمثّل قطب رحى القصص. شخصيّة تُشعّ بحضورها على كامل القصة. وفي كلّ السّور التي ذُكرت فيها قصة إبليس. فكلّما تكلم إبليس مناورا لآدم وحواء أو محاورا للمولى، غابت الفواعل (آدم وحواء والمؤمنون والكافرون) وكلّما انزاح

¹¹⁹ سورة طه، الأيتان 117 - 118

¹²⁰ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، ج1، منشورات كلية الآداب بمنوبة 2001، ص12

¹²¹ الفن القصصي في القرآن، ص450

¹²² المرجع ذاته، ص452

إبليس عن الأحداث القصصية، احتاج إليه القاص ليحرك فواعل القصة¹²³. فلا محيص من أن نلاحظ من خلال هذه الإشارة أنه كلما تكلم محور القصة (إبليس) سكنت الفواعل الأخرى. وكلما تكلمت الشخصيات الثانوية، كان كلامها موجهاً إلى البطل بتعلة أن يتكلم أو يتكلم عنه. فحتى الحوار الذي دار بين المولى والملائكة، كان إبليس حاضرا فيه بالغياب. يقول تعالى:

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي آلا رَضٍ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾¹²⁴

فلا يخفى أن إبليس في القصة الإبلية المتواترة في الخطاب القرآني هو موضوع الكلام سواء كان إبليس حاضرا في العملية الخطابية أم غائبا عنها. وما تجدر الإشارة إليه أن هيمنة حضور إبليس في القصة الإبلية المكررة في الخطاب القرآني، عنوان دفعنا إليه السؤال الآتي: هل سلطة إبليس في القصة القرآنية هي سلطة كم أم هل هي سلطة فعل؟ فلو تدبرنا خطاب القصة الإبلية المتواترة في بعض السور القرآنية، فنجد شخصية إبليس كانت سلطتها القصصية كما وفعلا. وتبعاً لذلك، نقترح جرداً جدولياً نتبين فيه سلطة إبليس بين الكم والفعل.

إبليس في القصة الإبلية المكررة. بين سلطة الكم وسلطة الفعل.

السور القرآنية	إبليس: سلطة الكم	إبليس: سلطة الفعل
سورة البقرة: من الآية 34 إلى الآية 37 ثم الآيات 208 و 268	- إلا إبليس: إبليس في محلّ مستثنى - أزلهما الشيطان: إبليس في محلّ فاعل - لا تتبعوا خطوات الشيطان: إبليس في محلّ مفعول به، مركب بالإضافة - الشيطان يعدكم: إبليس في محلّ مبتدأ	- إبليس أبى، استكبر، كفر، أغرى، أخرج آدم وزوجه من الجنة. سلطة الفعل تتأسس وفق معجم التمرد والعصيان بدليل الآية: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾
سورة آل عمران: الآية 175	- ذلك الشيطان: إبليس في محلّ فاعل	إبليس يُذَلُّ، يُخَوَّف. بدليل الآية: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
سورة الأنعام: الآية	- لا تتبعوا خطوات الشيطان: إبليس في محلّ	إبليس سلطة فعله تولد عن طريق عداوته للإنسانية، وقد

¹²³ نقصد بذلك جدلية الحركة والسكون فكأما كان البطل متحركاً كانت الفواعل ساكنة لأن البطل يُشع عليها ويدخلها في سياق الأحداث. وكأما كان البطل ساكناً احتاج القاص في القصة الإبلية إلى تحريك الفواعل الأخرى باتجاهه لتتنامي الأحداث. لذلك فإبليس هو قطب رحي القصة في القصة الإبلية المكررة في الخطاب القرآني. انظر كتاب مقاربات منهجية: رسالة الغفران نموذجا، بقلم كمال العزّابو، دار الميزان للنشر 2001/2000، الفقرة الثانية، ص 24.

¹²⁴ سورة البقرة، الآيات 34 - 35

<p>ورد في قوله تعالى:</p> <p>﴿ وَمِنَ الْأَعْلَمِ حُمُولَةً وَفَرَشَا كُلَّ مِمَّا زُرُّكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٤٣)</p>	<p>مركب بالإضافة، مفعول به</p>	<p>142</p>
<p>رفض السجود - الاستعلاء - الطلب (أنظرني) - الوسوسة لآدم وحواء - القسم للإغراء - الفتنة سلطة الفعل تتأسس على التحدي: بدليل الآية:</p> <p>﴿ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (٥٥)</p>	<p>- إلا إبليس: إبليس في محلّ مستثنى - قال إبليس أنا خير منه: إبليس في محلّ فاعل - قال إبليس أنظرني: إبليس في محلّ فاعل - قال إبليس فيما أغويتني: إبليس في محلّ فاعل - وسوس لهما الشيطان: إبليس في محلّ فاعل - دلّهما الشيطان: إبليس في محلّ فاعل - إنّ الشيطان عدوّ مبين: إبليس في محلّ اسم ناسخ - جعلنا الشياطين أولياء: إبليس في محلّ مفعول به.</p>	<p>سورة الأعراف: من الآية 11 إلى الآية 27</p>
<p>سلطة الفعل حصلت من خلال رفض السجود والتكبر على آدم . ومن خلال الطلب أيضا(فأنظرني). لذلك كانت سلطة الفعل منسوجة وفق: الرّفْض، التّكْبَر. وقد ورد في قوله:</p> <p>﴿ قَالَ لِمَ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (١٦) قَالَ فَأَخْرِجْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿١٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿١٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٩﴾</p>	<p>- إلا إبليس أبى السجود: إبليس في محلّ مستثنى - قال لم أكن لأسجد: إبليس في محلّ فاعل - قال رب أنظرني: إبليس في محلّ فاعل - قال رب بما أغويتني: إبليس في محلّ فاعل</p>	<p>سورة الحجر: من الآية 30 إلى الآية 24</p>
<p>سلطة الفعل مردّها الإغواء، الإغراء، المرادة. بدليل الآية:</p> <p>﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١١﴾ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾</p>	<p>- فاستعد من الشيطان الرجيم: مفعول به مركب بالجر - إنّ الشيطان ليس له سلطة على الذين آمنوا: إبليس في محلّ اسم ناسخ(إنّ)</p>	<p>سورة النحل: الآيات 100/99/98</p>
<p>الأفعال التي تعكس سلطة إبليس(رفض السجود لآدم، الفسق عن أمر ربه...).</p> <p>والوجه في ذلك قوله تعالى:</p> <p>﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ</p>	<p>-...إلا إبليس كان من الجنّ...: إبليس في محلّ مستثنى - فسق إبليس عن أمر ربه: إبليس في محلّ فاعل</p>	<p>سورة الكهف: الآية 50</p>

<p>عَدُوٌّ يَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿١١٣﴾</p>		
<p>رفض الخضوع لأدم والسجود إليه، الوسوسة من أجل الإغراء والغرور. بدليل الآية:</p> <p>﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٣﴾ ﴾</p> <p>﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْئَلُ ﴿١١٤﴾ ﴾</p>	<p>- إلا إبليس أبى...: إبليس في محلّ مستثنى - وسوس إليه الشيطان: إبليس في محلّ فاعل</p>	<p>سورة طه: من الآية 113 إلى الآية 117</p>
<p>العداوة، التّحريض، الدعوة: أفعال تؤكّد القيام بالفعل ومن ثمّ توظيف سلطة الفعل. كمثل قوله تعالى:</p> <p>﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُرْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴿١٠١﴾ لَئِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠٢﴾ ﴾</p>	<p>- إنّ الشيطان لكم عدو: إبليس في محلّ اسم ناسخ - يدعو الشيطان حزبه: إبليس في محلّ فاعل</p>	<p>سورة فاطر: الآية 6</p>
<p>أفعال السّلطة تتجلى من خلال (استكبار، الاستعلاء، القسم، فبعضتك...) . والوجه في ذلك قوله تعالى:</p> <p>﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِإِيدِيٍّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٧﴾ ﴾</p>	<p>- ... إلا إبليس: إبليس في محلّ مستثنى - يا إبليس: إبليس في محلّ منادى - قال إبليس أنا خير منه: إبليس في محلّ فاعل</p>	<p>سورة ص: من الآية 71 إلى الآية 85</p>
<p>صدّ/ عادي: فعلان جسّد بهما إبليس سلطته في القصة الإبليسية بدليل قوله تعالى:</p> <p>﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾</p>	<p>لا يصدنكم الشيطان: إبليس في محلّ فاعل</p>	<p>سورة الزّخرف: الآية 62</p>
<p>(استحوذ، أنسى...) سلطة الاستحواذ من قبل إبليس جسّدت سلطة الفعل. بحجة قوله تعالى:</p> <p>﴿ أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾</p>	<p>- استحوذ عليهم الشيطان: إبليس في محلّ فاعل - أنساهم: إبليس في محلّ فاعل - إنّ حزب الشيطان...: إبليس في محلّ اسم ناسخ.</p>	<p>سورة المجادلة: الآية 19</p>
<p>(القول، الأمر بالكفر، إخلاء المسؤولية، الخوف من الرب...) كلّها أفعال تجسّم السّلطة الفعلية في القصة الإبليسية المتواترة في الخطاب القرآني. فقد ورد في السّورة:</p> <p>﴿ كَسَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسٰنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعٰلَمِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾</p>	<p>- قال إبليس للإنسان: إبليس في محلّ فاعل - قال إبليس إنّي بريء منك: إبليس في محلّ فاعل - إنّي أخاف الله: إبليس في محلّ اسم ناسخ</p>	<p>سورة الحشر: الآية 16</p>

ونرى مفيدا في هذا الموضوع من التحليل أن نشير إلى حضور شخصية إبليس في القصة الإبليسية المكررة في الخطاب القرآني كما وفعلا. قد حُطِّيَ بضربين من المدارات: فأما الضرب الأولاني فيتمثل في مدار الفاعلية، فيه هيمن حضور إبليس في الأحداث القصصية. إذ ذلك استحوذ على التسيج الحكائي فكان مدار الفاعلية متوائما وأنظمة الحكاية¹²⁵. ولتأكيد ما نقول أردنا أن نسوق هذا الشاهد:

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيَدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَبُحْكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾¹²⁶

وقد اقترنت صيغة الفاعلية في قصة إبليس الحكائية في كثير من الأحيان بضرب ثانياني أطلقنا عليه تسمية مدار المفعولية. وضمن هذا الإطار كان "إبليس" بما هو الشخصية المحورية في القصة الإبليسية المكررة في الخطاب القرآني مفعولا به. ولا أدل على ذلك من قوله تعالى مخاطبا إبليس:

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾¹²⁷

فلا محيص من أن نلاحظ أن إبليس من خلال هذا الشاهد أصبح في مقام المأمور الذي تسلط عليه الحدث وما عليه إلا التنفيذ. وليس اجتماع هذه بتلك (الفاعلية والمفعولية) في هذا العنصر، أزواجا في بحثنا من باب الاعتباطية (arbitraire)، بل نحن نحاول جاهدين مراعاة الصلة المبررة بين الصيغتين، خشية أن تنقلب هذه الأضرب إلى اختيار شكلي. فالحاصل من كل هذا، أننا عرضنا المدارين: الفاعلية والمفعولية، اللتان أحاطتا بشخصية إبليس في القصة لغاية منهجية هي أن سلّمنا البحث إلى نتائج عقب التحليل¹²⁸. فالمتأمل في القصة الإبليسية المكررة على مدى ثلاث عشر سورة، يلحظ أنّ الأفعال الصادرة عن إبليس كان عددها سبع وثلاثين فعلا. والأفعال الموجهة للشيطان والصادرة عن الخالق، مثل عددها أربعة عشر فعلا. لذلك صحّ منا العزم على أن نقوم بالمعادلة الآتية المحفوفة بهذا الجدول :

النسبة	العدد	التواتر
72,55%	37	مدار الفاعلية
27,45%	14	مدار المفعولية
100%	51	المجموع

- مدار الفاعلية: $72,55\% = 100 \times 37 \div 51$.

- مدار المفعولية: $27,45\% = 100 \times 14 \div 51$.

¹²⁵ جدلية القصة والشعر، ص118

¹²⁶ سورة الأعراف، الآية 19

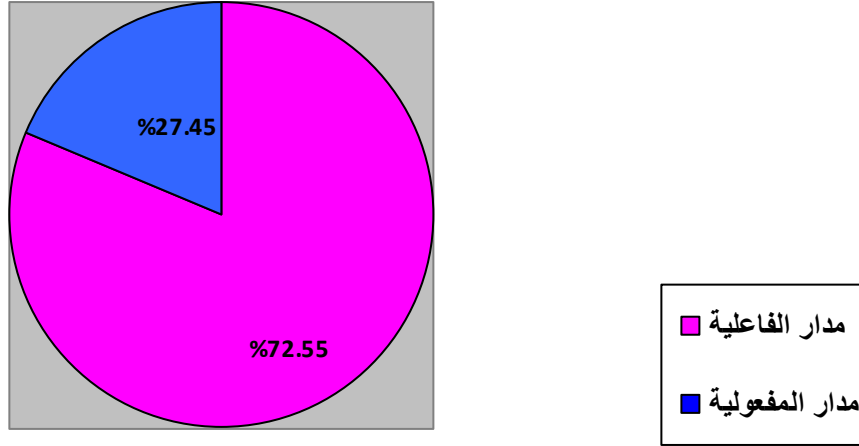
¹²⁷ سورة الأعراف، الآية 12

¹²⁸ جدلية القصة والشعر، ص124

ولعلّ الرّسم البياني الموالي يكون تكملة لهذه المعادلة:

رسم بياني: حضور إبليس في القصة الإبلّيسية المكرّرة في الخطاب القرآني:

" مدار الفاعلية والمفعولية "



وبناء على ما تقدّم، نلاحظ أنّ المفعولية التي حظي بها إبليس في القصّ هي في وجه من وجوها ضرب من ضروب التّبعية. وأنّ الفاعلية التي مارسها إبليس في القصة الإبلّيسية هي نوع من أنواع الاقتدار على آدم وحواء لا على الخالق. حينئذ يتوجّب البحث في طبيعة التّحوّل من حال إلى حال،

ب - إبليس من التّبعية لآدم وحواء إلى الاقتدار عليهما:

لقد صحّ منّا العزم في هذا العنصر أن ننظر في مدى الطّوعية التّأويلية للعلامة الخطابية المنشئة للملايظ (Les énoncés) والمؤنّثة للمقام التّلفظي (contexte d'énonciation) وليس تطرّقنا إلى السّيميائيات التّأويلية (sémiotique de l'interprétation) اختياراً اعتباطياً (Arbitrairement) أو تأنفاً استعراضياً، إنّما هو اشتراط منهجي اقتضته طبيعة مقام الخطاب (discours) الذي انبنى على وجود طرفين اثنين، وهما إبليس من ناحية وآدم وزوجه من ناحية ثانية. وما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، أنّ التّلفظ (L'énonciation) الذي أنشأه إبليس وتوجّه به إلى آدم، تكرر في مواقع كثيرة من السّور القرآنية وبموادّ تعبيرية متنوّعة. وذلك لا يُعدّ علامات متنافرة، بل يجب أن ننظر إليه على أنّه إجراء دلالي.¹²⁹

ولمّا كان التّأويل (L'interprétation) في عُلقه بالسّنن الثّقافي، فإنّ ذلك من شأنه أن يُصير "السّميومز"¹³⁰ من المستوى المباشر إلى المستوى الدّينامي، فالمستوى النّهائي. مستويات ثلاثة لها

¹²⁹ المقام في الأدب العربي، ص 108

¹³⁰ السّميومز: مفهوم ابتدعه سعيد بنكراد ترجمة لمصطلح (Sémiosis)، ونعني به "أنّ المعاني لا تتحدّد بجواهرها، بل تعود إلى الإكراهات التي يفرضها نمط بناء كلّ شكل تعبيرية على حدة...". والعهد على "محمد بن عياد" انظر كتابه "المقام في الأدب العربي" الفقرة الثّانية ص 108.

من الأضرب ثلاثة: بدء بالأسر المقصدي الخطابي مرورا بالأسر المفعم بالمؤهلات المعرفية وصولا إلى الأسر السمّي. ¹³¹ فعندما يقول تعالى:

﴿ وَقَلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ¹³²

لفظة الجنة في هذا الشاهد - في مستواها الأولاني المباشر - خلوة من المقصدية، فهي مازالت في مستواها الأكسيولوجي الخام. لكنّ هذه اللفظة (الجنة) في المستوى الثانياني الدينامي، تشدّ الرّحال في اتجاه المقصدية. فهي المكان الذي يُدرّ خيرا، بدليل قوله تعالى:

﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾

فالجنة تصبح ذات قيمة، وقيمتها في خيراتها الفريدة. وأمّا في المستوى الثالثاني النهائي، اكتملت مقصديتها. ووجه المقصدية فيها أنّها جزاء من الخالق لآدم وزوجه. فأين إبليس من هذا الجزاء؟ فمن نافل القول أنّ إبليس الذي عصى ربّه وتمرد على أمره، كان مآله الخروج من الجنة. فعصيانه وتمردّه على خالقه نُخر يجنيه يوم الحساب. فلا يخفى أنّ إبليس في تبعية لآدم، ذلك أنّ آدم خير منه لاعتبارات جمّة: (فهو الذي أطاع ربّه وهو الذي سكن الجنة فضاء المتّقين، وهو الذي لم يأبى ولم يستكبر ولم يكن من الكافرين). فهو الذات البشرية المعاكسة تماما لإبليس. وما أحوج إبليس إلى أن يكون مثل آدم وزوجه.

ولمّا كان من صفات إبليس المكيدة والحيلة والإغراءات والغرور، فإنّه اتخذ أسلوب المناورة مطية، محاولا أن يُمارس سلطة على آدم ولو تحقّق ذلك في منتصف الطريق. فهل مناورة منتصف الطريق هذه أطروحة حسم ونجاح أم هل هي أطروحة تركيب وتلفيق؟ نقصد ما حظوظ نجاح إبليس؟ وما إمكانيات فشله. وعماد القول، هل تمّ تحوّل الذات الإبليسية من حالة سابقة هي الانفصال عن آدم إلى حالة ثانية هي حالة الاتّصال وفق ترسيمة "كورتاس" وقوامها إيعاز (manipulation) وفعل (action) وتصديق (sentions) وكفاءة (compétence)؟

إنّ التأمّل في قصة إبليس المكررة في الخطاب القرآني من جهة التّواصل والتّفاصل بين آدم وإبليس يُلاحظ أنّ البرنامج السّردي القصصي نهض على شكلين اثنين هما:

- حالة الانفصال (disjonction): الذات الأولى (آدم وحواء) منفصلان عن الذات الثانية (إبليس).

- حالة الاتّصال (conjonction) ¹³³: ذات إبليس تعمل على أن تتصل ذات آدم بموضوع رغبتها.

ومن ثمة فنحن ضمن هذا الإطار نتحرّك وفق ملفوظي حالة (énoncés d'état).

وليكون عملنا أكثر وضوحا أردنا أن نورد هذا الشاهد:

¹³¹المقام في الأدب العربي، ص 112

¹³²سورة البقرة، الآية 34.

¹³³ Librairie Larousse 1966 منشورات A.J.G. Sémantique structurale recherche de métaphorique ص ص 19-20

﴿ وَيَعَادَمُ أَسْكُنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٤﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿١٣٥﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١٣٦﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفْنَ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٣٧﴾ 134 .

فوجود المُخَاطَب/ المتلقّي (allocutaire) نستدلّ عليه من خلال العبارات التالية (نهاكما، ربكما، تكونا، لكما...). وكلّ مخاطب يكون معه بالضرورة مخاطب/متلفظ. فكل تلفظ جليًا كان أو مضمرًا، هو مخاطبة (allocation) أو محاورة تتطلب مخاطبًا بالضرورة. فالضمير المتكلم (الأنا = الشيطان) يدلّ على الفاعل المتلفظ. والضمير (أنت = آدم) هو الفرد الذي يحضر بما هو مخاطب. 135 ولا يخفى أنّ بروز المشيرات الضمائية (أنا - أنت) لا يكون إلّا في عملية التلفظ ومن خلالها. فالضمير "أنا" يدلّ على الفرد الذي تلفظ بالكلام. والضمير "أنت" هو الفرد الذي يحضر بصيفته مخاطب. 136

أليس التلفظ هو قول يقوله قائل ويتوجّه به إلى المخاطب قصد التأثير فيه؟ بلى. لذلك توجّه إبليس بالتلفظ إلى آدم قصد التأثير فيه لغاية السلطنة عليه بعد التبعية إليه؟ فأنى ذلك؟

يُمثّل انتقال إبليس من حالة الاتباع والمفعولية إلى مرحلة السلطنة على آدم وحواء في القصة الإبليسية المكررة في الخطاب المبين، علامة سيميائية مازنة. ذلك أنّنا نلاحظ انقلابًا في الوضعية الإستراتيجية لإبليس، بهدف تجريد آدم وزوجه من موضعهما وسلبهم قيمتهما. وكلّ ذلك كان بدافع أسّ وهو امتلاك إبليس القدرة أو الاستطاعة (pouvoir) على تحويل (transformation) عقلية آدم، ومن ثمة كان دخول الشيطان في عالم يسترجع فيه مجده. وفيه يتحقّق وعده. أو لم يقل (إبليس):

﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٣٦﴾ ثُمَّ لَاتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٣٧﴾ 137

ومما لا شكّ فيه أنّ الأسر بتقليباته وتنويعاته هو سبيل إبليس لتحقيق سيادته على آدم. من ذلك نجد الأسر المقصدي ولا سيّما الضرب المقصدي الجزئي. 138 فلما كان إبليس فاعل إغراء ومكيدة وحيلة،

134 سورة الأعراف الآيات 18 - 19 - 20 - 21

135 يقول إميل بنفنيست ،

« Toute énonciation est explite ou implicite, une allocution, elle postule un allocutaire »

Problèmes delinguistique général,2, منشورات Gallimard 1974 ص 82

136 يقول بنفنيست:

« L'émergence des indices de personne (je_tu) qui se produit dans et part l'énonciation le terme « je » dénotant l'individu qui profère l'énonciation, le terme « tu », l'individu qui y est présent comme allocutaire »

نفس المرجع ص 82

137 سورة الأعراف، الآيات 15 - 16

فقد فاضل وعاین ومن الخطاب انتقى ووازن. فكان تلفظُه (son énonciation) تلفظاً انتقائياً وجيهاً. والانتقاء محمّدة، إلا هنا أي في هذا الإطار. فقد عرف إبليس أنّ الإنسان - ويمثله في القصة الإبلية آدم - مسكون بهاجس الخلود والملك وحبّ البقاء، لذلك كان تركيزه منصباً على هذه النقطة دون سواها. والوجه فيما نقول، نجد قوله تعالى:

﴿ قَوْسَوْسَ هُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَبِّئُكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿١٣٩﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ 139

فلا ريب أنّ إبليس من وراء هذه الوسوسة، يحثّ آدم ومعه حوّاء على تعميق النّظر في المسألة. وضمناً ينتظر منهما ردّ الفعل (L'acte de réaction). إنّها مناورة خداع وعملية هيمنة وبسط للنّفوذ وممارسة السّلطة. فالواضح إذن في الأسر المقصدي الجزئي الذي توخّاه إبليس هو علامة بمقتضاها حصل النّفع المرجى وحقّق إبليس ما يبتغيه كأحسن ما يكون الابتغاء، ألا وهو هبوط آدم وحوّاء إلى الأرض ومن ثمّة كان الخروج من الجنّة. بدليل قوله تعالى:

﴿ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٠﴾ قَالَ فِيهَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤١﴾ ﴾ 140

وإلى جانب الأسر المقصدي نجد الأسر بالمؤهلات المعرفية¹⁴¹. وهنا برز إبليس في هيئة العارف المجيب عن سؤال لماذا؟ لا سؤال كيف؟ فإذا خطر ببال آدم لماذا نهاه ربّه عن هذه الشجرة؟ وجد الجواب عند إبليس الذي أجاب فقال:

﴿ مَا نَبِّئُكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ 142

والجالب للانتباه في هذا الشّاهد، أنّ إبليس ظهر مستأصلاً بالمعرفة عبر الإدراك الجيد للتّفنية اللّفظية. إذ ذاك استدعى أرقى الصّور والصفّات التي يتمنّاها المرء وصعب يدركها، من ذلك صفتي الملك والخلود. والطّريف في هذا الشّاهد أيضاً أنّه يخضع للسنن التلقّظي. فأصل الجملة هنا: [أنا الآن وهنا أقول

¹³⁸ المراد بالمقصديّة الجزئية: هو اقتصار على الجزئية لا الكلّية وهذه الجزئية عادة ما تكون نقطة الارتكاز الجوهرية في العمليّة الخطابية. فالمتلفظ يبني موضوع كلامه بأكمله بالتركيز على ناحية واحدة منه. يجلب من خلالها انتباه السّامع أو المتلقّي. انظر مثلاً قول محمد بن عياد معرّفًا المقصديّة الجزئية في كتابه *المقام في الأدب العربي*، الفقرة الثّانية ص134.

¹³⁹ سورة الأعراف، الآيات 19 - 20

¹⁴⁰ سورة الأعراف، الآية 22 - 23

¹⁴¹ المؤهلات المعرفية ضمن هذا السّباق نقصد بها المعرفيّة الإغرائيّة. فإبليس ضمناً توجه إلى آدم ليعلمه بأنّه أهل مكرمة وقد خصّه الله بالجنّة وعلمه الأسماء كلّها. لكن لا علم له بسرّ إبعاده عن الشجرة وحرمانه الأكل منها، مقابل ذلك يعرف إبليس مكنن الحقيقة ولكن على سبيل المكر والإغراء فحسب. لذلك نحن نتحدّث عن المؤهلات المعرفية الإغرائيّة الكاذبة. انظر كتاب *المقام في الأدب العربي*، فيه يُعرّف "محمد بن عياد مفهوم المؤهلات المعرفية. الفقرة 2 ص112.

¹⁴² سورة الأعراف، الآية 19

ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكون من الخالدين]. ونحن إذ نُشيرُ إلى ذلك فإننا نستدلّ على حُضور المتلفظ من خلال حُضور المُخاطب. من ذلك نجدُ : [نهاكما بدل نهاهما ، ربكما عوض ربهما...]¹⁴³ فالأسر بالمؤهلات المعرفية(المزيفة) يتمثل في أنّ نيل الخلود بمستطاع. ووجه الاستطاعة فيه هو الأكل من الشجرة.

وهكذا انقاد إبليس ومعه حواء إلى وسوسة الشيطان "فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة". ومن ثمة كانت سلطة إبليس على آدم، فكفاءة إبليس (La compétence de diable) هي سلطة إغرائية بلغت أوجها لما انطلقت وسوسة الشيطان وحيلته على آدم، فكانت سلطة الفعل. هذا إلى جانب الأسر بالسمت¹⁴⁴. وضمن هذا السياق كان إبليس يمتلك القدرة على التحكّم في بثّ الفكرة. فكان النداء " يا آدم" وكان الالتماس المتمخّض عن الاستفهام "هل أدلك على شجرة الخلد" كما ورد في قوله تعالى:

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾¹⁴⁵

والمتمائل في هذه الملافيظ الصادرة عن إبليس المتلفظ (L'énonciataire) من جهة الخبر، يُلاحظ أنّ إبليس من أجل بسط سلطانه وسلطته على آدم، توخّى سائر أصناف الحجاج كما يتّضح ذلك في هذا الجدول وهو بعنوان:

صنافة خطابية تؤكد السلطة الإبليسية:

نوع التلّفظ	نوع الخبر	صفة الخبر	طبيعة المتلقّي: صيغة تأويلية احتمالية	وضعية المتلقّي "آدم"	المثال: الشاهد القولِي
تلّفظ تعليمي (énonciation pédagogique)	ابتدائي	خلو من أدوات التأكيد	جاهل	مصدق للقول لأنّ ذهنه خال من الموضوع	﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَن هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ ¹⁴⁶
تلّفظ وعظي	طلبي	يتضمّن أداة توكيد واحدة	غافل	المتلقّي(آدم) بين الشكّ واليقين في قبوله الموضوع	﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ¹⁴⁷

¹⁴³ كاترين كيربرات أوركبوني **L'énonciation de la subjectivité dans la language**

كاترين كيربرات أوركبوني منشورات Librairie Armand , Colin, Paris 1980 ص 40 و 45 .

¹⁴⁴ السمت بالفتح وسكون الميم بمعنى الطّريق أو المسلك والأسلوب الحسن وحسن الأسلوب هنا يكون بعلّة بلوغ المقصد وتحسس الطّريق المستقيم للتأثير في المتلقّي. انظر مثلاً موسوعة **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، ص 971. وكذلك كتاب محمد بن عياد **المقام في الأدب العربي**، الفقرة الثانية ص 122.

¹⁴⁵ سورة طه الآية 117

¹⁴⁶ سورة الأعراف الآية 19

¹⁴⁷ سورة الأعراف الآية 20

والحقّ، أنّ هذه الأضرب الأسرية التي ذكرناها أنفا والتي بمقتضاها، بيّنا سلطة إبليس على آدم وحواء. هي في علة بصنافة ثلاثية أدرجها "أوستين" في ما يُسمّى بالأعمال الكلامية (L'acte de parole) وهي: عمل القول (L'acte de locution)، فعندما يقول إبليس مخاطبا آدم وزوجه:

﴿ مَا نَهَيْكُمَا رَبُّكُمَا عَن هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ 148

يكون قد أنتج معنى مفاده تقديم معرفة كان يجهلها آدم. غير أنّ عمل القول هذا، الضابط لمعنى والمحيل على مرجع (référence) في الطّبيعة (الشجرة) يتجاوز حالة النّصح إلى الإغراء من أجل الإطاحة بآدم ونسف مكانته، ومن ثمّة ممارسة السّلطة عليه. لذلك فالعمل الذي أنجزه المتلفظ، طبق أحكام النّحو والصّرف يُفضي إلى إنتاج المعاني (Les senses) بالمفهوم التّقليدي المتمثّل في ضبط المعنى وما يُحيل عليه من مرجع 149 .

وهذه إفادة ندركها بالقرائن السياقية (justifications contextuels) لتحديد قصدية المتلفظ، فإبليس وهو المتكلّم ضمن هذا السّياق، غرضه من هذا الكلام هو تشويه مكانة آدم والحطّ منها. إنّه ضرب من ضروب الممارسة السّلطاوية. هذا فضلا عن العمل المقصود بالقول (l'acte d'illocution) فعندما يتوجّه الشيطان بالكلام إلى آدم:

﴿ قَالَ يَتَّادُمُ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَّا يَبْلَى ﴾

يكون العمل المقصود بالقول هنا، دعوة آدم المخاطب إلى اتّباع طريق الخلود والملك. لهذا يُعرّف أوستين العمل المقصود بالقول على النّحو الآتي: "العمل المقصود بالقول هو الذي يتحقّق ونحن نقول الأشياء خلافا لعمل القول" 150 وبالفعل، فقد تحقّق الفعل، فعل السّلطة والتّسلّط من قبل الشيطان وهو يقول الأشياء. - هذا إلى جانب التّأثير بالقول (l'acte per locution) والتّأثير القولي هو ضرب من ضروب ممارسة السّلطة فهو الأسلوب الذي اعتمده الشيطان ليغري آدم. من ذلك قوله:

﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ 151

148 سورة الأعراف، الآية 19.

149 يقول ج.ل. أوستين:

L'acte de locution « la production de son appartenant à un vocabulaire et à une grammaire et auxquels sont rattachés un « sens » et une « référence » c'est-à-dire une « signification » au sens classique du terme ».

Quand dire c'est faire منشورات Seuil 1970 ص 28

150 يقول :

« Produit en disent quelque chose, et consistant à prendre manifeste comment les paroles doivent être comprise en ce moment ».

Loc.Cit. ص 128

151 سورة الأعراف، الآية 20

فلا شك أنّ هذا الشّاهد محمّل بمحاولة الإقناع والحمل على الاعتقاد وإنارة السبيل. ولا يخفى أنّ محاولة الإقناع هنا هي محاولة إغرائية توخّاهما الشيطان ليُخرج آدم من الجنّة. فقد بذل فُصاره ليجعل آدم يعتقد أنّ إبليس كان له من النّاصحين. وبذلك يكون إبليس قد أثار السبيل، سبيل تحقيق سلطته ومن ثمّة انتقل من التّبعية لآدم وحواء إلى التّسلط وممارسة السلطة عليهما. لهذا يشير "أوستين" إلى أنّ العمل القولي التّأثيري هو العمل الذي ننتجه أو ننجزه بواسطة قول شيء من الأشياء.¹⁵² وتبعاً لذلك أعلن الشيطان هزيمة آدم أمامه، ومن ثمّة تركه يتحمّل مسؤوليته لوحده، فكلّ امرئ شأنه وشأنه يُغنيه.

ج: إعلان الهزيمة وإخلاء المسؤولية:

الهزيمة التي عنها نتحدّث، هي هزيمة اقتراح الفعل، أو لنقل هي هزيمة في الواقع. هزيمة ناءت على آدم وحواء بكلّكلها. ولعلّ الحديث عن الشيطان الذي غالط آدم وكان السبب في خروجه من الجنّة والنزول إلى الأرض، هو حديث عن الذات الإبلسية في شكل فني يتضمّن عمق الموقف وكثافة الإيحاء¹⁵³، فإبليس الذي أخرجه الله من الجنّة وقدم خيراتها لآدم عطاء حساباً، رأى (أي إبليس) أنّ في ذلك ضعفاً له، فما كان منه إلا أن تدبّر أمره وخاطب آدم خطاباً مزدوجاً: خطاب في حدود الظاهر وخطاب يغوص في أعماق المومأ إليه. وتلك أشكال تخوّل لنا الغوص في التّأويل. ونستدلّ على ذلك بقوله:

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٥٤﴾

نستضيء هنا بالمعجم اللفظي ومنه نستقي الدلالة، فنلمح في هذا الشّاهد ثلاثة مصطلحات هي من الأهميّة بمكان وهي: (أزلهما - أخرجهما - اهبطوا)، فالفعل "أزلهما" فاعله إبليس والمفعول به هو آدم وحواء. وهو فعل في أبعاد معانيه يعني نجاح الخطة المناوريّة الإبلسية. إذ ذلك، أغرى إبليس آدم بأنّ سبيل الخلود هو الأكل من الشجرة. وبهذه المناورة الخداعيّة انقاد آدم وراء وسوسة الشيطان، فانطلت عليه الحيلة. وحينئذ شهد هزيمته وتحمّل مسؤوليته. أولم يقل له الخالق:

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٥﴾

¹⁵² يقول:

« L'acte de perlocution produit par le fait de dire quelque chose, c'est-à-dire que l'acte donne lieu à effets »

Loc.Cit ص 28

عبد الرزاق الهمامي، الحكاية والتأويل، أطروحة دكتورا بإشراف حسين الواد، جامعة تونس الأولى، كلية الآداب بمنوبة، جوان 1999،

ص 304¹⁵³

¹⁵⁴ سورة البقرة، الآية 35.

¹⁵⁵ سورة البقرة، الآية 34

فالإخلال بالوعد واتباع خطوات الشيطان هي هزيمة من الدرجة الأولانية، ثم إن الفعل "أخرجهما" احتلّ فيه إبليس مرتبة الفاعل، فكان آدم وحواء من نصيب المفعول به، لا المفعول به من نصيب آدم وحواء. وهذا قول مقول لا قول للمقول. فالتأمل في الفعل "أخرجهما" يلحظ أنه فعل محمّل بأوزار دلالية، أهمها على الإطلاق الشعور بالقهر والذنب، لذلك قال:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ 156

فعصيانه لأمر ربّه وانسياقه وراء خطوات الشيطان، أمر جعله يُحسّ بذنب كبير ويشعر شعور المقهورين المنهزمين النادمين. 157 وهذه هزيمة من درجة ثانية.

وأما فعل "اهبطوا" فهو أمر، والأمر فيه هو الله والمأمور هو آدم ومعه حواء. ولعلّ الدلالة التي يُحقّقها هذا الفعل الوارد في صيغة الأمر ضمن هذا السياق هو حركة النزول، ومن ثمّة يحلّ منطق الأسافل محلّ منطق العلو، أي توديع الجنّة ومفارقة ملذّاتها والنزول إلى الأرض وتحمل مشاقّها. فآدم قد عصى أمر ربّه، ذلك أنّ الله أخبره بالأمر بآدم لا يقرب وزوجه الشجرة وأن لا ينفاد وراء وسوسة الشيطان. بدليل:

﴿ وَيَتَادَمُ أَسْكَنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ 158

بيد أنّ آدم أغراه الشيطان وحقّق رغبة "كلّ ممنوع مرغوب فيه"، وأكل من الشجرة

﴿ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا مَخَصِبَيْنِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾

. وهذه هزيمة من درجة ثالثة. وبهذه الدرجات الانهزامية الثلاث، نتبيّن إعلان هزيمة آدم وحواء أمام إغراءات إبليس ووسوسته. ووجه العلنية هنا هو إخلاء المسؤولية، ذلك أنّ إبليس ترك آدم وحواء يعمهان في قهرهما وغاب عن الأحداث غياب دفع بآدم إلى "البحث عن الجواز" 159. فما كان عليه إلا أن يتحمّل مسؤوليته "وما الله بظلام للعبيد". فما السبيل لتجاوز هذه المعصية؟ لا شيء أجلب إلى الذهن من أن يلتمس آدم الغفران من الله. وهذا هو الطّريق الذي سلكه. إذّاك ورد في الخطاب القرآني:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ 160

فآدم لما التمس من الله المغفرة لم يقل "ربّ لقد ظلمنا الشيطان"، وإنّما قال "ظلمنا أنفسنا". وهذا ما عبّرنا عنه بتحمّل المسؤولية.

156 سورة الأعراف، الآية 22

157 نقصد هنا أنّ العالم الذي يتحرّك فيه آدم هو عالم القهر، عالم القمع. ذلك أنّ إبليس مارس عليه سلطة قمعية عن طريق الأسلوب الإغرائي والأفكار المغرية، فالخلود والملك قيم وجودية لأجلها يسيل اللعاب. لهذا وظّفها إبليس ليهزم آدم ومن ثمّة يُخرجه من الجنّة. ولما عرف آدم أنّ الشيطان كان له عدوّ مبيها، وقتها تجرّع طعم الهزيمة. انظر مثلا كتاب عبد الرزاق الهمامي، الحكاية والتأويل: الفقرة الثالثة ص322.

158 سورة الأعراف، الآية 18

159 توفيق بكار، في تقديمه لرواية السند لمحمود المسعدي، ص13

160 سورة الأعراف، الآية 23.

خاتمة الفصل الثاني

وبعد - وقد أسلمنا الفصل الثاني من عملنا إلى خاتمته. قد عرفنا سرّ التكرار: تكرار قصة أحادية الحادثة. وهو أنّ الشيء إذا تكرر تقرر، وإذا كان المعنى ثابتا لا متغيرا كان اتفاق الألفاظ واختلافها سواء. ¹⁶¹ ومن ثمة لا نشط في القول ولا نجانب الصواب في شيء إذ نحن حصرنا البنية اللوجيكية (البناء المنطقي) في العمل الخطابي المتبادل بين إبليس وأدم وما يشوبه من دياكتيكية. وفي هذا الإطار يستوي البعد العلائقي بعدا قائما في قلب المساعدة ، عن جوهر العلاقة البيذاتية كما يتضح ذلك في قوله:

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ¹⁶²

وهكذا فإن الاستعانة بالمفاهيم الفلسفية، كان لها الفضل الكبير في مساعدتنا على استجلاء الأنماط العلقية ونظام التراتبية الذي نشأ بمقتضاها. ¹⁶³ فكانت تراتبية الهيمنة الإبلسية من جهة الحضور في القصة، ليلبها مباشرة ضرب لعصا الترحال ، ترحال من التبعية لأدم وحواء إلى السلطة عليهما. وإذا نظرنا في هذا التحوّل من التبعية إلى السلطة، عبر أجزاء القصة الإبلسية المتواترة في الخطاب القرآني. أمكن لنا القول، إنّ هذا الوضع المتحوّل (Léta changeable) مرشّح لتحقيق هزيمة أدم وإخلاء المسؤولية له. وفي هذا الهامش من المألّ الحاصل، كانت رغبة أدم ومعه حواء في الاتّصال بالذات الإلهية طوعا. مؤكّدان بذلك، أنّ الانفصال عنها كان كرها، وهو ما تؤكّده الآية:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ¹⁶⁴

هكذا تبدو لنا القيمة الفنية في المناورة الحوارية، تقنية خطابية قوامها الإخفاء والمراوغة. ¹⁶⁵ ومن ثمة كانت قصة إبليس المكررة من هذا المنظور القصصي، قصة أتاحت لنا فرصة الفهم. والفهم هنا بالمنظور التأويلي. "فكان العثور على المعنى من جديد" ¹⁶⁶ بتعلّة معرفة القصدية من المراوغة الخطابية. والحقّ كلّ الحقّ هو معرفة الآخر من وراء خطابه. فلئن أسلم أدم قياده للشيطان معتبرا كلامه شرعية، فقد اتّضح في خاتمة المطاف أنّ كلام إبليس خلو من كلّ شرعية. لهذا يقول محمّد بن عياد: "الفهم يزداد فهما كلما تطلّع إلى مزيد من فهم الآخر الأكثر أصالة أو إلى أكثر ما ينطوي عليه الآخر من أصالة" ¹⁶⁷. فدونك الآن الفصل الثالث يا قارئ.

¹⁶¹ سورة التّنزِيل و غزّة التّأويل، ص 141

¹⁶² سورة الحشر، الآية 16

¹⁶³ المقام في الأدب العربي، ص 167.

¹⁶⁴ سورة الأعراف، الآية 22.

¹⁶⁵ أنظر كتاب المقام في الأدب العربي: فصل القيمة الحجاجية والإخفاء الإيديولوجي، فقرة 3، ص 191.

¹⁶⁶ المقام في الأدب العربي، ص 192

¹⁶⁷ المرجع نفسه، ص 192.

مدخل مفهومي

الدلالة: المقصود بالدلالة هو ما يفهم من غير قصد من المتكلم. فالدلالة إذن هي فهم المراد وفهم المعنى من اللفظ وما سواه. لهذا يمكن أن نطلق على مفهوم الدلالة فحوى الخطاب.¹⁶⁸

اللفظ: ينهل من جذر (ل،ف،ظ) و الفعل منه تَلَفَّظَ. واللفظ هو واجب بمقتضى عقد قانوني. واللفظ لا بُدَّ أن يكون منجزا (Exécutée). من جهة التصنيف نجد اللفظ المعطل (terme suspensif) (Le terme extinctif) وهو وثيق الصلة بالتأريخ. هذا إلى جانب اللفظ المسقط (Le terme extinctif) الذي يُطلق عليه "ابن هشام الأنصاري" اللفظ المهمل. وبذلك فاللفظ وحدة تليق (Le terme est une unité de dénomination) ينتمي إلى علم المصطلحات (La terminologie).¹⁶⁹ فما الجملة؟

الجملة: تتكوّن من الجذر (ج،م،ل) وهي سلسلة من المواضع يربط بينها عامل ويحدث في مكوناتها الإعراب.¹⁷⁰ وتعدّ الجملة أيضا وحدة تركيبية تتميز سيميائيا بكونها مستقلة دلاليا وصوتيا وتتطلب الجملة تكلف أثناء تغيير طبقة الصوت. (Phrasé de modulation) وتتميز كذلك بكونها تحمل افتراضات عدّة ومع ذلك تبقى الخصيصة الصوتية ثابتة. فهذان المقاربتان (Ces deux proches) أن يُحددا معنى الوحدة التركيبية.¹⁷¹

السياق: هو لفظة تتكوّن من الجذر(س،و،ق) وما يهمنّا هو سياق الكلام أي الأسلوب الذي يجري عليه الكلام. والسياق البعيد في المنطق هو شكل من أشكال القياس يكون الحد الأوسط فيه مسندا في المقدّمة الكبرى ويكون مسندا إليه في المقدّمة الصغرى.¹⁷²

¹⁶⁸ **كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم،** ص ص 787-788

¹⁶⁹ انظر أ.ر.بي و جون دي بوف الذان أوردا ما يلي:

Le terme est une dette est retardée par contrat ou par la loi et doit etre exécutée (terme suspensif) date à la quelle est fixée l'extinction d'une obligation (terme extinctif) . Le terme est l'expiration d'un délai « tout ce qui est payable par année ona des termes périodiques plus court ». Le terme unité de dénomination appartenant à une terminologie . Il ya d'autre terme qui donnent une équivalence à l'aide d'autre mots .

Le petit Robert منشورات Revue 1992 ص 1945 .

¹⁷⁰ **المعجم المفصل في اللغة و الآداب،** ص ص 532-533

¹⁷¹ ذهب كلّ من أ.ج.قريماس و ج.كورتاس إلى القول:

La phrase c'est une unité de la chaine syntagmatique caractérisée sémantiquement par l'autonomie relative de sa sinificaton et phonétiquement par présence de démarcateus de nature prosodique(pause et phrasés de modulatin) .

La phrase peut comporter plusieurs propositions et que les critères phonétiques restent incertains. Ces deux approches cherchent en effet à spécifier la phrase par autre chose que cequ'elle est une unité syntaxique.

Sémantique dictionnaire raisonné de la théorie de language منشورات Hachette 1993 ص 280

¹⁷² حسن سعيد الكرمي **قاموس الهادي إلى لغة العرب،** الجزء الثاني، الطبعة الأولى 1411 هـ/ 1991 م دار الطباعة و النشر بيروت - لبنان، ص 408.

مقدمة الفصل الثالث

خارجة عن الصّف بلا ريب، القصة الإبلية المتواترة في الخطاب القرآني. فالمعمار القصصي فيها من أين يُؤتى؟ إنّ سرّ الصنّع في ذات المصنوع وذات المصنوع، لفظ متعاود وجمل مكرّرة وسياق متواتر. وكلّها آيات من الفنّ، بها تشكّل الخطاب الإعجازي في قصة إبليس. وقد شاع تكرار الألفاظ المؤتلفة وتعدّد تواتر الجمل المتشابهة وتنوّعت السياقات المتخالفة في قصة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني، شيوعاً أضحى بموجبه التكرار آلية تقنية.

فأمّا الضرب الأوّل الذي نقصد، هو تكرار اللفظ في السور القرآنية التي تواترت فيها قصة إبليس. فالبيّن، أنّ الخطاب القرآني في مجمله تمّ فيه "استعمال اللفظ في المعنى اللغوي نفسه"¹⁷³. وتبعاً لذلك، كانت ذخيرتنا على مستوى اللفظ، ألفاظ تتواتر بحروفها الأصول أي بجذورها. وهذا ما عبّر عنه عامر الحلواني بـ"التكرار الجذري"¹⁷⁴. هذا فضلاً عن التكرار غير المباشر أو التكرار الحرفي مع المبادعة والفصل بالأداة¹⁷⁵ وما سواه. وأمّا الضرب الثاني الذي وسمناه بتكرار الجمل، فيه نجد الجملة الاسمية والفعلية. وهذه الأنواع من الجمل وردت في مجملها متشابهة في زهاء ثلاثة عشر سورة قرآنية. وممّا لا شكّ فيه أنّ الألفاظ في قصة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني وإن اختلفت وأنّ الجمل في هذا الموضع وإن تشابهت، تبقى جميعاً آليات تقنية لها سياقها الخاص الذي تنزلت ضمنه. لذلك رأينا أنّه من الجدوى، النظر في دلالة الانتلاف في القصة الإبلية من جهة السياق حتّى يكتمل البناء المنهجي.

ولئن وجدنا أنفسنا وجهاً لوجه مع السؤال: ألا ينضاف معنى جديد إلى الألفاظ والجمل والسياق رغم انتلافها؟¹⁷⁶ فإنّنا نجيب بشبه يقين: إنّ انتلاف الألفاظ والجمل في قصة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني يحافظ على المعنى ذاته. وذلك وفقاً للقاعدة الآتية: نفس اللفظ أو نفس الجملة في نفس السياق، يُؤدّي حتماً إلى نفس المعنى. وبناء على ما تقدّم يمكننا القول، إنّ التكرار ضمن هذا الإطار، هو عملية جمع لا عملية ضرب.¹⁷⁷ لهذا نحن نتحرّك وفق تكثيف مادّي وهو التّكثيف على مستوى العدد.¹⁷⁸ فلا ريب أنّ طرقنا باب دلالة الانتلاف في قصة إبليس المكرّرة على مستوى اللفظ والجملة والسياق، يفتح لنا الآفاق أمام آيات مهندسة الشكل لعوب. يمضي بنا اللفظ في السور القرآنية ثمّ يؤوب. والجملة تُعلّق وتُسوّف والسياق ثابت لا يُفاجئ. وما عرضنا ذكرنا هذا، فمن التحالف الدلالي لفظاً وجملة وسياقاً ما لا يخفى عن نظر الفاحص.

¹⁷³ عامر الحلواني، *جمالية الموت*، الطّبعة الأولى، جوان 2004، مطبعة التّفسير الفنّي صفاقس - تونس، ص 155

¹⁷⁴ *جمالية الموت*، ص 159

¹⁷⁵ حاتم عبيد وظانف *التكرار في القرآن*، شهادة الدّراسات المعمّقة: إشراف محمّد الهادي الطرابلسي، السنة الجامعية 1996/1997، ص 73

¹⁷⁶ انظر كتاب عامر الحلواني، *جمالية الموت*، الفقرة الأولى، ص 158.

¹⁷⁷ محمّد الهادي الطرابلسي، *خصائص الأسلوب في الشّوقيات*، منشورات الجامعة التّونسية: المطبعة الرّسمية للجمهورية التّونسية،

1981، ص 62.

¹⁷⁸ المرجع ذاته، والصّفحة نفسها.

III - دلالة الانتلاف في تكرار قصة إبليس:

1 - على مستوى اللفظ

إنّ الدلالة التشابهيّة لا تتمّ بواسطة فعل القراءة فحسب، وإنّما تتمّتها تجري كذلك على نطاق تشابه الوضعيات.¹⁷⁹ في حيز النسيج القصصي. ولتأكيد هذا الرأى، بوسعنا أن نستدلّ بنماذج تطبيقية مستوحاة من القصة الإبليسية المتواترة في الخطاب القرآني. ولا أدلّ على ذلك من تشابه التلازم (La similitude de convenance)¹⁸⁰ بين اللفظين المؤتلفين. والانتلاف ضمن هذا الإطار، كان بحكم اشتراك العبارتين في الحروف الأصول وهذا ما وسمناه بالاشتراك الجذري بين الألفاظ. وهذا الأفق الذي قصدنا ليس قصداً به اعتدنا، وإنّما تكرار هذا الضرب الفني التقني ظلّ ويظلّ وعلى الدوام يظلّ حلماً جميلاً من أجله سنوغل في الدرب، بُغية إيجاد الدلالة. هكذا إذن ينمو الجذر داخل اللفظ. فإذ اللفظ لا يُساييرُهما إلا ضرب من ضروب الانتلاف الجذري. وقد وسمنا ذلك كذلك لأنّ الكلمات من فينة إلى فينة تعاد بجذورها لا بحر فيتها.¹⁸¹ ونستدلّ على ذلك من خلال قوله تعالى:

﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٥٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٥١﴾ ﴾¹⁸².

فاللفظ ومن ورائه التكرار هو الذي يُتيح لنا تأويل الوضعية لتفسير الدلالة. ففي هذا الشاهد نجد ضرباً من ضروب التكرار وهو " التكرار الجذري"، حيث تكرر الجذر (س، ج، د) مرتين. إذ ذاك تألف منه الفعل (سجد) في قوله "سجد الملائكة..." ونسج منه المفعول معه (مع الساجدين) في قوله "...أبى أن يكون مع الساجدين". فقد ساعد التكرار في هذا الموضع على ترسيخ دلالة رفض الشيطان لتعليمات خالقه. فالمقابلة السياقية الظاهرة في الشاهد القرآني المذكور آنفاً، تكشف لنا خروج إبليس عن صفّ الملائكة. وقد تأكد ذلك من خلال التكرار اللفظي (سجد/ الساجدين) الذي دلّ أيضاً على عناد إبليس وتمردّه وعصيانه. وهكذا جاء الحديث عن الشيطان بالاستثناء (إلا إبليس)، فالاستثناء هنا كان بتعلّة الخروج عن طاعة الله، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان تكرار اللفظين المؤتلفين في الجذر (سجد/ الساجدين) في الشاهد الذي ذكرناه، أسلوباً تقنياً أراد به الله أن يُذكر الخلق في كلّ مرّة بكبرياء الشيطان واستعلائه. فما

¹⁷⁹ هذا ما ذهب إليه محمّد بن عياد في إطار حديثه عن البعد التشابهي فهو القائل "إنّ الاحتكاك الثقافي لا يتمّ عن طريق فعل الكتابة بقدر ما يجري على نطاق تشابه الوضعيات في حيز الفعل القرآني..." انظر كتابه *مسالك التأويل السيميائي*، فصل أبعاد الرؤية، عنصر البعد التشابهي الفقرة الأولى، ص 134

¹⁸⁰ تشابه التلازم: يعني بالتشابه التحالف أو الانتلاف وتعني بالتلازم ملاءمة الشيء الأول للشيء الثاني. ومن هنا تتولّد عُقْلة بين الشئيين المتشابهين ولعلّ هذه العُقْلة أو هذه الصلّة المنعقدة بين المتشابهين مردها التجاور المكاني. ولا أدلّ على ذلك من كثرة الكلمات أو الألفاظ المتشابهة والمتجاورة

لبعضها البعض في القصة الإبليسية المكررة. انظر كتاب محمّد بن عياد *مسالك التأويل السيميائي* الفقرة الأولى ص 135

¹⁸¹ يقول عامر الحلواني " عندما تتكرر هيئة مغايرة وصيغة صرفية مختلفة، يُصيبها تغيير ينال من إحدى مقولاتها النحوية أو الصرفية أو كليهما معاً، فنحن إزاء تكرار جذري لأنّ الكلمات تعاد بجذورها لا بحر فيتها". ورد في كتابه *جمالية الموت*، الفصل الثاني أساليب التأثير ووظائفها، عنصر

التكرار في مستوى الكلمة، الفقرة الأولى، ص 159

¹⁸² سورة الحجر، الآية 31/30.

انتلاف اللفظ في هذا الموضع بصيغة تكرارية، إلا دليلا على أنّ التكرار تعليل لعملية الإباء والاستكبار من قبل إبليس. ¹⁸³

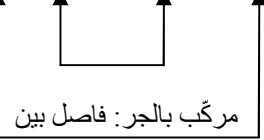
والى جانب التكرار الجذري للفظ، نجد ضربا ثان من التكرار اللفظي وهو: " التكرار اللفظي الحرفي مع المبادعة والفصل بالمركب". نقصد بهذه التسمية التي أطلقناها على هذا الضرب من ضروب التكرار اللفظي، أنّ الكلمة تكرر بحرفيتها، حيث حافظت كلّ لفظة على الحروف ذاتها التي تألفت منها شبيحتها. ومن هنا تأتي التكرار الحرفي للكلمة. ونعني بالمبادعة والفصل بالمركب، أنّ اللفظتين المتكررتين تباعدتا جرّاء الفصل بينهما بنوع من أنواع المركبات. فالنوعية التركيبية التي تتوسط العبارتين هي تركيب واصل فاصل، يفصل بين الكلمتين من جهة المسافة ويوصلهما ببعضهما البعض من جهة الحرفية والمعنى. ولنكون على روي، لنا أن نعتدّ بهذا الشاهد:

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ ¹⁸⁴

فلا محيص من أن نلاحظ أنّ الفعل (خلق) تكرر مرتين في هذا الشاهد، وفي كلّ مرّة كان مردوفا بالفاعل والمفعول به. ففي قوله خلقتني نجد: فعلا+ فاعلا+ مفعولا به. وفي قوله خلقتة نجد: فعلا+ فاعلا+ مفعولا به. ويمكن أن نلاحظ أنّ بين (خلقتني) و(خلقتة) نقطة فاصلة بين اللفظتين وهي المركب بالجر. ويمكن أن نوضح هذا الرأي بالمثال الآتي:

مثال يجسّم التكرار اللفظي مع المبادعة والفصل بالمركب

﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾



اللفظتين | تكرار حرفي (خلقت) 2×

ففي هذا الشاهد كان تكرار لفظة (خلقت) من أجل دلالة، وهي إفصاح إبليس عمّا يكنه من فهم خاطئ لطبيعة العناصر. إذّاك توهم أنّ الطين الذي منه خلق الإنسان أقلّ مرتبة من النار التي خلق منها الشيطان. وبمقتضى هذه المعادلة، امتنع إبليس عن السجود. فما يمكن أن نستنتج من هذا التكرار هو أنّه تكرار لفظي معلّل، وكأنّ إبليس فهم أنّ عنصر المخلوقية هو الذي يُعطي التمايز. ومن ثمة تجاهل أنّ الأمر هو إرادة المعنصر الذي يُرتّب المراتب بحكمته وليس على هوى أحد من المخلوقات. ¹⁸⁵

وعلى هذا الأساس، أتاح لنا تكرار اللفظة (خلق) 2× "خلقتني من نار وخلقته من طين"، أنّ قناعة إبليس بوجود عنصر أفضل من عنصر، هو الذي زيّن له عدم الامتثال لأمر السجود. ولا يخفى أنّ عدم

¹⁸³ تفسير الشعراوي، المجلد الثاني عشر، ص 7698.

¹⁸⁴ سورة ص، الآية 75

¹⁸⁵ تفسير الشعراوي، المجلد الثاني عشر، ص 7699.

امتثال الشيطان لأمر الله من خلال رفضه عملية السجود، مثال لا يتقرّر إلا باللفظ الذي يتكرّر، لذلك ذهب الخطيب الإسكافي إلى أنّ الشّيء إذا تكرر، في الذهن تقرّر. ومن آيات التكرار اللفظي كذلك، نجد: "التكرار اللفظي مع المباعدة والفصل بالأداة" فقد تخيرنا هذه التسمية دون أخرى، ذلك أنّ الكلمتين المتكررتين متحاذيتان جنبا إلى جنب. بيد أنّ هناك أداة تفصل بينهما. ونظرا لوجود هذه الأداة بين اللفظتين المتعاودتين. أضفنا إلى لفظة "التكرار" عبارة "المباعدة بالأداة". ولئن كان البعض يرى أنّ عبارة (الفصل) في هذا العنوان زائدة، فإننا نُجيب: أردنا بكلمة الفصل بالأداة، أن نوّكد أنّ المسافة بين اللفظتين المتكررتين ليست بعيدة، بل إنّ حجمها يساوي الأداة الفاصلة¹⁸⁶ نوضح ذلك من خلال قوله:

﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴾ 187

نلاحظ إذن أنّ المخاطب قد فصل بين "الحقّ" الأولى و"الحقّ" الثانية بأداة عطف وهي "الواو"، فكانت حرفا في هذا الخطاب للوصل، تعطف الحقّ على الحقّ فتصافي بين الكلمتين وتواخي. فلا محيص من أن نلاحظ أنّ هذا التوكيد اللفظي في أبعد أبعاده، آية من آيات القسم. إذ ليس التكرار اللفظي في هذا المقام من أجل غاية صوتية، إنّما دلالاته تتجاوز هذا. فالله في هذا الخطاب ومن خلال هذا التكرار اللفظي المؤتلف، يقسم بذات الحقّ وكرّر أنّه لا يقول إلا الحقّ لغاية الردّ على الخصم (إبليس) أو الخصوم (حزب الشيطان). ومن ثمة يبيّن الله لإبليس وأتباعه طبيعة المكافأة، وهي مكافأة منغلقة¹⁸⁸. من ذلك قوله:

﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أجمعين ﴾ 189

وهكذا فإنّ اللفظتين المتكررتين في اتساق تامّ. ولعلّ هذا ما يُجلبّي العلاقة السببية بينهما (La relation causale entre eux). وهذا ما نُجسّده في هذا المثال:

مثال يُجسّد التكرار اللفظي مع المباعدة والفصل بالأداة

﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴾

تكرار لفظي مع الفصل والمباعدة بالأداة

ضرب من التكرار اللفظي على مستوى الفعل

أداة عطف فصلت بين اللفظتين المتكررتين

¹⁸⁶ لا يذهبن بنا الظنّ أنّ التكرار اللفظي مع المباعدة والفصل بالأداة هو ذاته التكرار اللفظي مع المعاقبة، ولكن الضرب الأوّل لا يختلف كبير الاختلاف عن الضرب الثاني إلا من حيث وجود أداة تفصل بين اللفظتين. انظر كتاب عبيد(حاتم)، *وظائف التكرار في القرآن*، ص 73.

¹⁸⁷ سورة ص، الآية 83

¹⁸⁸ بنية الخطاب فيها مستوفاة. ولا يمكن أن يُطلب شيء بعدها. فما عسى أن يكون كلام الخصوم الكافرين بعد هذا القول؟ الجواب هو أنّ الله بهذا الخطاب الذي يتصدّره التكرار اللفظي مع المباعدة بالأداة، يكون قد أجم الخصم وهو إبليس. انظر كتاب محمد بن عباد، *جدلية القصّة والشعر*، الفقرة الأخيرة، ص 100

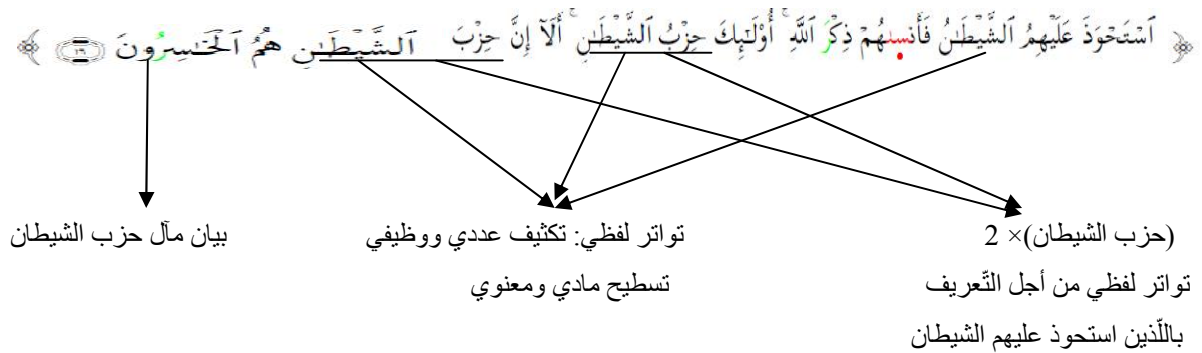
¹⁸⁹ سورة ص، الآية 83

إنّ اللفظ المكرّر بديل اللفظ اليتيم، حاضر بملء دلالاته في القصّة الإبليسية المتواترة في الخطاب القرآني قلماً يغيب. فلئن رصدنا التكرار اللفظي على مستوى الجذر وتكرار العبارة مع الفصل بالمركب وتواتر اللفظة مع الفصل بالأداة، نرصد كذلك " التكرار اللفظي مع الضرب". والمقصود بالضرب هنا هو التكتيف أو التسطیح¹⁹⁰. ويمكن أن نسوق هذه الآية بيانا لما قلناه. يقول تعالى:

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾¹⁹¹

فالجالب للانتباه في هذا الشاهد القرآني، أنّ لفظة (الشيطان) تكرّرت ثلاث مرّات ولفظة (حزب الشيطان) تواترت مرتين وهذا التكتيف في العدد تبعه تكتيف في الوظيفة، فلفظة الشيطان في المقام الأوّل كانت في محلّ فاعل: "استحوذ عليهم الشيطان". وفي المقام الثّاني كانت لفظة حزب الشيطان في محلّ خبر: "أولئك حزب الشيطان". وفي المقام الثّالث كانت لفظة حزب الشيطان في محلّ اسم ناسخ: "ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون". فالمركب الإضافي (حزب الشيطان) شهد تغيّرا وظائفا وكثافة عددية، ومن ثمة فنحن نتحرّك وفق مستويين الأوّل مادّي والثّاني معنوي.¹⁹²

وإذا قلّنا هذه اللفظة على وجوه عدّة من أجل استجلاء الدلالة، لتبيّن لنا أنّ اللفظة الأولى(حزب الشيطان) سبقّت باسم إشارة (أولئك) فكان وجودها بتعلّة التعريف. فعلى سبيل القياس، يمكن أن نقول إنّ قوله تعالى (أولئك حزب الشيطان) كان ليُعرّف الطائفة التي استحوذ عليها إبليس وأنساها ذكر الله. فلئن تدقّق السؤال: من هم حزب الشيطان؟ أجيبنا: إنّ حزب الشيطان هم الذين استحوذ عليهم الشيطان وأنساها ذكر الله. ثمّ تكرّرت لفظة (حزب الشيطان) ثانية للتأكيد على مآل أتباع إبليس وهو الخسارة. بدليل قوله "...إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون". ويمكن أن نستدلّ على ما أشرنا إليه بهذا المثال:



¹⁹⁰ نقصد بالكثافة أو التسطیح أنّ السارد أو القاص لا يكفي بلفظة واحدة بل إنّ اللفظة ذاتها يُعيدها مرارا، ومن ثمة فنحن إزاء كثافة عددية وكثافة وظائفية أو إن شئنا دلالية. انظر في هذا الصّدّد كتاب محمد الهادي الطرابلسي، *خصائص الأسلوب في الشوقيات*، الفقرة الثّانية، ص

62. وانظر كذلك كتاب محمد رجب البارد، *إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة*، الفقرة الأولى، ص 195.

¹⁹¹ سورة المجادلة، الآية 19.

¹⁹² *خصائص الأسلوب في الشوقيات*، ص 62.

إنّ الألفاظ المكرّرة هي التي ساعدت على إنشاء الجمل. فالمطلع على النسيج القصصي في قصة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني، يلحظ تكرار جمل بعينها.

2- دلالة الائتلاف على مستوى الجمل:

لئن كان التكرار على مستوى اللفظ محملاً بالدلالة كما رأينا، فإنّ التكرار يجري كذلك في مستوى الجمل التي تُكوّنها مجموعة من الكلمات كما سنرى. ويتركز عملنا في هذا القسم على دراسة دلالة ائتلاف الجمل المتواترة في قصة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني. فلا يخفى أنّ القارئ يُصادف التركيب والجُملة في هذه السورة، ثمّ يعثر على شبيبتها أو نظيرتها في سورة أخرى أو في مجموعة من السور القرآنية. والجالب للانتباه أنّ تلك النظائر يُكرّر بعضها البعض تكراراً حرفياً. فلا تختلف في ما بينها ولو اختلافاً طفيفاً بسيطاً. ذلك أنّنا كثيراً ما نصادف أنّ الجملة الواردة في هذه السورة، هي ذاتها الجملة الواردة في السورة تلك. فلا نجد تقديماً ولا تأخيراً، بل غاية ما نجد زيادة في التعبير. ولنا أن نمثّل لهذا الضرب بقوله تعالى متحدثاً عن سجود الملائكة لآدم ورفض الشيطان لذلك.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ. ﴿١٩٤﴾ ﴾

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١٩٥﴾ ﴾

ولتوضيح ذلك فُمنّا بجرّد بياني وهو الآتي:

المثال الأولاني:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾

تكرار الفعل سجد في صيغة
الأمر ثمّ في صيغة الماضي
أداة استثناء
مستنثى

جملة فعلية مركبة استئنافية

المثال الثانياني:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴿١٩٤﴾ ﴾

تطبيق الأمر من قبل الملائكة
أمر
تطبيق الأمر
أداة استثناء
مستنثى
رفض الأمر من قبل إبليس

جملة فعلية مركبة استئنافية

193 سورة البقرة، الآية 34.

194 سورة الكهف، الآية 50.

195 سورة طه، الآية 116.

المثال الثاني:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾
 معنى الطاعة والولاء معنى الرّفص والتمرد على الخالق

جملة فعلية مركبة استئنافية

ولعلّ تكرار الآية الواحدة بنفس المناويل التركيبية: فعل+فاعل+مفعول به مركّب بالجر+ نص

مقول القول: جملة فعلية/ فعل+ فاعل مركّب بالاستثناء في أكثر من سورة قرآنية كما في المثال الآتي:

﴿فَلَمَّا كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِشَأْنِ الْقِصَّةِ الْإِبْلِيسِيَّةِ الْمَكْرُرَةِ مِنْ جِهَةِ تَوَاتُرِ الْجُمْلِ الْمُتَشَابِهَةِ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ الْأَكْثَرَ شِيعُوا وَاسْتَعْمَدُوا هُوَ إِيمَانُ الْمَلَائِكَةِ وَطَاعَتُهَا لِلْخَالِقِ مُقَابِلَ تَمَرُّدِ إِبْلِيسَ عَلَى خَالِقِهِ وَعَصِيَانِهِ لِأَمْرِ رَبِّهِ. لِذَلِكَ كَثِيرًا مَا حَلَّ إِبْلِيسَ مَحَلَّ الْمُسْتَنْثَى لِأَنَّهُ مُخَالَفٌ لِلْمَلَائِكَةِ عَلَى مَسْتَوَى الْفِعْلِ. أَضْفَ إِلَى مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ أَنْفَاءً، أَنَّ تَكَرُّرَ الْجُمْلِ الْمُتَشَابِهَةِ الَّتِي بَيَّنَّاهَا فِيمَا تَقَدَّمَ، كَانَ بِدَلَالَةِ تَأْكِيدِ مَبْدَأِ عِدَاوَةِ إِبْلِيسَ لِرَبِّ الْعِزَّةِ. فَإِذَا كَانَ إِبْلِيسَ قَدْ عَادَى رَبَّهُ وَرَفَضَ أَمْرَهُ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ وَفَضَّلَهُ¹⁹⁷. فَمَاذَا هُوَ فَاعِلٌ مَعَ الْإِنْسَانِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ غَيْرِ الْعِدَاوَةِ؟ لِهَذَا كَثِيرًا مَا تَوَاتَرَتِ الْجُمْلَةُ: " فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا إِبْلِيسَ..." لِلتَّأْكِيدِ عَلَى أَنَّ امْتِنَالِ إِبْلِيسَ لِأَدَمَ عَنْ طَرِيقِ السَّجُودِ لَهُ لَمْ يَتَحَوَّلْ بَعْدَ إِلَى قِيَمَةِ دِينِيَّةٍ. فَالشَّيْطَانُ الْمُخْلُوقُ يَتَمَرَّدُ عَلَى الْأَمْرِ الْخَالِقِ. فَمَا الَّذِي يُنْتَظَرُ مِنْهُ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ الْمَخْلُوقَاتِ غَيْرِ الْإِعْتِدَاءِ؟ وَعَمَادَ الْقَوْلِ، إِنَّ الْغَايَةَ مِنْ تَكَرُّرِ الْجُمْلَةِ بِحَرْفِيَّتِهَا وَتَرْكِيبِهَا فِي سُورٍ عَدِيدَةٍ، شَكَّلَتْ الْخَطَابَ الْقُرْآنِيَّ فِي قِصَّةِ إِبْلِيسَ الْمَكْرُرَةِ لِلتَّعْبِيرِ عَلَى أَنَّ مَوْقِفَ الْمَلَائِكَةِ ظَلٌّ هُوَ لَمْ يَتَغَيَّرْ وَكَذَلِكَ مَوْقِفَ إِبْلِيسَ بَقِيَ هُوَ ذَاتَهُ لَمْ يَتَبَدَّلْ. وَمِنْ هُنَا تَجِيءُ النَّتِيجَةُ الْمُنطَوِقِيَّةُ، وَهِيَ ائْتِلَافُ الْمَقَامِ يُنَاسِبُهُ ائْتِلَافُ التَّعْبِيرِ. فَمَنْ الْبَدِيهِيَّ أَنَّهُ عِنْدَمَا تَتَوَحَّدُ الْمَوَاقِفُ وَلَا تَتَغَيَّرُ الْفَوَاعِلُ، لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مِنَ الْجُمْلِ مَا يَتَشَابَهُ تَرْكِيبِيًّا وَدَلَالِيًّا¹⁹⁸. فِغَايَةِ مَا نَجِدُ هُوَ حِفَاطُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى طَاعَتِهَا لِلَّهِ، مُقَابِلَ ذَلِكَ ظَلٌّ إِبْلِيسَ مَتَمَسِّكًا بِعَصِيَانِهِ. لِهَذَا كَانَ التَّعْبِيرُ فِي كُلِّ سُورَةٍ هُوَ ذَاتَهُ وَالْمَعْنَى هُوَ نَفْسُهُ.

يُدْفَعُنَا إِلَى الْبَحْثِ عَنِ الدَّلَالَةِ، دَلَالَةِ الْاِئْتِلَافِ. وَحَسْبُنَا أَنَّ نَحْرُكَ فِي إِطَارِ الْجُمْلِ الْاِئْتِلَافِيَّةِ أَوْ التَّشَابَهَةِ عَلَى مَسْتَوَى الْجُمْلِ. فَالرَّأْيُ عِنْدَنَا، أَنَّ الْجُمْلَةَ الْوَاحِدَةَ تَكَرَّرَتْ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ بِصُورَةٍ مُتَشَابِهَةٍ، ذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ فِي جُمْلَتِهِ قَدْ دَرَجَ عَلَى سِمَةِ أَسٍّ وَهِيَ بِنَاءُ مَوَادِّ الْقِصَصِيَّةِ عَلَى أَشْيَاءٍ مَعْرُوفَةٍ وَمَعْهُودَةٍ¹⁹⁶.

ولمّا كنّا نتحدّث بشأن القصة الإبلّيسية المكرّرة من جهة تواتر الجمل المتشابهة، فإنّ الحدث الأكثر شيوعاً واستخداماً هو إيمان الملائكة وطاعتها للخالق مقابل تمرد إبليس على خالقه وعصيانه لأمر ربّه. لذلك كثيراً ما حلّ إبليس محلّ المستثنى لأنّه مخالف للملائكة على مستوى الفعل. أضف إلى ما أشرنا إليه أنفاً، أنّ تكرار الجمل المتشابهة التي بيّناها فيما تقدّم، كان بدلالة تأكيد مبدأ عداوة إبليس لربّ العزّة. فإذا كان إبليس قد عادى ربّه ورفض أمره وهو الذي خلقه وفضّله¹⁹⁷. فماذا هو فاعل مع الإنسان والإنسانية غير العداوة؟ لهذا كثيراً ما تواترت الجملة: " فسجد الملائكة إلا إبليس..." للتأكيد على أنّ امتثال إبليس لأدم عن طريق السجود له لم يتحوّل بعد إلى قيمة دينيّة. فالشيطان المخلوق يتمرد على الأمر الخالق. فما الذي يُنتظر منه في تعامله مع المخلوقات غير الاعتداء؟

وعماد القول، إنّ الغاية من تكرار الجملة بحرفيتها وتركيبها في سور عديدة، شكّلت الخطاب القرآني في قصة إبليس المكرّرة للتعبير على أنّ موقف الملائكة ظلّ هو هو لم يتغيّر وكذلك موقف إبليس بقي هو ذاته لم يتبدّل. ومن هنا تجيء النتيجة المنطقيّة، وهي ائتلاف المقام يُناسبه ائتلاف التعبير. فمن البديهي أنّهُ عندما تتوحّد المواقف ولا تتغيّر الفواعل، لا بدّ أن يكون هناك من الجمل ما يتشابه تركيبياً ودلاليّاً¹⁹⁸. فغاية ما نجد هو حفاظ الملائكة على طاعتها لله، مقابل ذلك ظلّ إبليس متمسكاً بعصيانه. لهذا كان التعبير في كلّ سورة هو ذاته والمعنى هو نفسه.

¹⁹⁶ الفنّ القصصي في القرآن الكريم، ص 448.

¹⁹⁷ لقد كان الشيطان قبل رفضه أمر ربّه وعصيانه لخالقه كأننا نورانياً، فضّله الله وأسكنه الجنّة، فكانت مرتبته ومرتبة الملائكة سواء.

انظر تفسير الشعراوي، المجلد الثاني عشر، ص 7697.

¹⁹⁸ في صورة حفاظ الشخصيات على مواقفها وتشبّثها بسلوكها ومبادئها، في العادة لا يتغيّر التعبير. وحتّى إن تغيّر التعبير الفنّي بظلّ المعنى ثابتاً

وليس من محض الصدفة في رأينا أن تنتالي الجُمْل مُؤتلفة من جهة التّركيب. إذآك في تكرارها فائدة ودلالة. لذلك نسوق مثالا آخر فيه نتبين مظاهر انتلاف الجُمْل المكررة لاستجلاء الدّلالة. يقول تعالى:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠٠﴾﴾

نلاحظ أن الفعل "كُلا" عطف على قوله "اسكن" بأداة العطف المتمثلة في "الواو" كما يتّضح في الشاهد الأول من سورة البقرة. وعطف الفعل "كُلا" على قوله "اسكن" بـ "الفاء" كما هو بارز في الشاهد الثاني من سورة الأعراف²⁰¹. ومهما يكن من أمر، فإنّ التشابه في هاتين الجملتين يتّضح فيما يلي:

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾	﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾
جملة 1:	جملة 2:
جملة فعلية مركبة	جملة فعلية مركبة
جملة نداء: (حرف نداء+منادى)×2	جملة نداء: (حرف نداء+منادى)×2
اسكن: فعل أمر مكرّر	اسكن: فعل أمر مكرّر
تكرار الضمير أنت	تكرار الضمير أنت

تكرار المركّب العطفّي+ تغيير في أداة العطف
في الجملة الأولى: أداة العطف هي الواو " وكُلا.."
وفي الجملة الثانية: أداة العطف هي الفاء " فُكُلا..."

المثال الثاني:

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾	﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
جملة 1:	جملة 2:
جملة فعلية مركبة استئنافية	جملة فعلية مركبة استئنافية
تكرار المركّب البدلي	تكرار المركّب البدلي
تواتر الأمر بالنهي (لا تقربا)	تواتر الأمر بالنهي (لا تقربا)
تكرار أداة النهي: (اللام)	تكرار أداة النهي: (اللام)
أداة الاستئناف هي ذاتها	أداة الاستئناف هي ذاتها
تكرار التركيب نفسه	تكرار التركيب نفسه

وإن نحنُ بحثنا في الدّلالة وجدنا أنّ تواتر البنية التّلفينيّة وقوامها (إفعل) و(لا تفعل) كما هو الشّأن في قوله تعالى (أسكن) و(لا تقربا)، أمر ضروري لأنّ تلقّي آدم التكاليف محضورة في (إفعل) و(لا تفعل) لا

لا يتغيّر مقابل ذلك، إذا تعدّدت المواقف واختلفت الفواعل لا بدّ أن يكون من العبارات ما يُناسب المقام. انظر الفن القصصي في القرآن الكريم، الفقرة الثانية، ص 430.
¹⁹⁹ سورة البقرة، الآية 34
²⁰⁰ سورة الأعراف، الآية 19
²⁰¹ دَرّة التّنزيل وحرّة التّأويل، ص 10.

يكون حُصُولها في الذّهن من أوّل وهلة، وإنّما ترسيخها يكون بالإعادة والتّواتر. لهذا تواترت الجُمْل بصيغها التّركيبية حاملة لمعنى "افعل هذا" و"لا تفعل هذا" بما هو مقياس ضمان الصّلاح في الأرض²⁰².

لذلك شاء الله في خطابه القرآني أن يُكرّر الجُمْل والتّعابير عَيْنَهَا حتّى لا يتلقّى آدم المنهج تلقياً نظرياً. وما دامت حركة الحياة متواترة (La répétition du mouvement de la vie)، فإنّ التّعبير عنها لا يكون إلاّ بالتّعبير المتواتر بما هو طابع يحكم حركة الحياة. لذلك أراد الله ألاّ يجعل آدم يُباشِر مهامّه وما عليه فعله وما عليه تركه إلاّ بعد أن يُعطيه تدريباً على المهمّة في (افعل) و(لا تفعل) نقصد في (أسكن وكلا) وفي (لا تقربا) وحدّره من العقبات التي تُحوّل "افعل" إلى "لا تفعل"²⁰³.

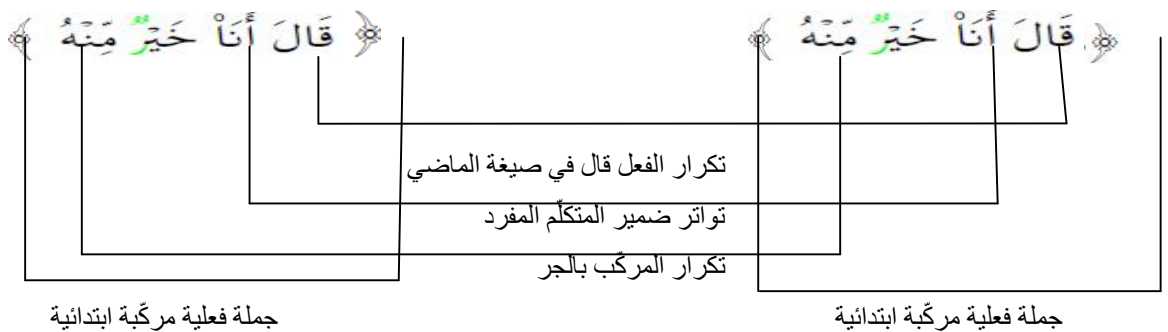
ولا يخفى أنّ الحديث عن انتلاف الجُمْل المكرّرة، يستدعي أن يكون هناك حديث عن دلالة الانتلاف. فما يكاد القارئ أو الباحث "يبلغ موقفاً مُغلّفاً بالأسرار، حتّى يجد نفسه مسوقاً إلى شقّ الحُجُب وهناك الأسرار"²⁰⁴ رغبة في معرفة الدّلالة. يقول إبليس مُجيباً على سؤال الحقّ تعالى لِمَا سأله: لِم لم تكن مع السّاجدين حين أمرتك بالسّجود؟

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾²⁰⁵

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾²⁰⁶

فما يمكن ملاحظته أنّ المنوال التّركيبي للجُمْل ظلّ ثابتاً لم يتغيّر على امتداد سُورتين، ممّا ينجم عنه نزوع البناء إلى التّماتل. ومن ثمة تجنح الدّلالة التي تحملها الجُمْل المتعاودة إلى التّقارب والتّرادف²⁰⁷. ولنا في ذلك هذه الأمثلة:

المثال عدد 1:



²⁰² تفسير الشعراوي، المجلد السابع، ص 4079.

²⁰³ تفسير الشعراوي، المجلد السابع، ص 4079.

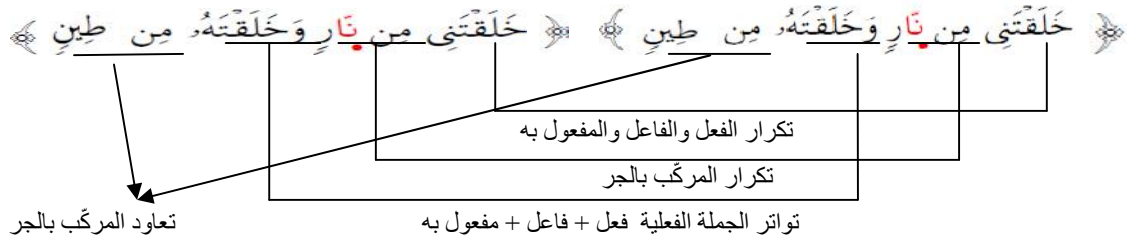
²⁰⁴ الزّهران التّرجماتي، ص 211.

²⁰⁵ سورة الأعراف، الآية 12.

²⁰⁶ سورة ص، الآية 76.

²⁰⁷ جمالية الموت، ص 184.

المثال عدد 2:



وليس بخاف أنّ ما أورده الخطاب القرآني من تكرار انتلافي للجمل الصّادرة عن خطاب إبليس، هو تذكير بالحيثية التي أوجدها أو تدبّرها إبليس ليبرّر عدم سجوده. وقد أورد القرآن في سورتي "الأعراف" و"ص" المنوال التركيبي ذاته للجملة دون تقديم أو تأخير أو زيادة في التعبير، وذلك للتعليل والتأكيد على أنّ إبليس يرى نفسه أعلى من آدم، لذلك لا يسمح له عرفه الإبليسي (Coutume de diable) أن يسجد الأعلى للأدنى²⁰⁸. وليس عجا أن تتكرّر الجملة بطريقة انتلافية مادامت الحيثية التي استنبطها إبليس هي ذاتها لم تتغيّر كما رأينا ذلك في سورتي "الأعراف" و"ص". ودلالة ذلك كلّها، أنّ الشيطان يرى أنّ الوجود كتلة لا تتجزأ ولئن كان الإنسان كلّ الإنسان يؤمن بوحدة الوجود.²⁰⁹ فخارج عن الصّف بلا ريب الموقف الإبليسي وقد تمسك إبليس به ولم يعدل من سلوكه. وفي ذلك عناد وكبرياء. لذلك تكرّرت الجملة الواحدة بطريقة انتلافية، ليذكرنا الخطاب القرآني بهذا العناد وهذا الكبرياء.

وصفوة القول، إنّ الجملة الواحدة حُظيت بلقطات مؤتلفة ومتعدّدة وهي تقنية في الخطاب القرآني الحافل بقصّة إبليس تُطلعننا على موقف الكفر والمعاندة حين أعرض الشيطان عن أمر ربّه. فما تعاود الجملة في أكثر من موضع، إلّا دليلا على أنّ الله يُبين لنا في كلّ مرّة كيف يسعى الشيطان إلى التعديل من مراد الله في أمره. فالتكرار الانتلافي على مستوى الجملة في المثالين الأخيرين، يدلّ على أنّ الشيطان ظلّ في كلّ مرّة يتدبّر أمره بالموقف نفسه ليخطئ الله في أمره ويردّ الأمر على الأمر²¹⁰. فلا ريب أنّ العقلية الإبليسية من خلال قول الشيطان:

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾

في {سورة الأعراف وسورة ص و ما سواهما} ، تحيا محنة الشقاء، فهناك شيء مازال يشدّ إبليس إلى التمسك بموقفه المتمثّل في عدم السجود، وهو الفهم الخاطئ لطبيعة العناصر الكونية. من ذلك أنّه يرى أنّ النّار أفضل من الطّين، والحال أنّ لكلّ منهما وظيفته المخصوصة.²¹¹ وشيء آخر يجذبه إلى تعديل مراد الله في أمره²¹² من خلال قوله "أنا خير منه". فما سبيل العقلية الإبليسية للخروج من محنة الشقاء هذه؟

²⁰⁸ تفسير الشعراوي، المجلد السابع، ص 4064.

²⁰⁹ الزمان الترجماتي، ص 111/112.

²¹⁰ تفسير الشعراوي، المجلد السابع، ص 4064.

²¹¹ تفسير الشعراوي، المجلد الثاني عشر، ص 7699.

²¹² تفسير الشعراوي، المجلد السابع، ص 4064.

إِنَّ السَّبِيلَ إِلَى ذَلِكَ يَسْتَوْجِبُ أَمْوَرًا كَثِيرَةً عَلَى رَأْسِهَا الْخُرُوجَ مِنَ الْجَنَّةِ. لِذَلِكَ نَادَاهُ الْمَوْلَى قَائِلًا:

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ 213

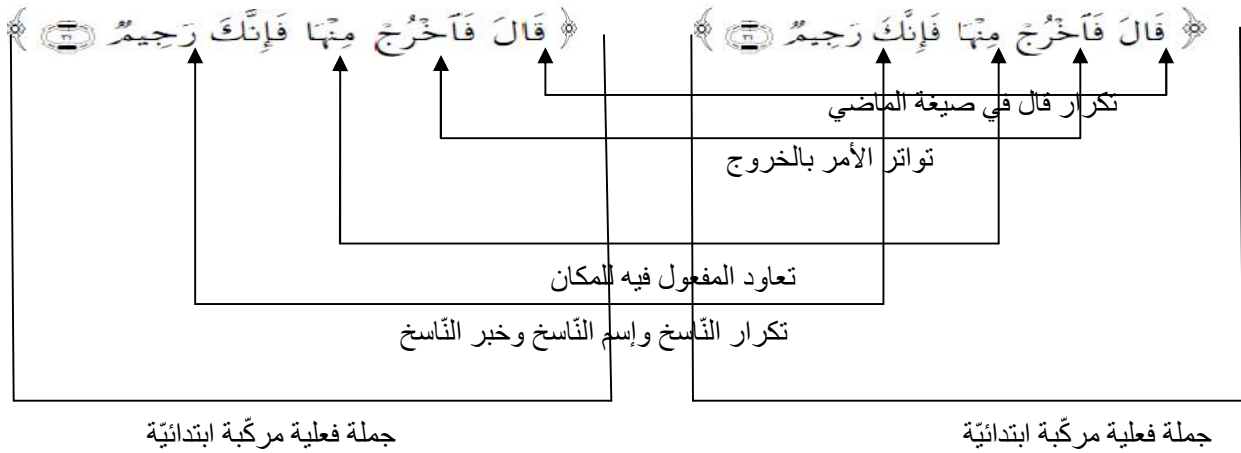
وبالإجمال، يُعدّ تكرار قول إبليس:

﴿ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُمْ مِنْ طِينٍ ﴾

دليلاً على أنه تبرير فاشل باهت، فالحكم على منزلة الشّخص في الوجود بالخيرية أو بالأفضلية لا يسري في حياة النّاس إلّا إذا كان ثمة أنموذج يُحتذى به ويُقتدى بأمره. وأفضل أنموذج هو حكم الله وأمره لا حكم الشّيطان وحيثياته. فكان التّكرار في هذا المقام للدّلالة على أنّ الأفضلية لا تتأتّى من ماهية الأشياء، بله إنّ الأفضلية تتأتّى من إتقان المهمّة. فلا يختلف الكائن المخلوق من الطين عن الكائن المخلوق من النّار إلّا بأعماله وإتقان مهمّته في الوجود. 214 وما دُنا في سياق الحديث عن دلالة الانتلاف على مستوى الجُمْل، نُشير إلى أنّ القاصّ في الخطاب القرآني قد رآوح بين عرضه لجواب إبليس لما سأله عن رفضه السّجود لأدم، وبين بيان الجزاء المترتّب عن ذلك. لذلك نجد قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ 215

﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ 216



لقد تکرّر أمر إبليس بالخروج من الجنّة وتواتر صدور العقاب ضده "اخرج منها" 2× في (سورة الحجر وسورة ص)، "إنّك رَجِيمٌ" 2× في (سورة الحجر وسورة ص) للدّلالة على أنّ من يُعارض أوامر الله، مصيره هو الجرمان من نعيم الجنّة. استكبر إبليس فأخرجه الله من الجنّة أمراً إيّاه بالخروج منها لأنّه لا يستحقّها. ونفس الخطاب تواتر في أكثر من سورة حتّى يترسخ الأمر في

213 سورة الأعراف، الآية 12.

214 تفسير الشعراوي، المجلد الثاني عشر، ص 7699.

215 سورة الحجر، الآية 34.

216 سورة ص، الآية 77.

الذهن. وعلى هذا النحو يكون التّجني على الخطاب القرآني أنّه كرّر الجملة الواحدة الصّادرة عن الله تأكيدا على طرد إبليس من حضرة الله بالملأ الأعلى. ومن ثمة كان العقاب بالطرد من كلّ خير وأصل المسألة هي الرّجم أي الرّجم بالحجارة²¹⁷.

ومجمل القول فيما نحن فيه، أنّ دلالة انتلاف تكرار الجملة "أخرج منها فإنك رجيم" هي إشارة من الله ليحنّنا ويذكّرنا في كلّ مرّة بأنّ الشيطان عدوّ مبين يستحقّ الرّجم. ولعلّ تكرار التّعبير ذاته في موضعين كان بدليل توجيه الخطاب في أكثر من مرّة لحنّ العبد على أن يستحضر هذا الجزاء وعليه ألا ينساه وقت اختيار الفعل. لهذا يتكرّر الخطاب بطريقة مؤتلفة، فيكون التّحالف بين الجمل تقنية بمقتضاها لا يرتكب المرء حماقة الفعل الذي يُزيّنه له الشيطان.

وهكذا تتكرّر الجملة بأسلوب انتلافي فيتجدد التّذكّر. "ولو أنّ المسرف على نفسه استحضر العقوبة لحظة ارتكاب المعصية، لما أقدم عليها"²¹⁸. فلا يخفى أنّ التّواتر ضمن هذا الإطار، كان للدلالة على ارتباط النتائج بالمقدّمات²¹⁹. فبعدها يقول الله للشيطان "أخرج منها إنك رجيم"، يعود من جديد ويجدّد الخطاب بنفس التّعبير ليذكّرنا أنّه علينا رجم إبليس حتّى يتسنّى لنا معنى الاستقامة التي من شأنها أن "توقّر على المرء مشقّة التّكلفة لبعض من ألوان الانحرافات"²²⁰.

3- دلالة الانتلاف على مستوى السّياق:

إنّ البحث في مسألة السّياق ضرورة دعاها داع، ألا وهو أنّ تحليل أفعال اللّغة والتّعبير عن منطق الحوار وما سواهما لا يتمّ إلا من خلال السّياق (contexte) الذي يُتيح لنا تدقيق الأشياء وتوضيحها، ويُمكننا من دراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والكلامي وغيرهما في استعمال اللّغة²²¹. ولعلّ التّقيّد بالسّياق النّصيّ (contextualité) هو الضّامن لاستمرارية قناة الاتّصال (canal de communication). والحقّ أنّنا ما كُنّا لنقف على "السّياقية" في القصّة الإبلية المكرّرة في الخطاب القرآني لو لا الصّلة المتينة بينها وبين الدّلالة. ونحن إذ نؤمن النّظر في القصّة القرآنية، نلاحظ ضروبا من تكرار السّياقات المؤتلفة. وما من شكّ أنّ هذه التّقنية القصصية من شأنها أن تجعل عملنا ينضوي تحت طائلة البحث في دلالة الانتلاف على مستوى السّياق.

²¹⁷ تفسير الشعراوي، المجلد الثاني عشر، ص 7699.

²¹⁸ تفسير الشعراوي، المجلد الثاني عشر، ص 7707.

²¹⁹ تفسير الشعراوي، المجلد الثاني عشر، ص 7707.

²²⁰ تفسير الشعراوي، المجلد الثاني عشر، ص 7703.

²²¹ آيت علي أوشان، السّياق والنّص الشعري: من البنية إلى القراءة، الطّبعة الأولى 1421هـ/2000م، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء - المغرب، ص 63/62.

وهكذا فإننا مدعوون إلى رصد السياقات المتحالفة في القصة الإبلية المتعاودة قدر ما استطعنا، محاولين بين الفينة والأخرى استجلاء دلالة هذا التشابه، من ذلك نجد السياق المرجعي في العالم الواقعي.²²² ونستدلّ عليه من خلال قوله تعالى:

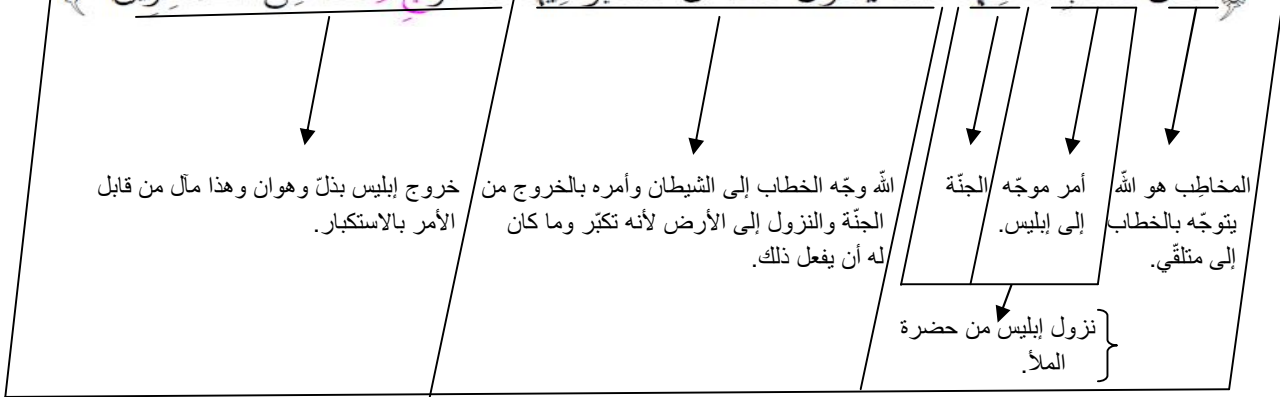
﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾²²³

﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٥﴾ ﴾²²⁴

﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٧﴾ ﴾²²⁵

ومن ثمة، فالسياق يتمّ بواسطة تحديد مجرى الأحداث. لذلك يقول "فان ديك" "كلّ سياق هو عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث"²²⁶ ولعلّ تكرار هذا السياق المرجعي في العالم الواقعي بطريقة انتلافية من خلال تواتر المعنى ذاته، يدلّ على المكافأة المألوية الوجودية. فكيفما تصرف إبليس في جوابه ردّا على سؤال الحقّ تعالى (لمّ لم تكن مع السّاجدين) فإنّ مآله الوجودي المرجعي هو الرّجم بالحجارة²²⁷. وما من شكّ أنّ السياق الواحد في تواتره بطريقة تحالفية، يفتح الآفاق على دلالات شتى. فالسياق المرجعي الواقعي المتواتر انتلافياً، إضافة إلى الدلالة التي ذكرنا له دلالة أخرى وهي تحديد هوية المتخاطبين إلى جانب الزّمان والمكان اللذان فيهما يتمّ الغرض. وكلّها خصائص لا يتمّ الإحاطة بها إلاّ بالسياق المرجعي وما يجمعه من أفراد موجودين في العالم الواقعي²²⁸. يقول تعالى:

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾



²²² يتجسد ذلك خاصّة في عمل القول (acte de locution) الذي يُفضي إلى ضبط المعنى وما يُحيل عليه من مرجع (référence). انظر كتاب ج.ل. أوستين *Quand dire c'est faire* ص 28.

²²³ سورة الأعراف، الآية 12.

²²⁴ سورة الحجر، الآيتان 35/34.

²²⁵ سورة ص، الآيتان 76 - 77.

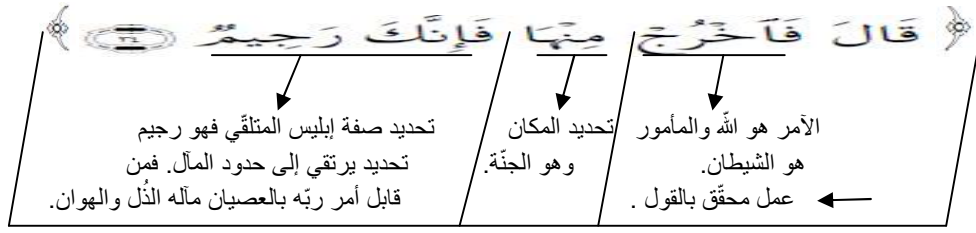
²²⁶ *النصّ والسيّاق* ترجمة عبد القادر فنيبي. إفريقيا الشروق، لبنان - بيروت، ص 258.

²²⁷ *تفسير الشعراوي*، المجلد الثاني عشر، ص 7699.

يتحدّد السياق المرجعي الواقعي بفترة من الزّمان والمكان. إذًاك تتحقّق الفكرة المشتركة لكلّ من المتكلّم والمخاطب. ومن ثمة تستوفي خواص²²⁸

الآن وهنا وأنا. وهذه أصل الوجهة المنطقية. انظر كتاب "فان ديك" *النصّ والسيّاق*، ص 258.

أو قوله:



وضمن السياق المرجعي الواقعي، نكتفي بما قدّمنا ونطرح المسألة السياقية من جهة السؤال: من هو المتكلم في الخطاب المذكور في الأمثلة التي أشرنا إليها آنفاً؟ وما هو زمان النص الخطابي في هذه الشواهد؟ وما هو المكان المؤطر للأحداث في هذا الخطاب القرآني؟ وما هو موضوع المخاطبة في هذا الخطاب؟ هنا نعتد بالسياق المرجعي لنميط اللثام ونزّيح الغموض، فلما يقول تعالى:

﴿ قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَايْنِكَ رَجِيمٌ ﴾ كما ورد ذلك في سورة ص.

﴿ قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَايْنِكَ رَجِيمٌ ﴾ كما ورد في سورة الحجر.

فإن المتكلم في هذا الخطاب المكرر هو الله موجّه الخطاب إلى الشيطان أمراً إياه بالنزول من الجنة وطرده من خيراتها. وإن بحثنا في زمن النص، وجدناه اللحظة التي فيها تكبر إبليس في الجنة. وقتئذ أنزله الله منها. وبذلك كانت الجنة هي الفضاء المؤطر للأحداث بل هي المكان الذي دار فيه خطاب الأمر بالمحاوره. مُحاوره موضوعها رفض إبليس السجود لآدم والتكبر في الجنة، فكان ماله الخروج منها مذووماً رجيماً. ومثل ذلك كله، لو لا السياق المرجعي لما كنّا نقدر على استجلائه. ومن ثمة، كان تواتر السياق المرجعي بكيفية انتلافية للدلالة على أنّ من يركب الاستعلاء جزاءه الهوان والخسران.²²⁹

هَذَا وَنَجْدُ ضَرْباً آخَرَ مِنَ السِّيَاقِ الْمُؤْتَلَفِ فِي الْقِصَّةِ الْإِبْلِيسِيَّةِ الْمَكْرَرَةِ فِي الْخِطَابِ الْقُرْآنِيِّ وَهُوَ السِّيَاقُ الْمَقَامِيُّ²³⁰. فهذا الضرب السياقي متشابه في مواضع كثيرة من القصة الإبليسية. يقول تعالى:

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكِينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾²³¹

وقوله أيضاً:

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّعَدُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾²³²

إنّ سياق الوسوسة المكرر في الخطابين بكيفية متحالفة، كان دليلاً على مقام الهمس لأنّ الذي يُوسوس يهمس ولا يجهر، وما تكرار السياق في هذه المخاطبة وتلك كما يتضح لنا في الشاهدين إلاّ

²²⁹ تفسير الشعراوي، المجلد السابع، ص 4067.

السياق المقامي يعني به السياق التداولي. ويتضمن هذا السياق غايات تنقاسمها الفواعل. ومن ثمة تدرج المخاطبات في مواقف محدّدة إمّا ضمناً أو معلنة. انظر مثلاً كتاب آيت علي أوشان، السياق والنص: من النبوة إلى القراءة، الفقرة الرابعة، ص 60.

²³¹ سورة الأعراف، الآية 20.

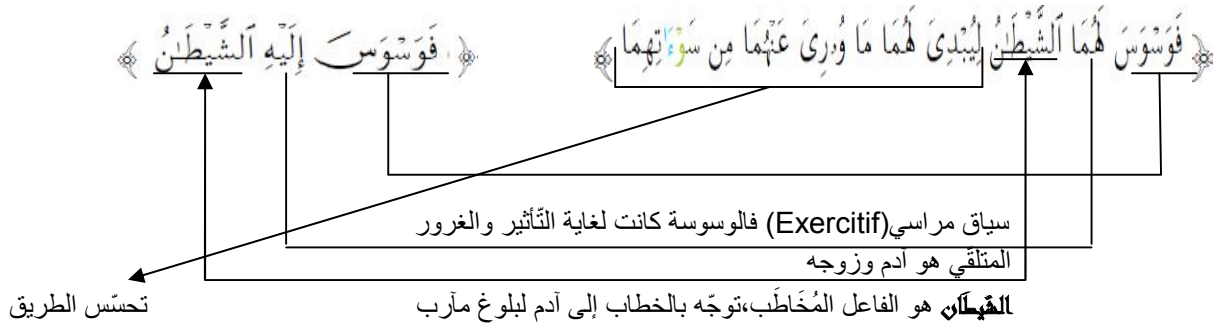
²³² سورة طه، الآية 117.

دليلا على أنّ إبليس في السياق الواحد يخلق ألف أسلوب وتعبير لغاية التأثير في مخاطبه، ومن ثمة فإنّ غاية الشيطان هي إغراء آدم وزوجه فقد قدّم لهما ما يُسبّل اللّعب (الخدل والملك).

ومن ثمة تندرج الممارسة الخطابية الإبليسية في سياق مقامي محدّد وهو الإغراء والمكيدة. ومن هنا كانت دلالة الانتلاف السياقي هي أنّ إبليس تكلم مرّة واحدة همسا مخافة أن يفضحه أحد²³³. بيد أنّ تكرار السياق ذاته في أكثر من موقع كان تأكيدا وتذكيرا بأنّ الله لا يخفى عنه السرّ ولا الجهر. فلئن أراد الشيطان أن لا يعرف عنه المجتمع هذا الشّيء والتجأ إلى الهمس والوسوسة، فإنّ تكرار السياق مؤتلفا في الخطاب القرآني يُعدّ تقنية فضحت أمره وهتكت ستره. يُقول تعالى:

﴿ مَا نَبِّحُكُمْ بِرَبِّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾²³³

ف نجد داخل السياق المقامي بما هو السياق الأكبر، سياقات صغرى تتفرّع عنه. ولنا في ذلك هذه الأمثلة:



﴿ مَا نَبِّحُكُمْ بِرَبِّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ ﴾ يتنادم هل أدلك على شجرة الخلد وملاك لا يتلأ ﴿ يتنادم هل أدلك على شجرة الخلد وملاك لا يتلأ ﴾

سياق إرشادي سلوكي (Comportatif) يتمظهر أو يتظاهر الشيطان
 في ثوب النصائح لئيبين لآدم سبيل الظفر بالملك والخلود .
 وبهذا يتبلور لنا معنى الجملة في حلّه وترحاله من خلال سياق تكرّر بكيفية متشابهة وهو السياق المقامي.
 ويكمن لغز تكراره ائتلافيا في التعريف بالعرف الإبليسي الذي يتأسس على الغرور والإغواء وبيان
 خصيصة العرف الآدمي الذي سرعان ما يُخدع بالله²³⁴ ذلك أنّ آدم وزوجه أكلا من الشجرة مصدّقان
 بذلك قول الشيطان الذي أقسم لهما بالله كما ورد ذلك في الخطاب القرآني:

﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾²³⁵

هكذا جاءت القصة الإبليسية المكرّرة في الخطاب القرآني حافلة بسياقات تكرارية تكرارا ائتلافيا. فبعدها بيّنا نوعين من السياقات المؤتلفة والمتواترة وهما السياق المرجعي الواقعي والسياق المقامي،

²³³ تفسير الشعراوي، المجلد السابع، ص 4081.

²³⁴ تفسير الشعراوي، المجلد السابع، ص 4085.

²³⁵ سورة الأعراف، الآية 20.

نعزّزهما بسياق ثالث وهو السياق التفاعلي²³⁶. إنَّ في هذا الضرب السياقي يتفاعل المتخاطبان فإذا نحن أمام خطاب عارض وخطاب معروض. وكثيرة هي صنوف السياق التفاعلي في القصة الإبلية المكررة. فغير خاف أن السياق التفاعلي في هذه القصة ورد بكيفية ائتلافية. فما دلالة ائتلافه؟ لقد ورد في الآية:

﴿ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٢٣٦﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ. مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٣٧﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٢٣٨﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٣٩﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٤٠﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾²³⁷

وكذلك قوله تعالى:

﴿ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٢٣٦﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٢٣٧﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٢٣٨﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٣٩﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٤٠﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢٤١﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٢٤٢﴾ ﴾²³⁸

فلا محيص من أن نلاحظ أن هناك خطاباً بخطابٍ أو كلاماً بكلامٍ على حدّ عبارة

"الجاحظ"، ويتّضح لنا من خلال التفاعل التذوياتي. فالذات الإلهية تسأل والذات الإبلية تُجيب وتبرّر وإن كان تبريرها باهتاً فاشلاً واهياً. ولتوضيح ذلك قمنا بما يلي:

﴿ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾ ﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٣٧﴾ ﴾

سؤال
جواب
مُخَاطَبَةٌ

تفاعل بين الذات الإلهية (تسأل) والذات الإبلية (تجيب): ← سياق تفاعلي

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٣٩﴾ ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٤٠﴾ ﴾

خطاب أول
خطاب ثان
خطاب أولي
خطاب من درجة ثانية

قال انظرني، قال فإنك، قال اخرج، قال انظرني
تسلسل أفعال اللغة في الخطاب

Enchainement des actes du langage dans le discours

وعلى هذا الأساس مكّنا السياق التفاعلي ممّا يلي: الاقتراح الاعتراضي يتّضح لنا من خلال قوله تعالى:

²³⁶ في هذا السياق يتداخل خطابان فأكثر وتتسلسل أفعال اللغة. إذ يتخذ المخاطبون أدواراً تداولية صرفة وهي الأمر والرّفص أو الاقتراح

والاعتراض وما سوى ذلك، انظر في هذا الصدد كتاب آيت علي أوشان، *السياق والنص*، ص 61

²³⁷ سورة الحجر، الآيات 32 - 33 - 34 - 35 - 36 - 37.

²³⁸ سورة ص، الآيات 74 - 75 - 76 - 77 - 78 - 79 - 80

<p>﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ ﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾</p> <p>فعل اعتراضى: مخالفة ما هو مقترح عليه أو ما هو مطلوب منه وهذا الفعل الاعتراضى يحمل تبريرا وإن كان هذا التبرير</p>	<p>﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾</p> <p>اقتراح السؤال لمعرفة النية الإبلسية وعمق تفكير العرف الإبلسي</p>	<p>﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾</p> <p>نداء مرده التعجب من فعل إبليس</p>
--	---	--

ولئن كان السياق التفاعلي يستدعي فعل التطبيق، فإنّ هذا ما نجده في قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾

كما ورد ذلك في سورة الحجر. أو قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾

فالخطاب صادر عن الله تعالى وموجه إلى إبليس. وفحواه هو خروج إبليس من الجنة والنزول إلى الأرض رجيمًا. ومن ثمّة فإنّ هذا الخطاب هو قوّة مقصودة بالقول، فبمجرّد النطق به يتحقّق بالفعل. ²³⁹ هذا فضلًا عن السياق الوعظي الإرشادي والذي ورد بطريقة تكرارية انتلافية. من ذلك:

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ²⁴⁰

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ²⁴¹

﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ²⁴²

فالمتمائل في هذه الأمثلة، يلحظ بنية تلقينية "لا تفعل"/"لا تفعلوا"، من ذلك مثلا {لا تتبعوا}×2. وصيغة "لا يفعلنكم"، من ذلك {لا يصدنكم}. وقد طعم الله هذا الخطاب في كلّ مرّة بأسلوب التوكيد من ذلك:

الشيطان لكم عدوّ مبين: كما جاء ذلك في سورة البقرة.

الشيطان لكم عدوّ مبين: كما ورد ذلك في سورة الأنعام.

الشيطان لكم عدوّ مبين: كما جاء ذلك في سورة الزخرف.

وإن بحثنا في دلالة هذا السياق الوعظي الذي فيه يندسّ المقام التلقيني، لوجدنا أنّ الخطاب القرآني في القصة الإبلسية المتواترة، كرّر السياق الوعظي بكيفية متشابهة من أجل أن نظفر بالفرائد على حدّ عبارة "الخطيب الاسكافي". وصفوة الدلالة من تكرار هذا السياق الوعظي، أنّ الله تعالى يذكر لنا عداوة الشيطان بأسلوب التوكيد (إنّه عدوّ مبين) ليقول لنا لاحظوا أنّ عداوته كانت مسبقة ²⁴³

²³⁹ Loc.Cit. Quand dire c'est faire ص 28

²⁴⁰ سورة البقرة، الآية 206.

²⁴¹ سورة الأنعام، الآية 143.

²⁴² سورة الزخرف، 63.

²⁴³ تفسير الشعراوي، المجلد الثاني، ص 775.

خاتمة الفصل الثالث

هكذا أُرنا قد بحثنا في دلالة الائتلاف ونحن بذلك في حلٍّ عن ائتلاف الدلالة. ذلك أنّ الدلالة لم تأتلف فيما حللنا وإنما ائتلاف الألفاظ وما سواها حثنا على البحث في دلالة ضروب الائتلاف. فانبساط اللفظ في الخطاب القرآني وعودته من جديد على شاكلته. وورود الجملة في القصة الإبليسية المتواترة قصصياً وترجيحها مجدداً بالأسلوب التعبيري نفسه. هذا فضلاً عن انبجاس السياق في هذا الموضع وتواتره في موضع آخر بكيفية ائتلافية، ليس ذلك كلّه مُتأتياً من خواء اللّغة وقرّ الخطاب كما يتسنى للبعض على اختلاف تلاوينهم. ولا يعني ذلك أيضاً تكريراً للمكرو، وإنما لبّ ذلك في مجمله عودة فارقة للفروق²⁴⁴. ولعلّ مثل هذه الأضرب التكرارية المؤتلفة في أوجه من وجوها هي تقليعة هبّت ريحها من القصة الإبليسية المكرّرة، فانحنى لها التفكير علامة بحث وتنقيب وأدها السؤال: ما سرّ التكرار والمعاودة؟ فارتدّ الفكر إلى قلعة الباطن بحثاً عن الدلالة. وعلى هذا النحو باحت وأباحنا لنا هذه الأنماط التكرارية بأنساقها الإبداعية²⁴⁵. هذه الأنساق التي تطرّقنا إليها في ثنايا التحليل، ومن ثمة لم تكن دلالة الائتلاف على مستوى اللفظ والجملة والسياق "شاغلاً نتدبره بالبهتة وثلثت عنه بالتجريد"²⁴⁶.

ولعلّ شرعية هذا المنطق التأويلي الدلالي هو تكرر الضرب الأوحده {لفظ، جملة، سياق}. ومن ثمة يُشكّل هذا النمط الائتلافي التكراري "بؤرة محورية في بنية العمل القصصي"²⁴⁷. هكذا غدا التكرار المؤتلف (لفظاً وجملة وسيقافاً) سرعة من شرعات الخطاب القرآني. وأنظر في خطاب هذه القصة كيف كان حيويًا حيًّا يزكو بالإنفاق ويرشح بالدلالة "ليُحرّك خواطر من لم تمت منهم الخواطر"²⁴⁸.

وعلى هذا النحو تولّينا تنزيل دلالة الائتلاف التكراري في خطاب قصة إبليس المكرّرة. فإذا هي دلالة مُسيّجة في مجملها بطابع تحريضي (Incitatif)²⁴⁹ ذلك أنّ التكرار اللفظي والجملي والسياق هو تكرر يحكي قصة الأفعال الفاضلة مع الأفعال الشريرة، وهي قصة بناها القُرآن بناءً تكرارياً ائتلافياً "ودفع بها إلينا لثثير فينا الحقد والكراهية لإبليس وتدفعنا إلى النفور منه حتّى لا نستجيب له ولا نأتمر بأمره"²⁵⁰. وبعد هذا نلتفت جهة البحث في دلالة الاختلاف حتّى لا تستحوذ علينا انتقادات الآخرين وتسيطر علينا "وملء حلوقنا مرارة قول الزاعمين لم يدع الأوّل للأخر شيئاً"²⁵¹.

²⁴⁴ عبد العزيز العيادي، *إيتيقا الموت والسعادة*، الطبعة الأولى أبريل 2005، دار صامد للنشر صفاقس - تونس، ص 148.

²⁴⁵ *المقام في الأدب العربي*، ص 107.

²⁴⁶ *إيتيقا الموت والسعادة*، ص 148.

²⁴⁷ ناهضة شتار، *بنية السرد في القصص الصوفي: المكونات والوظائف والتقنيات*، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2003، ص 233.

²⁴⁸ *إيتيقا الموت والسعادة*، ص 12.

²⁴⁹ يتخذ من حثّ المتقبل أو رده مقصداً، ومن ثمة يكون التحريض عابراً ومنعزلاً، أنظر كتاب *المقام في الأدب العربي*، ص 7.

²⁵⁰ *الفن القصصي في القرآن الكريم*، ص 237.

²⁵¹ *إيتيقا الموت والسعادة*، ص 13.

المدخل المفهومي

النَّفْظ: (Le terme) هو من الفعل "لفظ" المتكوّن من الجذر (ل، ف، ظ). واللفظ جمعه ملافيظ.²⁵² فما الجملة؟ **الجملة (La phrase):** هي قاعدة الحديث. وتبيّن معاني الجملة بالألفاظ التي تتكوّن منها المعاني النحوية الوظيفية.²⁵³ فما السياق؟

السياق (Le contexte) هو جملة النصوص التي تكون في عُلقة بالدلالة. والغاية من السياق الضمني هي التأويل الدلالي الذي عنه تتولّد الدلالات السياقية. ومن ثمة تصبح الدلالات السياقية تشكّل وحدة دلالية.²⁵⁴ ويُعرّف السياق أيضا بكونه المحيط المادّي والاجتماعي الذي يأخذ فيه هذا الفعل مكانه والصورة المتبادلة بين المتخاطبين. كذلك السياق يُحدّد هوية المتخاطبين ويضبط الفكرة التي يحملها كلّ واحد عن الآخر.²⁵⁵ وتتمثّل أهميّة السياق في كونه يحدّد المشيرات (Les déictiques) ويحدّثنا عن الفاعل. كما يُحدّد السياق طبيعة الفعل الكلامي المنجز.²⁵⁶ ونجد في معجم اللسانيات أنّ السياق هو جملة الشروط الاجتماعية التي تدرس العلاقات القائمة بين السلوك الاجتماعي واللّساني. ونحدّد السياق بالمقام الاجتماعي لاستعمال اللّغة.²⁵⁷ السياق كذلك عنصر لغوي (كلمة، جملة...) وهو بذلك جملة الظروف التي تحتوي فعلا معيّنا.²⁵⁸

²⁵² **المعجم الوسيط**، الجزء الثاني، تأليف لجنة من الباحثين، الطبعة الثّانية 1393هـ/1973م، دار إحياء الثّراث العربي - مصر، ص 832.
²⁵³ المنصف عاشور، **بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية**، المجلد الثاني، جامعة تونس، منشورات كلية الآداب بمنوبة 1991، ص 21.
²⁵⁴ يقول ألبيردا جوليان قريماس وجوزيف كورتاس:

Le contexte c'est l'ensemble du texte qui précède l'unité syntagmatique considérée dépend la signification. Le contexte peut être explicite ou linguistique, ou bien implicite et qualifier en cas d'extralinguistique ou de situationnel. Le contexte implicite peut être exploité en vue de l'interprétation sémantique.

Les sème contextuel (ou classème) on entend des sème ou des faisceaux sémantique qui sont récurrent dans l'unité considérée et dans son contexte. Les sèmes contextuel font ainsi partie de la composition d'un sème.

Sémantique, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage منشورات Hachette livre 1993 ص 67/66.

²⁵⁵ يقول كلّ من، ديكر وندروف:

Il faut entendre par là à la fois l'entourage physique et social ou acte prend place, l'image qu'en ont les interlocuteurs, l'identité de ceux-ci l'idée que chacun possède de ce que l'autre pense de lui, les événements qui ont précède l'acte d'énonciation.

Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, منشورات 1972 Seuil ص 417.

Le contexte peut déterminer les déictiques (Je, tu, ceci, ici, maintenant), aussi le contexte parle²⁵⁶ d'une personne. Le contexte détermine la nature de l'acte de parole accompli ou encore sa valeur illocutoire est tout à fait différent de son effet réel

المرجع نفسه، ص 418.

²⁵⁷ عرّف جون دي بوا السياق قائلا:

Le contexte c'est l'environnement, ou les unités qui procède et qui suivent une unité déterminée. Aussi le contexte c'est l'ensemble des conditions sociales qui peuvent être prises en considération pour étudier les relations existant entre le comportement social et le comportement linguistique et

مقدمة الفصل الرابع

من نافل القول أنّ لكلّ مطاف بداية. ومطاف البحث في دلالة الاختلاف تبدأ رواقه من هذه الورقة. فلئن ميّز اللسانيون بين ضربين من المقام، وهما المقام الموقفي والمقام النَّصِّي. ²⁵⁹ (Le contexte situation et le contexte textuel)، فإنّ معوّل بحثنا ضمن هذا الإطار سيكون المقام النَّصِّي (le contexte textuel). ولئن كان المقام النَّصِّي يشترط أن تكون العناصر اللغوية متجاوزة تجاورا مبرّره أنّها من طينة واحدة، فإنّ هذا المعطى نستوعبه لتجاوزته. ذلك أنّ القصة القرآنية التي بين أيدينا "مقام متكامل يُحيل بعضه على بعض" ²⁶⁰. نقصد أنّ بناءها الانتلافي يُحيل على ضديده الاختلافي. لهذا سنبحثُ في دلالة الاختلاف على مستوى اللَّفْظ. ذلك أنّنا كثيرا ما نجد ألفاظا مكرّرة بصيغة اختلافية بماهي صيغة حمّالة للدلالة. ثمّ نعد في لحظة البحث الثّانية إلى تبيان الاختلاف التكراري على مستوى الجمل السردية خصوصا وأنّ القصة الإبليسية المتعاودة في الخطاب القرآني، سبق وأن بيّنا أنّها تستجيب لمنطق التّحليل السردية (L'analyse de la narratologie). ومن ثمّة فنحن مدعوون إلى البحث في دلالة الاختلاف على مستوى الجمل، سيّما وأنّ هذا الضرب فيه تنوّعت موادّ الصياغة وطرائق البناء فتكون الجمل قائمة على الاختلاف واقعة في دائرة التكرار. ²⁶¹ نُعرّج في لحظة البحث الثّالثة بالبحث في دلالة الاختلاف التكراري على مستوى السّياق.

ولا يذهبن بنا الظنّ أنّنا بكلامنا حول دلالة الاختلاف على المستويات التي ذكرنا في الموضوع الذي إليه أشرنا، سنأتي على استخراج المواطن جميعها ونأتي على استخراج الدلالة بأكملها، وإنّما سنبذل ما بوسعنا بذله من أجل استجلاء بعض العيّنات لأنّ "الكلام لا ينقطع له مدّ ولا يأتي عليه عدّ. ومن ثمّة فإنّ البحث في دلالة الاختلاف مهما حاولنا ضبطها تبقى كثرتها فائضة عن كلّ حدّ فالتة من كلّ ضبط." ²⁶²

souvent désigné comme le contexte social d'utilisation de la langue. Ce sont les données communes à l'émetteur et au récepteur sur la situation culturelle et psychologique.

Dictionnaire de linguistique تحقيق مكتبة لاروس 1973، ص 120.

²⁵⁸ لقد عرّف كلّ من جوزات دي بوف راي وألان راي السّياق على النحو الآتي:

"Le contexte est un ensemble du texte qui entour (un mot, une phrase...) ensemble des circonstances dans les quelles s'insère un fait, contexte situationnel, politique familial..."

Petit Robert منشورات entièrement revue et amplifiée du petit robert ص 512.

²⁵⁹ المقام في الأدب العربي، ص 47.

²⁶⁰ المرجع نفسه، ص 48.

²⁶¹ إنّ اختلاف الجملة عن غيرها اختلافا جزئيا من شأنه أن يجعلنا نتحدّث عن الاختلاف التكراري. ذلك أنّ الجملة الواحدة تكرّرت بطريقة مختلفة. غير أنّ من البعض من يرى أنّ الجملة وإن قامت على الاختلاف لا تقع في دائرة التكرار. أنظر مثلا كتاب حاتم عبيد:

وظائف التكرار في القرآن، الفقرة الثّانية، ص 119.

²⁶² وظائف التكرار في القرآن، ص 120.

IV - دلالة الاختلاف في تكرار قصة إبليس

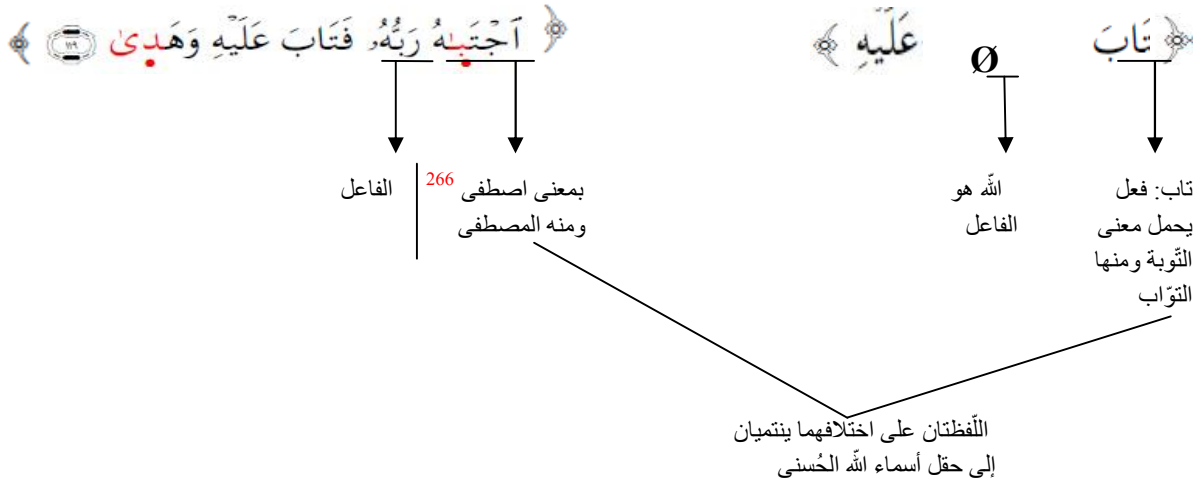
1 - على مستوى اللفظ

إن من سمات الإعجاز في الخطاب القرآني الذي منه تألفت قصة إبليس ومنه تألفت عناصر هذه القصة هي أن تكون الألفاظ مقدودة من لبنات متخالفة لها قوالبها الدلالية، فنكون عندئذ إزاء ما نعتناه بالتكرار اللفظي التخالفي.²⁶³ من ذلك نجد الاختلاف اللفظي مع بيان المأل، ويشتمل هذا النوع على صنفين. أولهما مأل الإيجاب، نستدلّ عليه من خلال قوله تعالى:

﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ ۖ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢٦٤﴾ 264

﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿٢٦٥﴾ 265

فالمأمل في هذين الشاهدين، يرى أنه على اختلاف الألفاظ في قوله (التَّوَّابُ، الرَّحِيمُ،) وفي قوله (تاب، هدى)، ظلّ المعنى ثابتاً لم يتغيّر. فلئن انتمت لفظتا (التَّوَّابُ، الرَّحِيمُ) إلى حقل أسماء الله الحسنى وتعلّقت بمعجم التوبة التي ظفر بها آدم وزوجه بماهي مأل إيجاب، فإن لفظتي (تاب، هدى) ينتميان بدورهما إلى حقل التوبة والهداية. ولنا أن نبيّن ذلك بالمنظور الآتي:



لقد اختلف اللفظ في (تاب، اجتبه) وبقي المعنى واحداً ثابتاً لم يشبهه اختلاف. وللسائل هنا أن يسأل: إن كان المعنى واحداً، فلم الاختلاف اللفظي المكرّر؟ الرأى عندنا أنّ دلالة الأسلوب التقني المتمثل في تكرار الاختلاف على مستوى اللفظ هو أنّ إعراب المرء عن نيّته في التوبة يتّفق وجميع الاستعمالات اللفظية، وأنّ الله يقبل توبة كلّ من تاب. والحال تلك أنّ الحكايتان في [الآية 37 من سورة البقرة

²⁶³ في هذا الضرب يتكرّر اللفظ الواحد ولكن لا يُحافظ على صيغته التماثلية بل يتلوّن بصيغة تخالفية. وضمن هذا الإطار يذهب الأستاذ: حاتم عبيد إلى القول: "يمكن للمتكلّم أن يجعل جملة مقدودة من لبنات متماثلة تصبّ في نفس القوالب فنكون إزاء التكرار الحرفي". وإن قسنا على ذلك فإننا واجدون أنّ الألفاظ المقدودة من لبنات متخالفة تجعلنا أمام تكرار تخالفي. أنظر مثلاً كتاب **وظائف التكرار في القرآن**، ص 119.

²⁶⁴ سورة البقرة، الآية 36.

²⁶⁵ سورة طه، الآية 119.

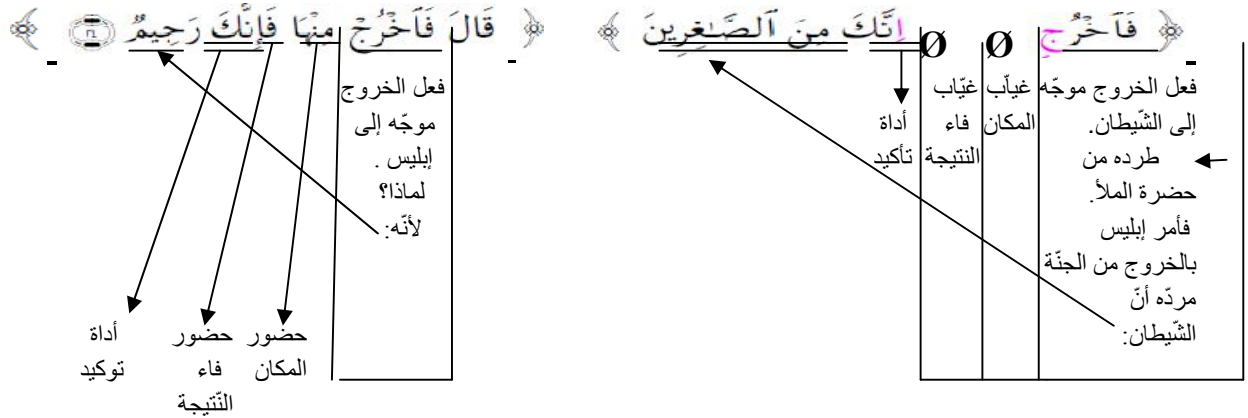
²⁶⁶ ثمّ اجتباه ربّه: "حرف عطف للترتيب، اجتباه أي اصطفاه فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح المقتر على الألف للتّعذر، والهاء ضمير متّصل في محلّ نصب: مفعول به مقدّم"، بهجت عبد الواحد صالح، **الإعراب المفصل لكتاب الله المرثّل**. المجدّد السبع، الطبعة الأولى 1414هـ/ 1993م، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان - الأردن ص167.

والآية 122 من سورة طه]، كانتا مختلفتين في الألفاظ ومعانيها متفقة في "أَنَّ اللَّهَ قَبْلَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَلْقَاهُنَّ مِنْ آدَمَ الَّذِي تَوَجَّهَ مُتَّصِلًا إِلَى رَبِّهِ مِنْ خَطِيئَتِهِ نَادِمًا عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ مِنْ خِلَافِ أَمْرِهِ".²⁶⁷

ورأس الأمر إنّ تحوّل اللفظ المكرّر من كيفية إلى كيفية كما سبق وإن رأينا، هو تحوّل آدم من حالة إلى حالة. من حالة المغضوب عليه إلى حالة المرضي عنه. ذلك أنّ الله "يؤوب له من غضبه عليه إلى الرضا عنه ومن العقوبة إلى العفو والصّفح عنه".²⁶⁸ هذا إلى جانب الاختلاف اللفظي مع بيان المأل السّالب". ونقصد بالمأل السّالب النتيجة أو الجزاء الذي لا يُحمد عقباه. من ذلك:

﴿... فَأَخْرَجَ إِيَّاكَ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾²⁶⁹ ... ﴿قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَايْنِكَ رَجِيمٌ﴾²⁷⁰

فقد أكّد المولى في بادئ الأمر أنّ الشيطان من الصّاعرين وأدانتنا في ذلك أنّه توجّه إليه بخطاب مباشر حرّ حامل لأداة التّوكيد "إنّ" قائلا: "إِنَّكَ مِنَ الصّاعرين". والأسلوب نفسه تكرر في قوله "إِنَّكَ رَجِيمٌ". ولو قارنا بين المثالين من وجهة نظر تخالفية، أرانا واجدين ما يلي:



وعلى هذا النحو اختلف التبرير اللفظي الذي استدعاه فعل الخروج، ومن ثمة اتفق المعنى الواحد مع تخالف لفظين. فعبارة (من الصّاعرين) وعبارة (رجيم) معناهما واحد وهو نبذ إبليس لأنّه تكبر، وتذليله لأنّه في حضرة الملائكة تجبر. ولعلّ دلالة هذا التكرار اللفظي بصيغة الخلف تكمن في أنّ الله تعالى بيّن لنا خسران إبليس للمكان، فهو من الصّاعرين وأنّى للصّاعرين أن يحضوا بفردوس الجنان؟ لذلك أمر

الله إبليس بالخروج. أمّا في قوله: ﴿فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَايْنِكَ رَجِيمٌ﴾

فإنّ الخطاب القرآني هنا يوضّح لنا خسران إبليس للمكان، فبعدما كان في الجنة متنعمًا بخيراتها، أصبح مطرودًا من كلّ خير ذلك أنّه ضيّع مجده وهيبته أن يُردّ.

ومجمل القول في ما نحن فيه، أنّ التكرار اللفظي بتقنية الاختلاف بيّن لنا أنّ إبليس الذي قابل أمر ربّه بالاستكبار لا يُجازى إلا بالصّغار والرجم. نلاحظ إذن أنّ هناك معاملة ضديّة يُمكن أن تُترجمها على

²⁶⁷ محمّد بن جرير الطبري، تفسير الطبري المسمّى جامع البيان في تأويل القرآن، المجلد الأول، دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان، ص 283.

²⁶⁸ المرجع نفسه، ص 283.

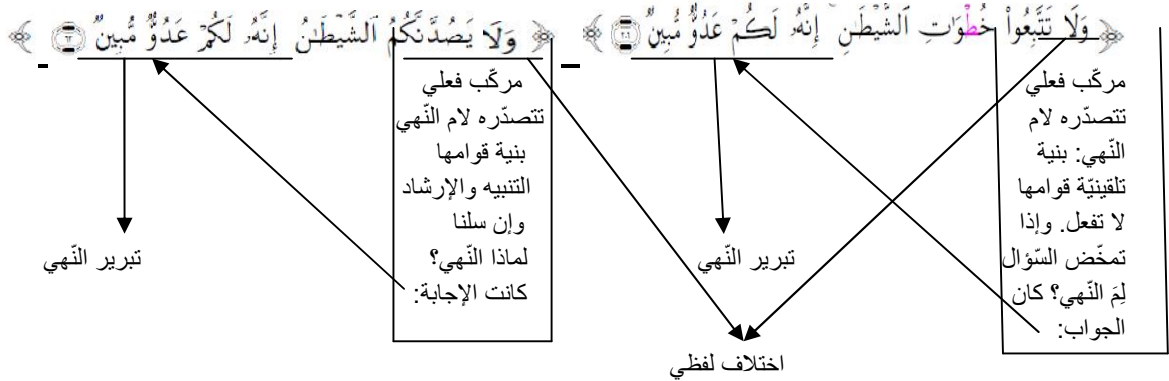
²⁶⁹ سورة الأعراف، الآية 12.

²⁷⁰ سورة الحجر، الآية 34.

أنها: " لون من ألوان التّأديب والتّهذيب والتّعليم"²⁷¹ وإضافة إلى الضّربين المذكورين أنفاً، نجد ضرباً آخر من تكرار الألفاظ المتخالفة وهو الاختلاف اللفظي مع النهي والتّبرير. ولنا أن نستدلّ عليها من خلال النماذج القرآنيّة الآتية:

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾²⁷² ﴿ وَلَا يَصُدَّنْكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾²⁷³

فما يمكن الإشارة إليه في هذا الموطن أنّ المادة الخبرية في الشّاهدين واحدة تؤكّد عداوة الشّيطان ومن ثمّة تدعونا إلى الابتعاد عنه مع ملاحظة التّكرار اللفظي بالمخالفة. ففي قوله (لا تتبعوا خطوات الشّيطان) هناك دعوة صريحة إلى قطع الصّلة بالعرف الإبليسي. والمعنى عينه نجده في قوله تعالى: (لا يصدّنكم الشّيطان) وهذا النهي عن فعل الشّيء في هذا الخطاب القرآني كان مطعماً بالتّبرير، وعماد القول أنّ اختلاف اللفظ لا يُغيّر في المعنى شيئاً، ولنا أن نوضّح ما نقول بالمثال الآتي:



ولعلّ دلالة هذا التّكرار اللفظي بالخلف هي للتذكير (Rappel) والتذكير بصيغة المخالفة

يجعل الإنسان يبني تصوّره على محاذير شتى، ومن ثمّة يكسب مناعة تُحيط به من كلّ صوب وحذب. وعلى هذا النحو ليس بوسع الشّيطان أن يُفاجئ المرء بأيّ حال من الأحوال شريطة أن يتقيّد الإنسان بالخطاب التلقيني المتمثّل في "لا تفعل" كما في قوله "لا تتبّع، لا يصدّنك". لهذا ورد في تفسير الشعراوي ما يلي: "حين نريد أن نصون أجسامنا نجعل لأنفسنا مناعة قبل أن يأتي المرض نطعم أنفسنا ضدّ كذا وكذا... فكان الله سبحانه يكرّر عداوة الشّيطان وما دامت هناك عداوة مسبقة فلن يأخذكم على حين غرة!"²⁷⁴

وبناء على ما تقدّم، كان التّكرار اللفظي بصيغة المخالفة من أجل أن يعلم القاصي والداني أنّ الشّيطان عدوٌّ مبين. فلئن تعدّر علينا فهم هذه الصّيغة اللفظية، فإنّه بإمكاننا فهمها بأسلوب مغاير. وإلى جانب كلّ هذا نجد "الاختلاف اللفظي مع التّوكيد والنفي". ومن آيات ذلك :

²⁷¹ تفسير الشعراوي، المجلد السابع، ص 4067/4065.

²⁷² سورة البقرة، الآية 206.

²⁷³ سورة الزّخرف، الآية 62.

²⁷⁴ تفسير الشعراوي، المجلد الثاني، ص 885.

﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ 275 ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ 276

فالمقصود بلفظة (عبادي) هم الذين اصطفاهم المولى من الوقوع تحت سلطة العرف الإبليسي. وتعني لفظة (الذين آمنوا) الذين أخلصوا نفوسهم لله، ومن ثمة فهم في حلّ من قهر الشيطان 277. وضمن هذا الإطار حريّ بنا أن نُشير إلى أنّه على الرّغم من الاختلاف اللفظي إلّا أنّ لفظة (عبادي) أدت المعنى ذاته الذي أدته لفظة (الذين آمنوا) وهو المتمثّل في صيانة الله لهذه الطائفة من إغواءات إبليس. ولعلّ آية توسيع التّحليل هو المثال، لذلك نأتي بهذا المثال للتوضيح والتبسيط والتبيين.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾

ففي هذا المثال نجد خطابا مباشرا، فالمخاطب هو (إبليس) حاضر من خلال المُشيرَات الآتية (لك، اتّبعك) فلو كان المخاطب غائبا لكانت الالتفاتة الآتية (له، اتّبعه).

إنّ: توكيد حرفي. / ليس لك...: النفي بـ: ليس. / عبادي: ليس للشيطان سلطة عليهم.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

نجد في هذا الشاهد خطابا غير مُباشر فقد ورد في هذا الخطاب لفظ (ليس له) بدل (ليس لك)

وكذاك نجد (إنّه) بدل (إنّك).

إنّ: أداة تأكيد. / ليس: أداة نفي. / الذين آمنوا: لهم مكانة راقية عند الله فلا سلطة للشيطان عليهم.

ومُجمل القول أنّ التكرار اللفظي مع النفي والتوكيد في هذين المثالين يتّضح لنا من خلال ما يلي:

﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾

" أداة توكيد" " أداة نفي" " تكرار لفظي اختلافي"

وصفوة القول إنّ الدلالة الاختلافية المُتمخّضة عن هذا الضرب التكراري، هي: " التّشنيع" 278

بالذات الإبليسية. تشنيع يترتب عنه تلذذ المؤمنين: فبقدر ما يحطّ الخطاب القرآني من شأن إبليس كما في قوله تعالى: (ليس لك سلطان)، يُثمّن في الوقت ذاته الذات المُخالصة لله الدين حنيفة. وعلى هذا الأساس تكرّرت تسمية الذين اصطفاهم الله مرّة بلفظة (عبادي) ومرّة أخرى بلفظة (الذين آمنوا). ومهما شاعت طبيعة الحال أن يكون اللفظ، فإنّ الدلالة تجمع بين هذه اللفظة وتلك لتبوح لنا بأفضليّة التّواجد في الوجود

275 سورة الحجر: الآية 42

276 سورة النحل: الآية 99

277 تفسير الشعراوي المُجدّد الثاني عشر ص 7706

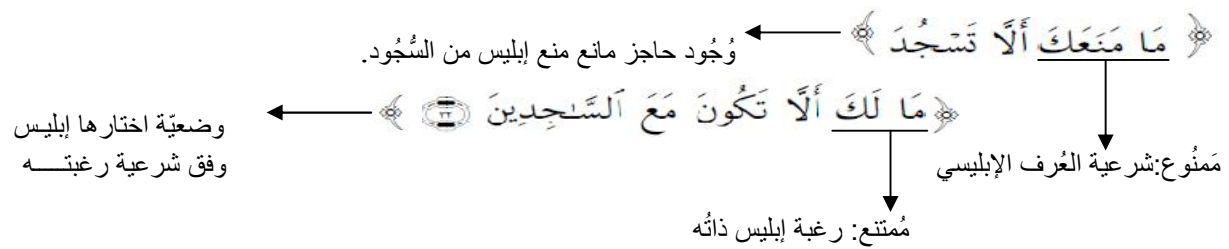
278 لم يكن التشنيع بآية حال من الأحوال بمعزل عن تلذذ الذات المُخالصة للمشنع به، فيقدر ما يُوغل المُتكلّم في خطابه من الحطّ من قيمة الفاعل، فإنّه في اللحظة ذاتها يُثمّن طرفا آخر. وفي ذلك أطراد بالخلف أو كما يطيب للبعض الأطراد العكسي. انظر كتاب مُحمّد بن عياد "المقام في الأدب العربي"، فصل: النصّ في علاقته بالكون ص 178

. ومن ثمة فإنّ الأفضليّة الوجودية هي الشعور بالإنشاء (L'extase). وأتى للإنسان ألاّ يشعُر بالنشوة الإيروسية (L'érotisme) وقد صانه الله من "سليط إبليس" 279 الذي يتوهج إغواء وكفراً. ومن آيات التكرار اللفظي بالخلف كذلك نجد "التكرار اللفظي مع السؤال" فقد أضفنا إلى عبارة "التكرار اللفظي" عبارة "مع السؤال" ذلك أنّ الألفاظ التي تشكّل منها السؤال تكررت بصورة اختلافية. من ذلك:

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ... ﴾ 280 ﴿ قَالَ يَبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ 281

فلا محيص من أن نلاحظ أنّ الصيغة الموجودة في المثالين هي صيغة استفهامية، بيد أنّ التقنيّة اللفظية التعبيرية تغيرت إذ نجد في المثال الأوّل (ما منعك؟) في حين نجد في المثال الثاني (مالك) فالسؤال كان موجّهاً إلى إبليس الذي أبا السجود لما أمره الله بذلك. ونحن حين نُحلّل هذين المثالين من زاوية دلالة الاختلاف، نجد أنّ التكرار اللفظي بالخلف يؤكد لنا أنّ العُرف الإبليسي في بُعد التقليدي وفهمه للكون هو الذي منع إبليس من السجود لآدم ومن ثمة يتعذّر على إبليس اختراق سياج الممنوع. وحتى إن أحدثت العقلية الإبليسية تشققات في هذا الممنوع، فإنّ عملية الخرق هذه يعقبها فهم خاطئ لطبيعة العناصر الكونية. والوجه في ذلك أنّ إبليس الذي خلق من نار يرى نفسه أفضل من آدم الذي خلق من طين. وعلى هذا الأساس سيؤسّس إبليس لنفسه مبدأ قوامه الامتناع. عندئذٍ نكون بين مدارين: مدار الامتناعية ومدار الممنوعة.

وتسعفنا المادّة المعجمية في (م،ن،ع) فإذا نحن واجدون أنّ المنع من الامتناع. وبهذا يكون التكرار اللفظي الاختلافي لتأكيد وترسيخ المعنى الفعلي وهو المنع عن السجود. 282 وهكذا فإنّ رفض السجود يحركه دافع ذاتي: وهو المُتمثّل في رغبة إبليس في رفض السجود وفق فلسفته الخاطئة في فهم عناصر الكون. ودافع خارجي: وهو المُتمثّل في مُعتقدات العُرف الإبليسي. ولعلّ المثال يُؤكّد ما نقول:



ومن ضروب الاختلاف على مُستوى اللفظ ألا وهو "الاختلاف اللفظي مع الجواب الاختلافي". ومن آيات ذلك :

279 السليط هو ما يُضاء به وهو زيت الفتيبة كما ورد ذلك في لسان العرب في مادّة (سلط) ومن مدّة سلط جاء الحديث عن إبليس بأنّه ليس له سلطنة على المؤمنين أي ليس له حجة يُنير بها وجه الحقّ وبها يُحقّق إقناع الذين آمنوا. انظر تفسير الشعراوي المجلد الثالث عشر ص 8203

280 سورة الأعراف، الآية 11

281 سورة الحجر، الآية 32

282 "ورد في تفسير الشعراوي، المجلد السابع ما يلي: (ما منعك أن تسجد) كأنه كان عنده تهيؤ للسجود. فجاءت قوة أقوى منه ومنعته وحالت بينه وبين أن يسجد. لكن ذلك لم يحدث وتأتى (منع) بأن يمتنع هو عن الفعل وذلك بأن يُقنعه غيره بترك السجود فيقتنع ويمتنع. وهناك فرق بين ممنوع ومُمتنع. فممنوع هي في (ما منعك ألا تسجد) ومُمتنع تعني أنّه امتنع من نفسه..."

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾²⁸³

﴿ قَالَ لِمَ أَكُنْ لَأَسْجَدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾²⁸⁴

فما نلاحظه هو أنّ التبرير الإبليسي الوارد في سورة الأعراف ليس هو الوارد في سورة الحجر. وعلى الرغم من الاختلاف التبريري (La justification différentielle) إلا أنّ المعنى في السورتين بقي على حاله لم يشهد أيّ ضرباً من ضروب ترحاله وهو إرادة إبليس الذي رتبّ المراتب وفق شرعية رغبته²⁸⁵. ولعلّ الترسمة التأويلية الآتية تكون مدّاً للاستبيان.

الطين والنار بين مستويات ثلاثة يحكّمها المستوى التأويلي الأنطولوجي

المستوى التأويلي	المستوى الأولاني	المستوى الثانياني	المستوى الثالثاني
العنصر المؤول	هو عنصر من عناصر الكون.	له وظيفة استخدامية كصنع الأواني الفخارية مثلاً.	تتسع وظيفة الطين الاستخدامية ومن ثمة فهو المادة التي يُخلق منها الإنسان. أو لم يُخلق المرء من بين الترائب.
الطين	هي أحد العناصر الكونية الأربعة إلى جانب الماء والتراب والهواء.	لها وظيفة استخدامية كطهي الطعام على سبيل المثال. ومن ثمة فهي في اتجاه المقصدية.	تتكمّل مقصديتها في مستواها الثالثاني ومن هنا تنفتح على التأويل النهائي فإذا بالنار مادة الخلق التي منها خلق إبليس.
النار			

لئن كانت النار في الخلق مادة منها يُخلق الكائن وكذلك الشئان بالنسبة للطين، فإنّ الأمر سيان. فهل أنّ ذلك كان كذلك في التصوّر الإبليسي؟ للإجابة عن هذا السؤال ندوّن جدولاً بعنوان: التصوّر الإبليسي لعناصر الكون (الطين والنار): تأويل ثلاثي المستوى تدريجي المنطوق.

المستوى التأويلي	المستوى المباشر	المستوى الدينامي	المستوى النهائي
العنصر المؤول	أقل مرتبة من النار.	المخلوق من الطين عليه أن يخضع لمخلوق النار	رفض إبليس السجود لأدم الكائن الطيني، لأنّه يرى في ذلك انقلاب للقيم.
الطين			

²⁸³ سورة الأعراف، الآية 11

²⁸⁴ سورة الحجر، الآية 33

²⁸⁵ لقد ذهب الظنّ بإبليس أنّ العناصر الكونية المتمثلة في الطين والحجر هي التي تُعطي للمخلوق التفوق والتميّز. ووفق هذا التصوّر حاجج إبليس خالفه متوخّياً تعبيرات بصيغ اختلافية. بيد أنّ الأمر يكمن في إرادة المعنصر وهو الله الذي يُرتبّ المراتب وفق مشيئته وحكمته. انظر تفسير الشعراوي المجلّد الثاني عشر ص 7699

النار	أعلى مرتبة من الطين	الكائن المخلوق من النار يتعذر عليه أن يتحني و يُصلي لمخلوق من طين.	العُرف الإبلِسي لا يَسْمَحُ بالتكافؤ بين العُنصرين إيماناً منه بأفضليّة النار على الطين.

ولعلّ دلالة الاختلاف على مُستوى اللفظ قوله:

﴿... قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾²⁸⁶

﴿قَالَ لِمَ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِمِشْرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾²⁸⁷ ﴿288﴾

هي تقديم أصناف من التبريرات الفاشلة الباهتة التي توسلها إبليس. وفي ذلك دعوة صريحة إلى لفت انتباهنا لتبيين صفة إبليس المُعاندِ عِنَادَ المُكابرِ الضال في طريق الكُفْران. ولئن كُنَّا نتحرّك في حيز قصصي أدبي بما هو جانب فنّي، فإنّ هذا الحيز من شأنه أن يجعل القصصي التكراري يغدو علماً. وحُجَّتنا في ذلك أنّ الخطاب القرآني كرّر اللفظ بالاختلاف ليُطلعنا على أنّ الخيريّة لا تتأتّى في عنصر دون سواه كما فهم ذلك إبليس، وإنّما الخيريّة تتأتّى في العُنصرين معا (الطين والنار) وإن شئنا أن نُؤكّد ذلك من جانب علمي صحيح لطرحننا السّؤالين الآتيين: هل بوسعنا زرع الزرع في النار؟ هل يُمكننا الطهي على الطين؟ إنّ الزرع لا يكون إلّا في الطين والطهي لا يكون إلّا على النار. ومن ثمة يُؤكّد لنا الخطاب القرآني أنّ لكلّ عنصر كوني مهمته الوظيفيّة²⁸⁹ (Son rôle fonctionnelle).

وعماد القول أنّ الخطاب القرآني في حديثه عن جواب إبليس جاء حافلاً بتكرار لفظي اختلافي للتأكيد على أنّ للنار جهة استخدام والشأن ذاته يتوقّف عليه الطين. ومن ثمة لا أفضلية لهذا على ذلك إلّا بالإتقان. فلا ريب أنّ تفكير إبليس يُحرّكه عقل ظلّماني يُفسّر الأشياء تفسيراً خاطئاً باهتاً باطلاً. هكذا نرى أنّ اللفظ الواحد يُعرض في صور مختلفة وهذا يدخل في باب التعبير عن المعنى الواحد بأشكال تعبيرية مختلفة. لهذا ذهب "مُحمّد أحمد خلف الله" إلى القول: "القرآن يُصوّر التصوير الأدبي لا التصوير التعليمي التاريخي وليس بعد ذلك من دلالة على أنّ القصة التاريخية في القرآن قصّة أدبيّة"²⁹⁰

ومُجمل القول في مسألة الاختلاف اللفظي أنّ الجانب القصصي في القصة الإبلِسيّة لم يكن من شأنه أداء الألفاظ بعينها إنّما قصد استجلاء الدلالة لهذا يُقرّ "خلف الله" بالقول الآتي: "...إن أحسن بأصل المعنى إنّما لم يتهيأ له من وضوح التفسير الأدبي وسرّ العمل الفنّي في دلالة الألفاظ والمواد الأدبيّة ما

²⁸⁶ سورة الأعراف، الآية 12

²⁸⁷ الحمأ المسنون هو الحمأة: أي طين تغيّر واسودّ من طول مُجاورة الماء، انظر قاموس الهادي إلى لغة العرب مادة (ح،م،ي) ص 527

²⁸⁸ سورة الحجر، الآية 33

²⁸⁹ ضمن هذا السياق يقول الشعراوي: "لا تقلّ عن عود الحديد مُستقيم ولا تقلّ عن الخطاف هذا عود أعوج. لأنّ مهمّة الخطاف تقتضي أن يكون أعوج وعوجه هو الذي جعله يُؤدي مهمته لأنّ الخيريّة إنّما تتأتّى في متساوي المهمة ولكن إبليس قال أنا خير منه." انظر التفسير، المُجلّد السابع

ص 4064

²⁹⁰ الفن القصصي في القرآن الكريم الفقرة الثّانية ص 172

يحلّ به الإشكال" ²⁹¹. فالتكرار الاختلافي الذي شمل اللفظ، لم تكن الجملة في حلٍ منه وهذه خصيصة تفرضها طبيعة النظام العلائقي التي تُؤسّسُ عُلقة اللفظ بالجملة. وضمن هذا الإطار علينا أن ندققَ أمراً منهجياً وهو أنّ غايتنا المنهجية ليست الاكتفاء بإستخراج مواطن التكرار الاختلافي على مستوى الجملة، وإنّما غاية ما نطمح إليه هو استقصاء دلالة هذا الاختلاف الذي شهدته الجملة المكررة في القصة إبليسيّة. ومن هذه الزاوية سيُكون دأبنا البحث في عنصر "أوغل شأوا في التبليغ" ²⁹² ألا وهو:

2- دلالة الاختلاف على مستوى الجملة

لقد وسمنا هذا الضرب كذلك لأنّه ليس من العسير على الناظر في هذا الموطن أن يلاحظ تكرار الجملة في القصة الإبليسيّة المكررة بتقنية الاختلاف. ومن ضروب ذلك نذكر "تكرار الجملة بالاختلاف مع تغيير فعل الأمر" نستدلّ على هذا المنوال التكراري الاختلافي من خلال قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ ²⁹³

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ²⁹⁴

نلاحظ أنّ هذين الشاهدين أمارة على تكرار الجملة عينها ولكن بطريقة اختلافية. فليس الهيئة التي توفرت عليها الجملة الأولى هي الهيئة التي توفرت عليها الجملة الثانية مع ملاحظة أن المعنى يشترك فيه الجملتان معا وهو أمر الملائكة بالسجود لآدم. فالشاهد الأول كان فيه الترتيب مع التراخي و هو معنى حقّته أداة العطف (ثم) والوجه في ذلك قوله تعالى :

﴿ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا ...﴾

فهناك قانون خلق ووجود لا شأن للإنسان به لأنّ الخلق والوجود سابقان للإنسان. فالخلق يبدأ من التراب إلى أن تكتمل الصورة الأدمية. ²⁹⁵ وأمّا في الشاهد الثاني كان الجمع والترتيب بأداة العطف المُتمثلة في (الواو) حرف للوصل يعطف التسوية على النفخ في آدم من روح خالقه. وآية ذلك:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾

"فسويته" هنا بمعنى خلق المرء وقد تمّ اكتملت صورته ولم يعد ينقصه إلا الروح. لذلك قال تعالى:

﴿نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾

أي جعلت فيه روحاً. ²⁹⁶ وهذا من شأنه أن يفتح للدلالة مهاد الامتداد ²⁹⁷. ونافذة الامتداد الدلالي هي أنّه ما دام خلق الإنسان وتصويره يندرج ضمن قانون الخلق والوجود وليس فيه للإنسان شأن فإنّ على البشريّة أن تنحت قانون الحياة والاستمرار. لذلك أمر الله الملائكة بالسجود بقوله:

²⁹¹ المرجع نفسه، الفقرة الثانية ص 450

²⁹² *المقام في الأدب العربي*، الفصل الثاني، الفقرة الأولى ص 109

²⁹³ سورة الأعراف الآية 10

²⁹⁴ سورة ص الآية 71

²⁹⁵ أبو علي الفضل بن حسن الطبري، *مجمع البيان في تفسير القرآن*، الجزء الثالث، طبعة جديدة مصححة منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت

لبنان ص 19

﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ أو قوله ﴿ فَسَجَدُوا لَهُ سَخِرِينَ ﴾

فالسُّجُود معقود تنفيذه على الإنسان. والتنفيذ هنا فوق طابع الوُجُوب الذي يتحكّم فيه. وقتها يتمخّض السؤال: هل يقدر الإنسان على الإيفاء برسالة الخلق التي بسبب منها يبني أفضلية وجده في الوجود؟ وعلى الجملة فإن التكرار بالخلف الذي شهدته الجملة التي ذكرناها أنفاً كان للدلالة على السجود وتطبيق أمر الله. مهمّة تعني أنبل المعاني بها تتبلور أنسنة الوجود البشري. نقصد المثال الرفيع الذي يجعل بريق العقل يتوهج ليدفع بسُلطان الإنسان إلى الظفر بحضرة الملائكة. على هذا الأساس خلق الإنسان وفيه فراغ عميق وهذا الفراغ من شأنه أن يجعل كيانه موجداً بالقوة. فما السبيل إلى ملأ هذا الفراغ؟ إن السبيل إلى ملأ هذا الفراغ هو توجيه الإنسان من قبل خالقه. لهذا قال تعالى مُتوخياً أسلوب الأمر:

﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ أو قوله أيضاً ﴿ فَسَجَدُوا لَهُ سَخِرِينَ ﴾

فلا ريب أن أسلوب الأمر الذي تكرّر بطريقة تخالفية، هو دعوة الإنسان إلى ملأ ذلك الفراغ بما يصير به وجوده وجوداً بالفعل. ومن ثمة كان التكرار الاختلافي ضمن هذا الإطار من أجل فهم الكينونة الإنسانية. ومن نافل القول أن الإنسان إذا ما وعى بتعطّل الفكرة الإيديولوجية التي خامرت ذهنه في البدء، يسعى جاهداً إلى تعويضها بنقيضها. ولا سبيل إلى ذلك عدا الفكر الموضوعي الواعي.²⁹⁸ وآية الفكر الواعي هو الذي تنبئته من خلال ضرب آخر من التكرار الاختلافي الذي لحق الجمل وهو: "التكرار الاختلافي للجملة مع توسل المخلوق لخالقه". يقول تعالى:

﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ ۖ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾²⁹⁹
 ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾³⁰⁰
 ﴿ أَحْتَبِبُهُ رَبُّهُ ۗ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾³⁰¹

فلا محيص من أن نلاحظ أن المعنى الإجمالي للشاهد الأوّل والثاني والثالث هو توبة آدم وقبول الله توبته ، بيد أن الصيغة التعبيرية للجملة تكرّرت بصورة اختلافية. ففي قوله :

﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ← الخطاب يعود على الله.

﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ ← الخطاب يعود على الله.

²⁹⁶ المرجع نفسه ص 132
²⁹⁷ إن مصطلح الامتداد أو نافذة الامتداد استعمله محمد بن عياد في كتابه *المقام في الأدب العربي*، الفصل الثاني الفقرة الثانية ص 109
²⁹⁸ يذهب محمد بن عياد في حديثه عن الفكر الإيديولوجي المنقوص إلى القول: "ينقاد الفكر الإيديولوجي المنقوص إلى الاكتساح العاطفي الجامع. فهو يُحاول أن يوطّن نفسه ويُقنعها بأنّ التفسير الذي يُقدّمه من وجهة نظر مصلحية هو الأصلح والأبقى" *المقام في الأدب العربي*، فصل النص في علاقته بالتلفظ، الفقرة الأولى ص 131
²⁹⁹ سورة البقرة الآية 36
³⁰⁰ سورة الأعراف الآية 22
³⁰¹ سورة طه الآية 119

فالشاهد الأول الثالث وردا في صورة عامة. لذلك جاء الشاهد الثاني للتخصيص. وتوضح ذلك بما يلي:

﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ ما هي هذه الكلمات؟ سؤالان نجد إجابتهما في
 ﴿ آجِبْتَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ كيف كان ذلك؟ الشاهد الثاني:

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

ومهما يكن من أمر فإن مكن الدلالة في ما نحن إزاءه تتضح لنا بفضل أزمنة صيغة ثلاثة

نستشفها من خلال الأفعال من ذلك:

(تلقى، تاب) ← صيغة الماضي.

(تغفر لنا، ترحمنا) ← صيغة الحاضر.

(انكونن من الخاسرين) ← صيغة المستقبل.

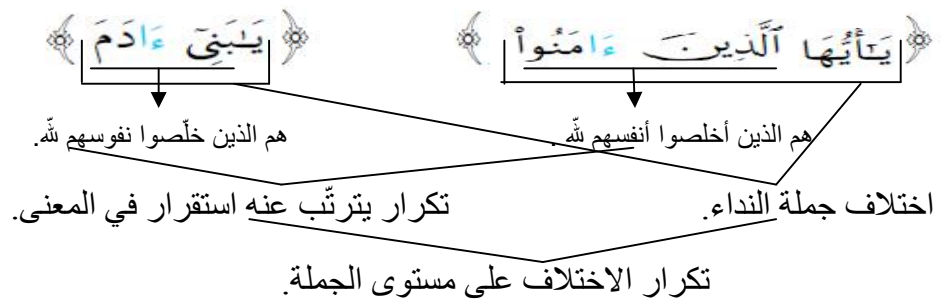
ومن ثمة كان خطاب القصة الإبليسية المكررة في الخطاب القرآني بمثابة العلم الذي تم تحصيله في الماضي ولما ضيعه "آدم" وأحسّ بخسارته لمكانته ومكانه، سعى إلى الندم في الحال مُلتَمِسًا المغفرة والرحمة. لذلك كان الحاضر حاضرا من خلال المُشيرَات الفعلية [نسبة إلى الأفعال [Les (déictiques verbales) من قبيل (ترحمنا، تغفر لنا). وما المغفرة هذه والرحمة تلك إلا من أجل الحُصولِ على ثمرة تُكون ذخرا لآدم أو للإنسان عامة مستقبلا أو يوم الحساب. لهذا يخشى آدم أن يكون من الخاسرين ، وهذا ميرر آخر به فسّرنا حضور الصيغة المستقبلية التي اتضحت لنا من خلال (لنكونن من الخاسرين).

وعلى هذا النحو تكررت الجملة الواحدة وفيها توّسل المخلوق لخالقه بطرقٍ مختلفة للدلالة على أنّ اقتراف الذنب سُم مهلك و أنّ رحمة الله لا ينفصل عنها أمل. ممّا يعني أنّ إرادة الانتهاض للتدارك جائزة كيفما كان الذنب.³⁰² ونشير ضمن هذا الإطار إلى أنّ إعلان "آدم" عن التوبة تجاوز إقناعه فكرا وطمأنينته نفسا، ليكون نتيجة خسارته أرقى الآماكن وفقدانه لجيرة الله وتزعزع مكانته وتزعزع مكانه وخدش صورته.³⁰³ هذا ونجد ضربا تكراريا آخر شهدته الجملة وهو: "التكرار الاختلافي على مستوى الجملة مع التلقين والتبرير". من ذلك يقول تعالى:

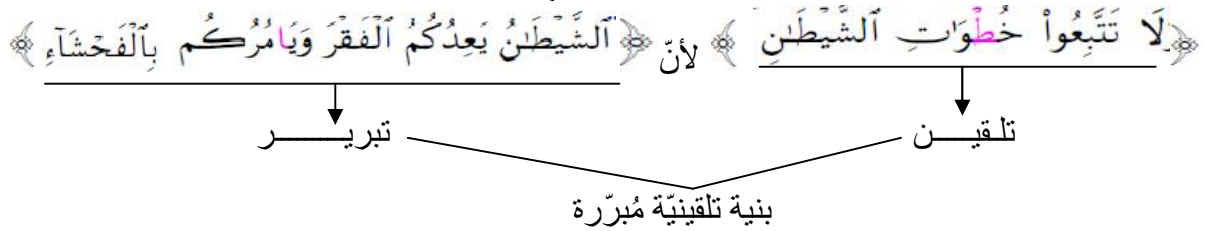
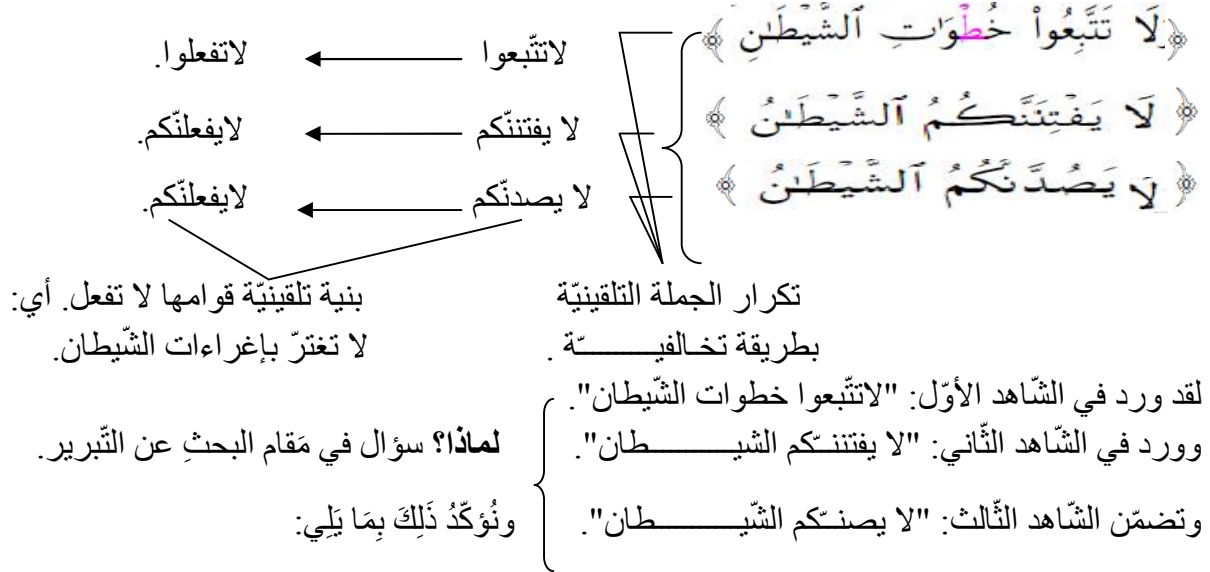
³⁰² الفخر الرّازي "التفسير الكبير ومفاتيح الغيب" المُجلّد الثّاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. الفقرة الثّانية ص 21
³⁰³ ذهب مُحمّد بن عياد أثناء حديثه عن أهل فريش "بأنّ إيمانهم بالرسالة كاتما جاء نتيجة خسارتهم العسكرية لا نتيجة إقناعهم فكرا واطمئنانهم نفسا" والرّأي عندنا أنّ الصورة نفسها تنعكس على توبة "آدم" لذلك ذهبنا إلى القول بأنّ توبته والتماس المغفرة من خالقه جاء نتيجة خسارته لمكانته ومكانه. انظر "المقام في الأدب العربي" فصل، النص في علاقته بالكون، عُنصر التجريد الغيبي، الفقرة الأولى ص 178

- ﴿يَتَائِبَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آذَلُوا فِي السَّلْمِ كَأَقَّةٍ وَلَا تَتَّبِعُوا 304
 ﴿حَطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ...﴾
 ﴿يَلْبَسِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَهُمَا﴾ 305
 ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿ 306﴾

فما يمكن ملاحظته هو أن الخطاب في الشواهد الثلاثة موجّه إلى طائفة دون أخرى ونعني بها المؤمنين. فقد ناداهم الله تارة ب: (الذين آمنوا) وتارة أخرى: (يا بني آدم) وطورا كانوا مؤولين تأويل تقدير في محل مفعول به. وهذه علامة أولى من علامات التكرار التخالفي على مستوى جملة النداء. وآية ذلك:



وأما قوام البنية التلقينية فينبجس لنا من خلال قوله تعالى:



304 سورة البقرة، الآيات 206 - 267
 305 سورة الأعراف، الآية 26
 306 سورة الزخرف، الآية 62

﴿ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ لَأَنَّهُ ﴿ أَخْرَجَ أَبْوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ﴾

لماذا حذرنا الله من فتنة الشيطان؟

الجواب والتبرير: لأنه:

﴿ لَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ فما سرّ هذا التحذير؟ التبرير، لأنّ الشيطان: ﴿ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

بنية تلقينية.

تبرير البنية التلقينية.

فإبليس في المنظومة الاجتماعية المتعارف عليها لم يكن ولن يكون أهلاً للإيمان. وبسبب من ذلك جاء خطاب القصة الإبلية ثراً بأوصاف صيرت إبليس في مكانة وضعية من قبيل: (إنه لكم عدو مبين) ولعلّ التكرار الاختلافي الذي شهدته الجملة انفتح على دلالة التجريم والتكفير³⁰⁷. كما في قوله تعالى:

﴿ بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ﴾³⁰⁸

3 - دلالة الاختلاف على مستوى السياق:

ليس المنزغ الكلي المتعلق بمعرفة الخصائص النوعية التي تتمتع بها القصة الأدبية مقتصرًا على استخراج خصائصها الداخلية (Interne) فحسب، إنّما يعود مصدر هذا المنزغ الكلي كذلك إلى خصائصها الخارجية (Externe). أي إدراجها في سياقات معنية ومعيّنة. ومن ثمة ينشأ نظام متماسك، يكمن مآتي تماسكه في تحديد العلاقات المنعقدة بين النص والسياق. لذلك يذهب "فان ديك" إلى القول: "للإجابة على السؤال المتعلق بمعرفة الخصائص النوعية التي تزخر بها النصوص الأدبية بوسعنا أن نتساءل عن الخصائص التي تُتعتُّ بها النصوص الأساسية وننظر في الخصائص الخارجية بدل استخراج الخصائص الداخلية. أي التركيز على الشروط التي تخضع لها النصوص ضمن سياقات محدّدة مع تحديد العلاقات القائمة بين بنية النص (Structure de texte) والسياق.³⁰⁹ ومما لا شك فيه أنّ القصة الواحدة ليست رهينة سياق أوحده. وحسبنا في ذلك أنّ القصة الإبلية المكررة في الخطاب القرآني قد توفرت على سياقات شتى تراوحت بين الألف والخلف. وبما أنه سبق وأن أشرنا إلى السياقات التحالفية وتدبرنا دلالاتها. فإننا نسعى بعد ذلك إلى استجلاء دلالة الاختلافات السياقية التي "تنفتح على أفاق رحبية من التأويل لا تتوقف". كما في المنطق البيروني- عند حدّ إلاّ ذلك الذي تقتضيه العادة..."³¹⁰ وبناء على ما تقدّم عدنا إلى القصة الإبلية المكررة في الخطاب القرآني فوجدنا ضروباً جمّة من السياقات الاختلافية من بينها: السياق التداولي: (Le contexte pragmatique)

³⁰⁷ انظر المقام في الأدب العربي، فصل النص في علاقته بالكون الفقرة الأولى ص 178

³⁰⁸ سورة الأعراف، الآية 26

³⁰⁹ فان ديك: introduction élémentaires à la science du texte, Structure et fonction: Le texte ص 63.

³¹⁰ محمد بن عياد، من كتابه المقام في الأدب العربي ص 159.

ولا نقصرُ همتنا هنا على دراسة الملفوظات اللغوية (Les énoncés du langage) فحسب وإنما أيضا على استخراج دلالة السياق التداولي المُكرّر بكيفية اختلافية. ومن هنا سنبحثُ في الدلالة القائمة على تأويل الآي القرآنية الحافلة بالتكرار التخالفي على مستوى السياق التداولي. ناهيك أن هذا الضرب السياقي قوامه سلسلة الأفعال الكلامية.³¹¹ ونستدلّ على ذلك من خلال قوله تعالى:

﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾³¹²

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾³¹³

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَنَادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾³¹⁴

﴿ ثُمَّ لَّا يَتَّبِعُهُمُ فَنٌ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾³¹⁵

فما يُمكنُ ملاحظتهُ هو أن الأفعال الكلامية المُمتدّة على أربعة شواهد قرآنية منسوبة إلى فاعل واحد هو الشيطان الذي يتوعّد تارة من خلال قوله:

﴿ لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾³¹² ويُقسم تارة أخرى كما في الشاهد الثاني:

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾³¹³ ويسأل حيناً كما في قوله:

﴿ قَالَ يَنَادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾³¹⁴

ويهدّد حيناً آخر كما ورد ذلك في الشاهد الرابع:

﴿ ثُمَّ لَّا يَتَّبِعُهُمُ فَنٌ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾³¹⁵

وهكذا فإنّ القسم والوعد والسؤال والنّهي هي فروع لأصل واحد هو السياق التداولي. نعني أن هذا السياق تكرر في أكثر من مرّة وفي أكثر من موضع بكيفية مختلفة. وضمن هذا الإطار يرى "أوشان

³¹¹ السياق والنص الشعري ص 82.

³¹² سورة الأعراف، الآية 15.

³¹³ سورة ص، الآية 81.

³¹⁴ سورة طه، الآية 117.

³¹⁵ سورة الأعراف، الآية 16.

آية علي " أن الوعود والتعهدات والأسئلة والتأكيدات والأوامر أمثلة عن الأفعال الكلامية المكونة للسياق التداولي.³¹⁶ ولتوضيح ذلك رأينا أنه من الجدوى القيام بجدولي بعنوان:

القول كفعلٍ كلامي من خلال السياق التداولي

العامِلُ المُكوِّنُ للسياقِ التداولي	الفعلُ الكلامي المُؤسِّسُ للسياقِ التداولي	الآيَةُ القُرْآنِيَّةُ
إنَّ العامل في تشكيل السياق التداولي في هذا الشاهد القرآني هو الشيء المُفضَّلُ لمُستعمل اللُّغة. نقصدُ الشيء الذي يرى فيه إبليس المُتلفظُ الكيفيَّةَ المُناسبة التي بها ينحتُّ أفضليَّةً وجودِه بعدما خسر مكانه في الجنَّة ومكانته في حضرة الملائكة.	الفعلُ الكلامي المُنبثق عن هذا القول هو الوعد والتوعد . فالمتلفظ [إبليس] ضمن هذا السياق يتوجَّه بالخطاب إلى الله وهو يتوعدُّ بأنَّه سيكوِّن بالمرصادٍ لعباده ويحوِّل دونهم الصراط المُستقيم.	
إنَّ الرغبة في التَّحدي والبحث عن تعويض خُلبِ المكان هي من أبرز العوامل الباعثة على نشأة السياق التداولي. فإبليس يُدركُ تمام الإدراك أنَّه خسر أرقى الأماكن وهو جنَّة الآخرة. فماذا هو فاعل إذن؟ حزم أمره مُقسماً أنَّه سيغوي الجميع حتى يتساوى وإياهم عملاً ومالاً. ومن ثمَّة فالعامل الذي تدبَّره إبليس يُعالجُ قيمة ضائعة بل يُشوِّه قيمة منشودة. ³¹⁷	الفعلُ الكلامي الذي حقَّقه هذا القول هو القسم . فالقائلُ ضمن هذا الإطار هو إبليس. يُقسِمُ بعزَّة المولى بأنَّه سيغوي عباد الله أجمعين. ومن هذا الموقع يكوِّن إبليس قد أنجز قوَّة كلاميَّة من خلال الفعل الكلامي. فالمتلفظ الذي يتصدَّره القسم هو قوَّة كلامية مقصودة بالقول.	
يُبيِّن لنا إبليس من خلال خطابه أنَّه صاحب معرفة. ومن هذا الموقع فإنَّ العامل المكوِّن للسياق التداولي هو المعرفة التي يمتلكها مُستعمل اللُّغة. ونقصدُ به هنا [إبليس]. الذي تحلَّى عن خطابه المعهود وهو خطاب الفاسق وتوحَّى خطاباً آخر هو خطاب	الفعلُ الكلامي الذي تحقَّق جرَّاء هذا القول هو السؤال [هل أدلِّك؟] فالمنشئ للفعل الكلامي ونعني به إبليس توجَّه بالمتلفظ إلى آدم سائلاً إيَّاه إن كان يطمح إلى المُلكِ والخُلدِ. هذا من جهة ظاهر الخطاب، أمَّا من جهة باطن الخطاب، فالسؤال هو فعل	

³¹⁶ السِّياق والنَّصُّ الشَّعري ص 82.

³¹⁷ انظر مُحَمَّد بن عِيَاد في حديثه عن الالتزام الجُزئي المصلحي في كتابه *المقام في الأدب العربي* ص 121.

<p>النَّاسِكِ. فقد برز في صورة الدليل المُساعد الذي يعرف ما لا يعرفهُ المُخَاطَبُ بُغية تحقيق مقصد أنوي ذاتي مصلحي قوامه أن يتساوى إبليس مع آدم في ارتكاب الخطيئة ضدَّ الله.</p>	<p>كلامي مُدبّر من أجل معايير قصديّة وغرضيّة وتوجيهيّة مفادها: الإطاحة بآدم ليخسر مكانه ويفقد مكانته عند المولى.³¹⁸</p>	<p>﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدْرَكَكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾</p>
<p>إنَّ العاملَ المُكوّنَ للسياق التداولي من خلال هذا الشاهد هو العلاقة الإيديولوجيّة المُنعقدة بين المُتلقِّظِ والمُتلقِّظِ عنهم. أي بين إبليس وعباد الله. فهناك تضارب علائقي مفاده تعميق هوة التّضاد الإيديولوجي بين الشّاكرين لنعمة الله وبين إبليس الذي يُهدّد بمنعهم عن هذا.</p>	<p>إنَّ الفعلَ الكلامي المُؤسّس للسياق التداولي في هذا الشاهد هو التّهديد. فالمتلقِّظُ وهو إبليس يهدّد بأنّه سيكوّن صدا منيعا يحول دون الله وعباده. ومن هذا المنطلق كان الاستعمال المُكثّف لمقولة الجهة من ذلك [بين أيديهم ، عن أيّمانهم، عن شمائلهم...] فالتّهديد بما هو فعل كلامي نهض على المُفاخرة الدّاتيّة.</p>	<p>﴿ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾</p>

وعلى هذا الأساس اتّضح لنا تكرار السياق التداولي بتقنية اختلافية. فقد تنوّعت الأفعال الكلامية والعوامل المُساهمة في تكوّن السياق التداولي. ودلالة ذلك كلّها، إبراز عداوة الشيطان. فلا محيص من أن نلاحظ أنّ الخطاب القرآني من خلال القصة الإبليسيّة فيه تكرّر السياق التداولي بالخلف للدلالة على المُغالطة الإبليسيّة، ذلك أنّ إبليس ضمن هذا السياق التداولي جعل ذاته محور القول في حلّه وترحاله كأن يقول : [لأقعدنّ لهم...، لأغوينهم، لأيتيئهم...] ومن ثمة نصّبت الذات الإبليسية نفسها قادرة على التّحفيز الاجتماعي (La motivation sociale) ³¹⁹

والجديرُ بالملاحظة ضمن هذا السياق أنّ إبليس يُجوّز الإدراك لذاته. ونعني بالتجويز الإدراكي من هذا الموقع الإقناع وسداد الرّأي. وبهذه الإشارة نجد أنفسنا وجها لوجه مع ضربٍ ثانٍ من التكرار السياقي بتقنية الاختلاف وهو: السياق الإدراكي: (Le contexte cogntif) الذي يرتكز على المُكتسبات المعرفيّة التي يحظى بها المُخاطَبُ داخل النّص. ونشيرُ كذلك إلى أنّ السياق الإدراكي ذو طابع دائري (Caractère cyclique) فالفكرة الإيديولوجيّة المُدرّكة تنتهي من حيثُ تبدأ. ³²⁰ يقولُ تعالى:

³¹⁸ الفعل الكلامي الأصلي أن يُوصف كالأفعال بوجه عام بواسطة معايير قصديّة وتوجيهيّة حتّى لو لم تكن الأفعال الفرديّة مشروطة على الحقيقة بتلك المعايير اشتراطاً فردياً. أنظر النّص والسيّاق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي. ص 264.

³¹⁹ نقصد بالتّحفيز الاجتماعي أنّ المُتلقِّظ يظهر لنا في هيئة القادر الوائق المُستوثق من إمكانيّاته على التّغيير الإيديولوجي للأفراد. ومن ثمة فإنّ الأفعال الكلامية كالتّهديد والوعد والقسم هي مُحفّرات بواسطتها يتحقّق التّحفيز الاجتماعي. أنظر المقام في الأدب العربي ص 127.

³²⁰ السيّاق والنّص الشعري ص ص 84 - 85.

﴿ قَالَ يَتَابِلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾³²¹
 ﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمِإٍ مَسْنُونٍ ﴾³²¹
 ﴿ قَالَ يَتَابِلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّ أَشْتَكِبْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ
 الْعَالِينَ ﴾³²² ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾³²²
 ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ
 خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾³²³

فإبليس من خلال هذه الآيات القرآنية يظهر لنا أنه يدرك حقيقة العناصر الكونية وحقيقة ما يمكن فعله. ومن هذا المنطلق تكرر السياق الإدراكي اختلافاً والوجه في ذلك أن الشيء الذي تكرر هو الموضوع النصي. ومن هنا تكرر البنية الإدراكية في إطارها العام.³²⁴ والأمثلة المئوية توضح ذلك:

سؤال الخالق للمخلوق إبليس: سؤال مُكرّر بصيغة اختلافية.
 وعلى الرغم من ذلك إلا أن الموضوع ظل ثابتاً لا متحولاً. وهو
 لم لم تسجد لأدم يا إبليس؟ ومن هنا فإن ما يدركه إبليس هو الذي
 يُفصّل عنه من خلال إجابته وهي:

﴿ قَالَ يَتَابِلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾³²¹
 ﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمِإٍ مَسْنُونٍ ﴾³²¹
 ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾³²²
 تكرار السياق الإدراكي بالخلف: سياق
 الفهم الإبلسي ينتهي من حيث يبدأ: سياق الفهم ذو

طابع دوري (Cyclique)

فما دلالة التكرار الاختلافي الذي انبنى عليه السياق الإدراكي؟ إن دلالة هذا التكرار الاختلافي على مستوى السياق الإدراكي تتمثل في تبيان مكر الشيطان واستعلائه وعداوته من خلال سعيه إلى إحداث فارقٍ مديدٍ بينه وبين الإنسان المرموز إليه برمزية آدم. ومناطق الدلالة في ذلك كله أن السياق الإدراكي بتكراره الاختلافي أوضح لنا إغراق الجانب الإدراكي - المنبثق عن تفكير إبليس - في المركزية الوهمية [أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين] . ولكي لا نغرق في هذه المركزية

³²¹ سورة الحجر، الآيتان 42-43.

³²² سورة ص الآيتان 74-75.

³²³ سورة الأعراف، الآية 11.

³²⁴ تلعب البنية الكبرى دوراً رئيسياً في المعالجة الإدراكية لأحد النصوص فالمشخّط أو القارئ أو الكاتب لا يستطيع أن يركز النص ذاته كلمة كلمة أو جملة جملة. لأنه لا يستطيع أن يتذكر أهم موضوعات هذا النص. لأن البنية العامة هي التي تقهر النسيان. أنظر مثلاً السياق والنص الشعري ص 84.

الوهمية كرّر لنا الخطاب القرآني الجانب الإدراكي الرابض في عمق العقلية الإبلية، حتى نتأمل هذا المخزون الإيديولوجي المأبوس ونتصّفح أقوالا تتأى بكلّ. لهذا علينا أن نشيّد تفاصيلنا ينفى توأصلاً بيننا وبينها. ونرى الانقطاعات التي نبتعدُ بها عن هذه الفلسفة الإبلية المشيدة بالقرّ والخلب والمنشدة إلى التفكير القلب تنسفُ جسور التواصل معها.

ولعلّ دلالة تكرار السياق الإدراكي بطرق عديدة تحكمها تقنية الاختلاف إلى جانب ما ذكرنا. هي أنّ الخطاب القرآني في قصة إبليس يُحدّرنا من الوُفوع في فخّ الاستدراج الإبلية. وبذلك يُطلّعنا الخطاب القرآني من خلال تكرار السياق الإدراكي على كيفية تضامن القول والفكر الإبلية للزج بالإنسان في مركزية الوهم التي ينتهي مألها بالذي لا يُحمد عقباه. وضمن هذا الإطار قيل: " مُخادعات الأقوالِ تفوّم مقام مُخادعات الأفعال، والكلام فيها وإن تضمّن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط، بل الغرض ذكر ما تضمّنه من استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم..."³²⁵ وكلّ هذا في جملة يرسو بنا عند ضرب سياقي آخر وهو: السياق الثقافي (Le contexte culturel)

فلا يخفى على نظر المتخصّص في القصة الإبلية المكررة في الخطاب القرآني أن يُلاحظ اختلاف البنية الثقافية التي تتغيّر من فاعل إلى آخر. وضمن هذا السياق الثقافي غالباً ما يكون التعبير مُنشأ لقضايا مُعيّنة للتعبير عن علاقات تداولية بين أفعال كلامية. لذلك يقول 'أوشان آيت علي' " في إطار السياق الثقافي يبدو من المهمّ الربط بين مختلف المستويات في التحليل النصّي. فغالباً ما تكون العلاقات تعبيراً عن قضايا مُعيّنة أو عن علاقات تداولية بين أفعال كلامية".³²⁶ ومن آيات ذلك:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾³²⁷

﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِءَ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾³²⁸

﴿ فَدَلَّهِمَا يَبْغُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَ بَدَتْ لَهُمَا سُوءُ بَهِمَا وَطَفِقَا يَخْصِفْنَ عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ ... ﴾³²⁹

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾³³⁰

فالجدير بالملاحظة أنّ الشاهد الأول والثاني مسوران بسياق ثقافي يحكمه خصب فكري.³³¹ فلا يخفى أنّ الجانب الثقافي الواعي لدى "آدم" أتاح له التفكير في الخروج من أسر خطيئته. وقد كان سبيلُهُ إلى ذلك الملاذ إلى خالقه. وأهمّ رتبة في هذا الملاذ هو طلب العفو. ومما لا شكّ فيه أنّ دلالة تكرار هذا

³²⁵ ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، الجزء الثاني، تقديم وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طباعة الطبعة الثانية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر. ص 250.

³²⁶ السياق والنص الشعري ص 88.

³²⁷ سورة الأعراف، الآية 22.

³²⁸ سورة البقرة، الآية 36.

³²⁹ سورة الأعراف، الآية 21.

³³⁰ سورة الحشر، الآية 16.

³³¹ الخصب الفكري هو ضديد الجذب الفكري ونحن نعني بهذا المركب النعتي [الخصب الفكري] الواعي الذاتي بأهمية الموضوع. أنظر مثلاً الرهان الترجماتي، فصل الفواعل في إبراهيم الكاتب، عنصر الجانب الثقافي. ص 122.

السياق الثقافي تتمثل في أنّ إنتاج أطروحة طلب العفو والمغفرة نتيجة الوعي بارتكاب الخطأ، يعني وعي آدم بأنّ مركز الجاذبيّة والطريق الحقّ لا تُرسم معالمه بتوجيهات إبليس. بل إنّ الظفر بأفضليّة ما يُمكن أن يكون عليه وجدنا هو اتّباع أوامر الله والتقيد بنواهيه. لهذا تكرر السياق الثقافي في سورة الأعراف وسورة البقرة وما سواهما بصيغة اختلافية لئذكرنا بهذا الوعي ويُرسخ فينا هذا المبدأ بهذا المنحى التعبيري أو بآخر.

وتُشير بعد هذا إلى أنّ الشاهد الثالث والرابع اللذان أنتجتُهُما العقليّة الإبلisiّة المُدلجة بسياق ثقافي يحكُمهما جذب فكري بما هو عدل للجذب الثقافي.³³² ومما لا شكّ فيه أنّ السياق الثقافي الحافل بكلّ هذه المُقومات المُشار إليها أنفا قد تكرر بصورة اختلافية. وإنّ نحنُ بحثنا في دلالة هذا. فإنّ الرّأي عندنا، أنّ الخطاب القرآني من خلال تقنية الاختلاف على مستوى السياق الثقافي كان للدلالة على أنّ ما يدعُو إليه إبليس هي مضامين تُحيطُ بالأشياء أي المُغريات الإبلisiّة كما في قوله:

﴿يَتَادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾³³³

والمقصود بالمعاني في هذا المُقام هي التّجليات الماديّة للعقليّة الإبلisiّة. ونتبيّن ذلك من خلال الآية:

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾³³⁴

وعلى هذا الأساس جاء الخطاب القرآني في القصة الإبلisiّة حافلا بالتكرار الاختلافي للسياق الثقافي، لئُحذّرنا من الإيديولوجيا المُأبسة (l'idiologie diabolique) الناتجة عن التّفكير الإبليسي بما هي أفكار محورها إغراء وأساسها من خواء. فنحنُ على شبه يقين أنّ دلالة تكرار هذا السياق الثقافي هي أفكار تبلغ مصلحة أنية أو أنوية ضيقة.³³⁵ وبذلك فإنّ التثاقفيّة الإبلisiّة هدفها الأقصى هو الحفاظ على وضع مصلي ضيق بالمفهوم الإيديولوجي.³³⁶ وسواء تعلق تكرار السياق الثقافي الاختلافي بالخصب الفكري (La richesse de pensée) أو بالجذب الفكري (La pauvreté de pensée) فإنّ لذلك دلالة تنهّل من معنيين. أولهما اسئثار آدم بالعفو لصالحه من خلال الالتماس الغيبي. وثانيهما، هي ما تقتضيه الضرورة المصلحيّة.³³⁷

³³² الزمان الترجذاتي ص 122.

³³³ سورة طه، الآية 117.

³³⁴ سورة الحشر، الآية 16.

³³⁵ المقام في الأدب العربي، ص 156.

³³⁶ المرجع نفسه، والصفحة عينها.

³³⁷ الضرورة المصلحيّة هي سلبية الحاجة التي تتطلّبها ظروفُ معيّنة. وهي قيمة إيديولوجية مُرتبنة بمقاصد مُحددة.

أنظر المقام في الأدب العربي، ص 174.

خاتمة الفصل الرابع

إنَّ التَّكرار الاختلافِي في جميع مُستوياتِهِ التي أشرنا إليها لَهُ طابع تعليمي. إذ يجمَع بين طُرُقٍ شتّى وصيغٍ عدّة. ومع كُلِّ صيغة وفي كُلِّ طريقةٍ، يُرينا مُغامرة إبليس ومُناوَرَتِهِ في صُلْبِ مُحَاوَرَتِهِ مع آدم. ممّا يعني أنّ هُنَاكَ مُغامرة ورهَان، وَعَلَيْنَا نَحْنُ معشَرَ البشر أن نضعَ في الحُسبانِ بأنَّ هُنَاكَ ربحٌ وخُسرانٌ بالمفهومِ المَالِي لا بالمفهومِ التَّجَارِي. وخليقٌ بنا أن نُشيرَ ضمنَ هذا الإطارِ إلى أَنَّهُ ما إِمْلَالٌ أَضحى التَّكرارُ الاختلافِي على مُستوى اللَّفظ والجُملة والسيّاق، ولا تشويقاً كان. بله هو تأكيدٌ بتعابيرٍ مُختلفة. تعابيرٍ قِوامُها: إيّاكَ من إِملاءاتِ النَّفسِ الأَمارة بالسَّوءِ ففِيهَا هَلَاكٌ، واحذر الإِغراءاتِ وإن كان فِيهَا الخصبُ، فإنَّها في جميعِ نواحيها وفي كُلِّ مناحيها خُلبٌ قَلْبٌ كالسَّرابِ فاتنٌ.

والحقُّ أنّ بحثنا في دلالة التَّكرار الاختلافِي " ليس إنشاءً اعتباطياً وإنّما هو بنية فكريّة " ³³⁸. قامت على عُنصر مُزاوجة صريحة بين التكرار من ناحية، والاختلاف من ناحية أُخرى. على ذلك نقول: إنّ التَّكرار الاختلافِي هو تعبير عن تصرفات تتكرّر عند الإنسان في الوجود. ألم يتكرّر خطأ الإنسان في الكون؟ أليس التماسُ المغفرة من الله يُكونُ مراراً وتكراراً؟ ألا يُمكنُ عدّ هذا الضَّرب من الالتماس تعبيرٌ عن أشياءٍ مُختلفةٍ، من قبيلِ تَأْيِيبِ الضَّمير والتَّنَبُّهِ إلى ارتكابِ الخطأ والبحث عن أفضليةٍ وُجُوديةٍ وما سِوى ذلك؟ وهكذا فإنَّ البحثَ في دلالة التَّكرار بالخُلفِ كان كفيلاً بأن يُنمّي الوعي الجمعي. ومن ثَمّة يَتِمَكَّنُ الفكر الواعي بفضل الصَّيغَةِ التَّكراريّةِ هذه أو الصَّيغَةِ التَّكراريّةِ تلك من معرفة النَّفسِ وسِرِّ أغوارِها واستنصاء كينونتها واستشراقِ مُمكناتِ وُجُودِها هذا فضلاً عن تقييم أحوالها " ³³⁹.

وبناء على ما أشرنا آفأ، غدت القصة الإِبليسيّة مرجع الوجود وهي بذلك تكفّ أن تُكونَ موضوعاً للوجود. ³⁴⁰ وغيرُ خافٍ أنّ بحثنا في دلالة التَّكرار الاختلافِي لم يُلمَّ بكُلِّ الانفتاحات الدلالية. فكلّ ما صنعناه إنّما هو مُقارِبة دلالية أضائاً فيها جانباً منهجياً. ولعلّ عدم وُقُوفنا على دلالة بعينها " هو حُلمٌ جميلٌ من أجله تستمرُّ مُغامرةُ التَّأويل " على حدِّ عبارة أميرطو إيَّكُو! ومثُل ذلك دلالات لا يُخالِطُها منطقُ الصِّدق ولا منطقُ الكذب، بل هي دلالات تنطوي على أنّ الظَّفَر بأفضلية الوجود، منطق يخضعُ لثنائية الإفلاح والإخفاق. فليس مُتأخراً لأيّ كان من معشر البشر أن يفعلَ ما يشاء. لأنَّ وجاهة فعل الشَّيء وكذلك وجاهة القول تخضعُ للسُّننِ الثقافي والاجتماعي المُتعارفِ عليه. ³⁴¹ ومثُل هذه السُّننِ خالفها إبليس فعَل ما شاء. إنّهُ خُروجٌ عن الجماعةِ والوعي الجمعي. وارتياحٌ لِدروبٍ لم يدخلها أحدٌ؟ وأين من ذاك الكبر؟ هو قاتن العُرف الإِبليسي وشرعيته اللذان أوهما إبليس بالكبرياء فكانَ مألُة الرّجم والفناء.

³³⁸ نبية السرد في القصص الصوفي: المُكوّنات والوظائف والتّقنيات، ص 171.

³³⁹ مسالك التَّأويل السيميائي ص 46.

³⁴⁰ المرجع نفسه، الفقرة الثَّانية، ص 47.

³⁴¹ انظر المقام في الأدب العربي، ص 164.

خاتمة المطاف

أقدمنا على إنجاز هذا البحثِ تحذونا رغبة في تحسُّس طبيعة الجدل القائم بين أحادية الحدث واختلاف الروايات في قصة إبليس المُكرّرة في الخطّاب القرآني. وتوخّينا لبُلوغ الغاية تلك تصميمًا رباعي الرّكن يتخذ مما يميّز القصة الإبلّيسية تقنيا ووظائفيا، ومما يميّز التكرار ألفا وخلفا. ماربًا إلى مقصدنا العلمي من بحثنا المُعنون بـ: "تكرار القصص في القرآن: قصة إبليس أنموذجًا". فمزجنا بين الخبر والخطّاب في تقنيات هذه القصة المُكرّرة وبين أحادية الحدث واختلاف رواياتها، فالدّلالة وتكرار الائتلاف، فالدّلالة وتكرار الاختلاف.

وتقتضي منا منهجية عملنا ألا نقف على النتائج الفرعية وقد أسلمنا البحث إلى خاتمته. فذلك ممّا سبق وأن أشرنا إليه في خاتمة كلّ فصل من الفصول الأربعة التي تُكوّن عناصر التصميم في مفاصله الكبرى. إنّما يرتقي همنا إلى معرفة اختلاف الأشكال التعبيرية في ظلّ أحادية الشيء المحكي. ونريد أن نحسم القول في أن يكون خطاب القصة الإبلّيسية من زاوية إنشائية صرفة قد قصد أداء الألفاظ وأداء المعنى معا أو هل أنّ الأمر كان خلاف ذلك.

فلا يخفى عن نظر الفاحص في مُدونة بحثنا من أن يُلاحظ ضربين من التكرار. ونقصدُ بهما تكرار التّحالف وتكرار التّخالف. فهما حينًا مُنسجمان معا جنبًا إلى جنبٍ من غير ضميمٍ ولا تنغيص لغاية تحقيق الجانب القصصي في قصة إبليس. وحينًا آخرَ يبتعدُ إحداهما عن الآخر لأنّ التّحالف ليس هو التّخالف بل لا يمتّ إليه بصلة. فإذا كان تكرار الخبر، خبر آدم وخطيئته وخبر إبليس وتمردّه على خالقه، وخبر إبليس ووسوسته لآدم وما سواه من الأخبار التي جدّت في التاريخ. فإنّ الخطّاب القرآني في القصة الإبلّيسية من خلال تقنية تكرار الخبر، لم يكن مدارُ انهماجه تعليم الناس التاريخ ولا شيئًا من أحداثه. إنّما قصد المعاني الأدبية البلاغية لاستثارة الوعي.³⁴²

وآية ذلك كُله أنّ الخطّاب القرآني في القصة الإبلّيسية المُكرّرة إنّما هو خطّاب يُفهم في كُليته ولا يُفهم في جُزئيه. فما دامت القصة واحدة و الخطاب كذلك، فإنّ الخطّاب تظافري بالأساس. إذّاك يجمع بين تحقيق الفكرة الواحدة وتاصيلها ضمنَ مُحيطها القصصي الأنسب.³⁴³ وإذا ما عدنا إلى سياق مُدونتنا التي حفّت بها روايات كُثر، وجدنا أنّ الفكرة الواحدة هي تلك المُتمثلة في أنّ إبليس بأقواله وأفعاله غدا أمره حِيال معشر البشر موضوع لعنٍ تتلفّظ به الألسن كُلمًا خطر ببالٍ في كلّ مقامٍ ومقالٍ.

³⁴² الفن القصصي في القرآن الكريم، ص 449.

³⁴³ جدلية القصة والشعر، ص 354.

وهكذا فإن هذه الخاصية التظافرية تُتيح لنا مُبرر للقول بأن خِطاب القصة الإبلِيسِيَّة لم يقصد أداء الألفاظ بأعينها، إنّما قصد ذكر المعاني. ذلك أن الألفاظ إذا ما تمت بكيفية اختلافية وأفادت المعنى المقصود ذاته، كان انتلافها واختلافها سيان.³⁴⁴ نقصد أن إحياءات الألفاظ أو "المعاني الثانية" على حدّ عبارة البيانين، ووقعها النَّفسي هو الأمر المقصود في بحثنا هذا. وهو المقصد ذاته الذي سور الجانب الفني في بناء وتركيب قصة إبليس التي اشتغلنا عليها. وعلى هذا الأساس فإن الخاصية التظافرية في قصة إبليس هي التي جعلت الجانب القصصي في شكله البنائي مؤهلاً لاستضافة تقنية التكرار ومستوعباً للانتلاف والاختلاف فيه. فلا محيص من أن نُقر بأن للتكرار المؤتلف والتكرار المختلف من أسباب الانصهار ما يُمكن إحداهما من التعامل مع الآخر تعاملًا ببناءً. فلا يفقد أحدهما قيمته ولا الثاني خصائصه المميزة. إنّه لقاء ترحيب ترحيب تكرر الانتلاف بتكرار الاختلاف، أو استعاب التكرار المختلف للتكرار المؤتلف. والقاعدة في ذلك هي أن التكرار إذا أدى المعنى المقصود، كان انتلافه واختلافه سواء.

وإذا كان هذا ديدن نتيجة توصلنا إليها في بحثنا، فإن في هذا الأوان يُنوط بكاهلنا سؤال قوامه: إذا كان تكرر الانتلاف وتكرار الاختلاف سواء - من جهة تأدية المعنى. فلماذا لم نجعلهما معا بدل أن نُفرد لكل منهما فصل مُستقل بذاته؟ نُشير ضمن هذا الإطار أننا لا نخال أنفسنا قادرين على فك العصمة بين تكرر الانتلاف وتكرار الاختلاف لأن قصصي قصة إبليس لا يتحقق إلا بتظافرهما معا. بيد أن ما حفزنا على أن نُخصّص لكل من تكرر الانتلاف وتكرار الاختلاف فصل على حدة هو البحث في الدلالة. دلالة تكرر التآلف على مستوى اللفظ والجُملة والسياق. ودلالة تكرر التخالف على مستوى هذه الأضرب.

لقد خلنا أن دلالة التكرار المختلف تختلف عن دلالة التكرار المؤتلف كما عهدنا ذلك في المدونة النثرية القديمة والحديثة. غير أننا لم نجد ذلك كذلك في قصة إبليس المُكررة في الخطاب القرآني. فغاية ما نجد هو تغيير الصيغة التعبيرية التكرارية مع المحافظة على جوهر الموضوع المُتحدث فيه. لذا جاء التكرار بأضربه هذه مُجمعة: حكمة وإقرارا. فالشيء إذا تكرر تفرّز. فلا يخفى أن التكرار إنتلافاً كان أو إختلافاً، يزخر بالأوامر والنواهي ويُرسخ في وعينا وإحساسنا وعظا مُباشرا يعتمد التّريغيب والتّرهيب أو الإرشاد الربّاني المبني على أسلوب التلقين في شقيه الإثباتي والنفي المُمتمل في "افعل ولا تفعل" قصد تكوين وتكرير بني آدم، وترهيبهم من اتّخاذ الشيطان ولياً. هذا فضلا عن قيمة الإنسان في الوجود وعلاقته مع ربه.

هكذا يضمحلّ الفارق بين التكرار الانتلافي والتكرار الاختلافي، وعلى جدار هذا الفارق تتحطم آيات التّباعد بين تكرر الألف وتكرار الخلف. فإذا نحن بين هذا وذاك نطلب قواماً. ومما لا شك فيه أن مقام القول في قصة إبليس له كبير مساهمة في عقد الصلة بين تكرر التخالف وتكرار التخالف. آية ذلك

³⁴⁴ الفن القصصي في القرآن الكريم، ص 450.

أنّ مُنشئ الخطاب القرآني واحد هو الله وحسبُك. فما يُسلمُ به التكرار المؤتلف يَبُوحُ به التكرار المُختلف. وحرِيّ بنا أن نُشير كذلك إلى أنّ للحقيقة دورها الفعّال في توحيد الدلالة المُتمخّضة عن ضروب التكرار التي أشرنا إليها آنفا. فإذا كان تكرر الانتلاف على مُستوى اللفظ يطفحُ حقيقة، وإذا كان التكرار الانتلافي على مُستوى الجملة يرشحُ واقعيّة، وإذا كان تكرر التحالف على مُستوى السياق مسيحا بالحقيقة، فإنّ تكرر الاختلاف على مُستوى هذه الأضرب هو أيضا كذلك. ذلك أنّ اللفظ والجملة والسياق بهذه الصيغ التكرارية أو تلك، كلّها مُستويات تُراهِنُ من جهة الدلالة على استئثار المرء وحمله على الانفعال والتأثر، بغية إقناعه بتولية وجهه شطر الطريق الحق. وبعد، هل بوسعنا أن نتحدّث عن تصادم حقيقي بين تكرر المُستويات المؤتلفة والمُستويات المُختلفة في القصة الإبلِيسِيّة؟ أجل يا قارئ لقد خِلنا ذلك كذلك لسببٍ بسيط هو أنّ التحالف ضديد التخالّف. لكن لا ينبغي أن نُسلمَ بذلك كثيرا لأنّ التآخي بين هذا وذاك يسيرٌ قريبٌ ممكّنٌ إذا ما توقّرت عدّة شروط أبرزها على الإطلاق: طبيعة السياق المقامي الذي تنتزلُ فيه القصة والكيفيّة التي بها تتمثّل قصصيّة القصة وثبات الدلالة المترتّبة عن الضرب التكراري التخالفي وضديده التخالفي.

ومن ثمة فإنّ التّقنية التكرارية في قصة إبليس مُختلفة عن غيرها من القصص المألوفة طويلة كانت أو قصيرة. فما من قارئ ذي أناة إلا وهو يُشاطرنا الرأْي في ما نحنُ إليه ذاهِبون. فلسنا نعهدُ قطّ في المدوّنة السردية العربية القديمة والحديثة تكرر قصة بعينها، بل غاية ما نجدُه نُصوص تتضمّن قصصا من غير طينة القصة الأصليّة. على أنّه من الأهميّة بمكان أن نشيرَ إلى أنّ تكرر قصة بعينها في الخطاب القرآني لم يكن خاصيّة انفردت بها قصة إبليس فحسب، بل كثيرا ما حفلَ الخطاب القرآني بتكرار قصص متنوّعة لها سياقاتها الخاصّة التي تنزلت ضمنها. من ذلك قصة لوط وقصة موسى وقصة عاد وثمود وما سِوى ذلك. ونحنُ هنا لا نُطيلُ الحديث كثيرا، لأنّ أفاق بحثنا لا تسعُ هذا الموضوع الذي يحدّونا شوقا ويُغرينا بالبحث في ضروب المُقارنة بين هذه القصص.

والحق أنّ طرافة بحثنا وهو "تكرار القصص في القرآن: قصة إبليس أنموذجا" تتمثّل في أنّ قصة إبليس المُكرّرة في الخطاب القرآني لئن كانت قصة من النّوع الغيبي تُبرزُ رذيلة الشيطان وتُحدّرنا من عداوتِهِ، وهو ما يتفوّق عليه كثيرٌ من الدّارسين. فإننا بدلنا قُصارنا على ألا تكون هذه الوجهة الإيتيقية الأخلاقيّة مقصدنا الأسّ. على ذلك اقتصرت غايئنا على تأويل الظاهرة القصصيّة في قصة إبليس وما تحمله من إشارات دلالية تكرارية.

وخليقٌ بنا أن نُشيرَ إلى أنّ البحث في تقنيّة التكرار القصصي في الخطاب القرآني من خلال أنموذج هو قصة إبليس، هو بحثٌ لا يزالُ مغموّرا ينتظرُ من يُخرجه من الديجور إلى النور. فأغلب الدّراسات التي خُصّصت لهذه القصة كانت رهينة التفسيرات المُقرّنة بالإسرائيليات و"مُكبّلة بالتأويلات

المبنية على مفاهيمها" على حدّ تعبير "مُحمّد أحمد خلف الله". ومُجمل القول، لقد استجابت القصة الإبليسيّة المُكرّرة في الخطّاب القرآني للدراسة المنهاجية الحديثة. وحسبنا في ذلك ما استعنا به من منهج تُلَقّظي وتداولي وسيميائي وتأويلي. وعلى الرّغم من أنّ هذه القصة التي اشتغلنا عليها هي قصة من النّوع الغيبي، إلّا أنّها أسلمت لنا قيادها. فأخضعت لمقتضى الحكمة والعقدة بالمفهوم السّردي المُتعارفِ عليه في علم السّرديات. فلئن كانت الحكمة في منطق السّرديات تُعيد إنتاج عناصر المرجع الواقعي، فإنّ قصة إبليس انبنت على مواد معروفة ومشهورة ومُتداولة في البيئة العربية.³⁴⁵ ومن ثمة لم تتأبّ هذه القصة على الامتثال لهذا الرّبط.

وخليقاً بنا أن نُشيرَ إلى أنّنا على يقينٍ بأنّنا لا نستطيعُ ان نُوفّي هذا البحث حقّه من التّحليل من خلال بحثٍ واحدٍ كهذا الذي أنجزنا. ورجاؤنا بعد هذا كلّهُ أن تتقّى بحثنا بحوثٌ أخرى تُساهم في تحقيق الإضافة العلميّة حول تكرار القصص في القرآن لإخراج هذه التّقنية التي يزخرُ بها الخطّاب القرآني من دائرة النسيان إلى دائرة التذكّر والتفكّر.

وبالإجمالِ يبقى أملنا وطيدا في أن نُكونَ قد أسهمنا - بعملنا البسيط المُتواضع في مُجمله - في تحسّس الظّاهرة التكرارية القصصيّة في الخطّاب القرآني من خلال قصة إبليس. أملين أن نُكونَ قد نبّهنا إلى طرّافة هذا البحث. فعلّنا بهذا الصّنيع نُوحى إلى من سيأتي بعدنا من الدّارسين بعقد صفتي المُلاحة والمُحاجة ورُكوب هذه المُغامرة. فأقصى الذي نُحاولُ هو أن تُكونَ بينَ المعارفِ وشائجٍ قُربى. فلا نحن ندّعي امتلاك المعرفة وفي الآن ذاته لا ينبغي أن نترك أفكار الآخرين تستحوذُ علينا حتّى لا تمتلئ حُلوقنا مرارة جرّاء قول الزّاعمينَ هذا غيرُ ذاك، فلم يدع هذا لذاك شيئا. فأجعل من تكرار القصص في الخطّاب القرآني نهلا مُستفيضا وحسبُك.

³⁴⁵ لمزيد التوسّع أنظر الفنّ القصصي في القرآن الكريم، ص 256.

ملحق في الآي القرآنية المعتمدة

❖ سورة البقرة :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْۤا اِلَّاۤ اِبٰلِيسَ اَبٰى وَاَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ ﴿۱۷﴾
 وَقُلْنَا يٰۤاٰدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا
 هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُوْنَا مِنَ الظَّٰلِمِيْنَ ﴿۱۸﴾ فَارْتٰلَهُمَا الشَّيْطٰنُ عَنَّا فَاخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا
 فِيْهِ وَقُلْنَا اَهْبِطُوْا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتٰعٌ اِلٰى حِيْنٍ ﴿۱۹﴾
 فَتَلَقٰٓىۤ اٰدَمُ مِنْ رَّبِّهٖۤ كَلِمٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ اِنَّهٗ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ﴿۲۰﴾
 يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اَدْخُلُوْا فِي السَّلٰمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوْا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ اِنَّهٗ
 لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ ﴿۲۱﴾ الشَّيْطٰنُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَاْمُرُكُمْ
 بِالْفَحْشَآءِ وَاللّٰهُ يَعِدُكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللّٰهُ وٰسِعٌ عَلِيْمٌ ﴿۲۲﴾ ﴾

❖ سورة آل عمران :

﴿ اِنَّمَا ذٰلِكُمْ الشَّيْطٰنُ يُخَوِّفُ اَوْلِيَآءَهٗ فَلَا تَخَافُوْهُمْ وَخَافُوْنِ اِنْ كُنْتُمْ
 مُّؤْمِنِيْنَ ﴿۱۷۵﴾ ﴾
 ❖ سورة الأنعام :

﴿ وَمِنَ الْاٰتَعَمِرِ حَمُوٰلَةً وَّفَرَسًا كَلُوْا مِمَّا رَزَقَكُمْ
 اللّٰهُ وَلَا تَتَّبِعُوْا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ اِنَّهٗ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ ﴿۱۳۱﴾ ﴾
 ❖ سورة الأعراف :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْۤا اِلَّاۤ اِبٰلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّٰجِدِيْنَ ﴿۱۷﴾
 قَالَ مَا مَنَعَكَ اَلَّا تَسْجُدَ اِذْ اَمَرْتُكَ قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِيْ مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ
 طِيْنٍ ﴿۱۸﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُوْنُ لَكَ اَنْ تَتَّكِبَ فِيْهَا فَاخْرَجْ اِنَّكَ مِنَ الصّٰغِرِيْنَ
 ﴿۱۹﴾ قَالَ اَنْظِرْنِيْ اِلٰى يَوْمٍ يُبْعَثُوْنَ ﴿۲۰﴾ قَالَ اِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِيْنَ ﴿۲۱﴾ قَالَ فَبِمَا اَغْوَيْتَنِيْ
 لِاُقْعِدَنَّ لَهُمْ سِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيْمَ ﴿۲۲﴾ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ اَيْدِيْهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ
 اَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ اَكْثَرَهُمْ شٰكِرِيْنَ ﴿۲۳﴾ قَالَ اَخْرَجْ مِنْهَا مَذٰءِمْ وَا
 مَذٰحِرًا لِّمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَآ مَلَآئِنَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ اَجْمَعِيْنَ ﴿۲۴﴾ وَيَقٰدِمُ اسْكُنْ اَنْتَ
 وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُوْنَا مِنَ الظَّٰلِمِيْنَ
 ﴿۲۵﴾ فَوَسَّوَسَ لَّهُمَا الشَّيْطٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سُوْءِۤ اٰتِيْهِمَا وَقَالَ مَا
 نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَن هٰذِهِ الشَّجَرَةِ اِلَّا اَنْ تَكُوْنَا مَلٰٓئِكَةً اَوْ تَكُوْنَا مِنَ الْخٰلِدِيْنَ ﴿۲۶﴾
 وَقَاسَمَهُمَا اِنِّيْ لَكُمَا لَمِنَ النَّٰصِحِيْنَ ﴿۲۷﴾ فَدَلٰٓهُمَا بِغُرُوْرِ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ
 بَدَتْ لَهُمَا سُوْءُۤ اٰتِيْهِمَا وَطَفِيفًا خٰصِفٰنِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادٰٓهُمَا رَبُّهُمَا اَلَمْ
 اَنْهٰكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَاَقُلْ لَّكُمَا اِنَّ الشَّيْطٰنَ لَكُمْ اَعَدُوٌّ مُّبِيْنٌ ﴿۲۸﴾
 قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا اَنْفُسَنَا وَاِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ ﴿۲۹﴾ قَالَ
 اَهْبِطُوْا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتٰعٌ اِلٰى حِيْنٍ ﴿۳۰﴾ ﴾

يَنْبَى **ءَادَمَ** لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا **سُوءَاتِهِمَا** إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ **وَإِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾

❖ سورة الحجر :

﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ **أَعْمُونَ** ﴿١٦﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ **أَبَى** أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ يَتَّبِعُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ **لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ** مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿١٩﴾ قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢١﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢٣﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ **أَجْمَعِينَ** ﴿٢٥﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٢٨﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ **أَجْمَعِينَ** ﴿٢٩﴾ ﴿٣٠﴾

❖ سورة النحل :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٦١﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦٢﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾

❖ سورة الكهف :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ؕ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ **بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا** ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾

❖ سورة طه :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ **أَبَى** ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا يَتَّخِذُكُمْ مِنْكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿٣٦﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿٣٧﴾ وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿٣٨﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُكُمْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴿٣٩﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا **سُوءَاتُهُمَا** وَطَفِقَا يَخْصِفُنِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقٍ الْجَنَّةِ وَعَصَى **ءَادَمُ رَبَّهُ** فَغَوَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ أَجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿٤١﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴿٤٢﴾ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿٤٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ **أَعْمَى** ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾

❖ سورة فاطر :

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُرْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا **إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾

❖ سُورَةُ ص :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّیْ خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِیْنٍ ﴿۱﴾
 فَاِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيْهِ مِنْ رُّوْحِیْ فَقَعُوْا لَهٗۤمْ سٰجِدِیْنَ ﴿۲﴾ فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ
 كُلُّهُمۡۙ اِغْمَعُوْنَ ﴿۳﴾ اِلَّا اِبْلِیْسَ اَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِیْنَ
 ﴿۴﴾ قَالَ یٰۤاِبْلِیْسُ مَا مَنَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِیَدَیْؕ اَسْتَكْبَرْتَ اَمْ كُنْتَ مِنَ
 الْعٰلِیْنَ ﴿۵﴾ قَالَ اَنَا خَیْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِیْ مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِیْنٍ ﴿۶﴾ قَالَ فَاخْرِجْ
 مِنْهَا فَاِنَّكَ رَجِیْمٌ ﴿۷﴾ وَاِنَّ عَلَیْكَ لَعْنَتِیْ اِلٰی یَوْمِ الدِّیْنِ ﴿۸﴾ قَالَ رَبِّ فَاَنْظِرْنِیْ اِلٰی یَوْمِ
 یُّبْعَثُوْنَ ﴿۹﴾ قَالَ فَاِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِیْنَ ﴿۱۰﴾ اِلٰی یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوْمِ ﴿۱۱﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
 لَا اَعُوْیْنُهُمْۙ اِغْمَعِیْنَ ﴿۱۲﴾ اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِیْنَ ﴿۱۳﴾
 قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ اَقُوْلُ لَا اَمْلَاَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْۙ اِغْمَعِیْنَ ﴿۱۴﴾ ﴾

❖ سُورَةُ الزَّخْرَفِ :

﴿ وَلَا یُضِدُّكُمْ الشَّیْطٰنُ اِنَّهٗ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِیْنٌ ﴿۱﴾ ﴾

❖ سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ :

﴿ اَسْتَحُوْذَ عَلَیْهِمُ الشَّیْطٰنُ فَاَنْسِبْ لَهُمْ ذِكْرَ اللّٰهِ اُولٰٓئِكَ حِزْبُ الشَّیْطٰنِ اِلَّا اِنْ حِزْبَ
 الشَّیْطٰنِ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ ﴿۱﴾ ﴾

❖ سُورَةُ الْحَشْرِ :

﴿ كَمَثَلِ الشَّیْطٰنِ اِذْ قَالَ لِاٰنْسِیْنَ اَكْفُرُوْا فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ اِنِّیْ بَرِیءٌ مِّنْكَ اِنِّیْ
 اَخَافُ اللّٰهَ رَبَّ الْعٰلَمِیْنَ ﴿۱﴾ ﴾

مسرد المصطلحات

الترتيب العربي:

(أ)

Conjonction (La).....	الاتصال
Désaccord (Le).....	الاختلاف
Justification différentielle (La).....	الاختلال التبريري
Pouvoir (Le).....	الاستطاعة
Digression (La).....	الاستطراد
Exorde (L').....	الاستهلال
Manière.....	أسلوب
Arbitraire (L).....	الاعتباطية
Actes de parole (Les).....	الأعمال الكلامية
Proposition (La).....	الاقتراح
Extase (L').....	الانتشاء
Disjonction (La).....	الانفصال
Idiologie diabolique (L').....	الإيديولوجيا المأبسة
Manipulation (La).....	الايعاز
Démonstration (La).....	البراهين

(ب)

Preuve (La).....	البُرْهَانُ
Suffisamment.....	بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ
Structure de texte (La).....	بِنْيَةُ النَّصِّ
Vers (Le).....	الْبَيْتُ الشَّعْرِي

(ت)

Acte perlocution (L').....	التَّأْتِيرُ بِالْقَوْلِ
Interprétation (L').....	التَّأْوِيلُ
Focalisation (La).....	التَّبْنِيرُ
Focalisation externe (La).....	التَّبْنِيرُ الْخَارِجِي
Focalisation interne (La).....	التَّبْنِيرُ الدَّاخِلِي
Focalisation zéro (La).....	التَّبْنِيرُ الصَّفْرِي
Motivation sociale (La).....	التَّحْفِيزُ الْاجْتِمَاعِي
Analyse de la narratologie (L').....	التَّحْلِيلُ السَّرْدِي
Transformation (La).....	التَّحْوِيلُ
Rappel (Le).....	التَّذْكَيرُ
Narration (La).....	التَّسْرِيدُ
Enchaînement des actes de langage dans le discours.....	تَسْلُسُلُ أَعْمَالِ اللُّغَةِ فِي الْخَطَابِ

Similitude de convenance (La).....	تشابه التلاؤم
Sanction (La).....	التصديق
Evolution (L').....	التطور
Equivalence (L').....	التكافؤ
Récurrence (La).....	التكرار
Enonciation (L').....	التلفظ
Enonciation didactique (L').....	تلفظ تعليمي
Occurrence (L').....	التوارد

(ج)

Pauvreté de pensée (La).....	الجدب الفكري
Phrase (La).....	الجُملة

(ح)

Arguments (Les).....	الحُجج
Événement (L')	الحَدث
Conte (Le).....	الحكاية
Raconté (Le).....	الحكي
Dialogue (Le).....	الجوار

(خ)

Péroration (La).....	خاتمة الكلام
Extériorité (L').....	الخارجانية
Externe (L').....	الخارجية
Extraordinaire (L').....	الخارق _ العجيب
Nouvelle (La).....	الخبر
Fable.....	خُرافة
Richesse de pensé (La).....	الغصب الفكري
Discours (Le).....	الخطاب

(د)

Interne (L').....	الداخلية
Réfutation (La).....	الدحض
Intériorité (L').....	الدخلانية
Etude argumentatif (L').....	الدراسة الحجاجية

(ر)

Acte de réaction	رد الفعل
Roman (Le).....	الرواية

(س)

Répétitif (Le).....	السرد الإعادي
Singulatif (Le).....	السرد الإفرادي
Itératif (L).....	السرد التكراري
Sommaire (Le).....	السردُ المُجملُ
Surface (La).....	السطح
Contexte (Le).....	السياق
Contexte cognitif (Le).....	السياق الإدراكي
Contexte pragmatique (Le).....	السياق التداولي
Contexte culturel (Le).....	السياق الثقافي
Contextualité (La).....	السياق النصي
Contexte comportemental.....	سياق سلوكي
Contexte expositif.....	سياق عرضي
Sémiotique de l'interprétation (La)	السيمائيات التأويلية

(ش)

Diable (Le).....	الشيطان
------------------	---------

(ط)

Incitatif.....	طابع تحريضي
----------------	-------------

Caractère cyclique (Le)..... طابع دائري

Phrasé de modulation..... طبقة الصوت

Anecdote..... الطُرْفَةُ

(ض)

Circonstance..... ظرف

(ع)

Monde transcendant (Le)..... العالم المتعالي

Exposé (L')..... العَرَضُ

Coutume du diable (La)..... العرف الإبلسي

Relation causal (La)..... العلاقة السببية

Terminologie (La)..... علم المُصطلحات

Acte perlocutionnaire..... عملُ التأثيرِ بالقولِ

Acte de locution..... عملُ القولِ

Acte d'ilocution (L ')..... العملُ المقصودُ بالقولِ

(غ)

Profondeur (La)..... العُورُ

Imprévue..... غير مُتوقَّع

Sans consistance..... غير مُتماسكة

(ف)

Action (L')..... الفعل

Développement aratoire (Le)..... الفعل الخطابي

(ق)

Justification contextuels (Les)..... القرائن السياقية

Récit de diable (Le)..... القصة الإليسيّة

Canal de conjonction..... قناة الاتّصال

(ك)

Compétence (La)..... الكفاءة

Compétence du diable (La)..... الكفاءة الإليسيّة

Compétence persuasive (La)..... الكفاءة الإقناعيّة

(ل)

Terme (Le)..... اللفظ

Terme extinctif (Le)..... اللفظ المُسقَطُ

Terme suspensif (Le)..... اللفظ المُعطلُّ

Rencontre (La)..... اللّقاء

(م)

Imaginaire (L').....	المُتخيل
Enonciataire (L').....	المتلفظ
Conversation (La).....	المُحادثة
Allocutaire (L').....	المُخاطب
Allocation (L').....	المُخاطبة
Référence (Le).....	المرجع
Visible (Le).....	المرئي
Invisible (L').....	اللامرئي
Processus spatiale (Le).....	المسار المكاني
Triple processus	مسار ثلاثي
Scène (La)	المشهد
Déictiques (Les).....	المُشيرات
Déictiques verbales (Les).....	المُشيرات الفعلية
Senses (Les).....	المعاني
Aventures (Les).....	المغامرات
Proche (La).....	المقاربة
Contexte d'énonciation (Le).....	المقام التلفظي
Contexte situation (Le).....	المقام الموقفي

Contexte textuel (Le)..... المَقَام النَّصِّي

Espace (L')..... المَكَانُ

Enoncés de langage (Les)..... المَلْفُوظَات اللُّغَوِيَّة

Enoncés (Les)..... المَلْفُوظَات

Enoncés d 'état..... مَلْفُوظِي حَالَة

Occasion..... مُنَاسِبَة

Exécutée (L')..... المَنْجَزُ

Rôle fonctionnelle (Le)..... المِهْمَة الوِظَائِفِيَّة

Autre dans l'être (L')..... المَوْجُود فِي الوُجُود

Confirmé..... مُؤَيَّد

(ن)

Manière didactique (Le)..... النَّمَط التَّعْلِيمِي

(و)

Unité de dénomination..... وَحْدَة تَلْقِيب

Etat changeable (L')..... الوَضْعُ المُتَحَوِّلُ

Fonction (La)..... الوِظِيفَةُ

Pause descriptif (La)..... الوَقْفَة الوِصْفِيَّة

مسرد المصطلحات

الترتيب الفرنسي

(A)

Acte d'illocution (L')	العمل المقصود بالقول
Acte de locution	عمل القول
Acte de réaction (L')	ردّ الفعل
Acte perlocution (L')	التأثير بالقول
Acte perlocutionnaire	عمل التأثير بالقول
Actes de parole (L')	الأعمال الكلامية
Action (L')	الفعل
Allocation (L')	المخاطبة
Allocataire (L')	المخاطب
Analyse narratologie (L')	التحليل السردى
Anecdote	طرفة
Arbitraire (L')	الاعتباطية
Arguments (Les)	الحجج
Aventures (Les)	المغامرات

(C)

Canal de communication	قنات تواصل
Caractère cyclique	طابع دائري
Circonstance	ظرف
Compétence (La)	الكفاءة
Compétence de diable (La)	كفاءة إبليس
Compétence persuasive (La)	الكفاءة الإقناعية
Confirmé	مؤيد
Conjonction (La)	الاتصال
Conte (Le)	الحكاية
Contexte (Le)	السياق
Contexte cognitif (Le)	السياق الإدراكي
Contexte comportatif	سياق سلوكي
Contexte contextuel (Le)	السياق النصي
Contexte culturel (Le)	السياق الثقافي
Contexte d'énonciation (Le)	المقام التلفظي
Contexte expositif	سياق عرضي
Contexte pragmatique (Le)	السياق التداولي
Contexte situationnel (Le)	المقام الموقف
Contextualité (La)	السياق النصي

Conversation (La) المُحَادِثَة

Coutume diabolique (La) العُرف الإِبْلِيسِي

(D)

Digression (La) الاستطراد

Déictiques (Les) المُشِيرَات

Déictiques verbales (Les) المُشِيرَات الفِعْلِيَّة (مُشِيرَات الأَفْعَال)

Démonstrations (Les) البَرَاهِينُ

Désaccord (Le) الإِخْتِلَاف

Développement aratoire (Le) الفِعْل الخِطَابِي

Diable (Le) الشَّيْطَان

Dialogue (Le) الجِوَار

Discours (Le) الخِطَاب

Disjonction (La) الإِنْفِصَال

(E)

Enchainement des actes des langages تَسْلِسِل أَعْمَال اللُّغَة

Unité de dénomination وَحْدَة تَلْقِيب

Enoncés (Les) المَلْفُوظَات

Enoncés d'état مَلْفُوظِي حَالَة

Enoncés du langage (Les)	المأفُوظات اللُّغوية
Enonciataire (L')	المُتلفِّظ
Enonciation (L')	التلفُّظ
Enonciation didactique (L')	التلفُّظ التَّعليمي
Equivalence (L')	التكافؤ
Espace (L')	المكان
Etat changeable (L')	حالة مُتحوِّلة
Etre dans l'existence (L')	الموجود في الوجود
Etude argumentatif (L')	الدِّراسة الجِجائية
Événement (L')	الحَدث
Evolution (L')	التطوُّر
Exécutée (L')	المُنجز
Exorde (L')	الاستِهلال
Exposé (L')	العرض
Extase (L')	الانتِشاء
Extériorité (L')	الخارجانية
Externe (L')	الخارجية
Extraordinaire (L')	الخارق – العجيب

(F)

Fable	خُرافة
Focalisation (La)	التبئير
Focalisation externe (La)	التبئير الخارجي
Focalisation interne (La)	التبئير الداخلي
Focalisation zéro (La)	التبئير الصفري
Fonction (La)	الوظيفة

(I)

Idiologie diabolique (L')	الإيديولوجيا المأبسة
Imaginaire (L')	المُتخيل
Imprévue	غير مُتوقع
Incitatif	طابع تحريضي
Intériorité (L')	الداخِلانية
Interne (L')	الداخلي
Interprétation (L')	التأويل
Invisible (L')	اللامرئي
Itératif (L')	السرد التكراري

(J)

Justification différentielle (La) التبرير الاختلافي

Justifications contextuels (Les) القرائن السياقية

(M)

Manière أسلوب

Manière didactique (Le) الأسلوب تعليمي

Manipulation (La) الإيعاز

Monde transendant (Le) العالم المتعالي

Motivation sociale (La) التحفيز الإجتماعي

(N)

Narration (La) التّسريد

Nouvelle (La) الخبر

(O)

Occasion مُناسبة

Occurrence (L') التّوارد

(P)

Pause descriptif (La)	الوقفه الوصفية
Péroration (La)	خاتمة الكلام
Phrase (La)	الجملة
Phrasé de modulation	طبقة الصوت
Pouvoir (Le)	الاستطاعة
Pauvreté de pensé (La)	الجذب النفسي
Preuve (La)	البرهان
Processus spatiale (Le)	المسار المكاني
Proche (La)	المقاربة
Profondeur (La)	العور
Proposition (Le)	الاقتراح

(R)

Raconté (Le)	الحكي
Rappel (Le)	التذكير
Récit diabolique (Le)	القصة الإبلية
Récurrence (La)	التكرار
Référence (Le)	المرجع
Réfutation (La)	الدحض

Rencontre (La)	اللقاء
Répétitif (Le)	الإعادي
Richesse de pensé (La)	الخصب الفكري
Relation causal (La)	العلاقة السببية
Rôle fonctionnelle (Le)	الدور الوظيفي
Roman (Le)	الرواية

(S)

Sans consistance	غير متماسكة
Scène (La)	المشهد
Sémiotique de l'interprétation (La)	السيمائية التأويلية
Sanction (La)	التصديق
Senses (Les)	المعاني
Similitude de convenance (La)	تشابه التلاوم
Singulatif (Le)	السرد الإفرادي
Sommaire (Le)	السرد المجمع
Structure de texte	بنية النص
Suffisamment	بما فيه الكفاية
Surface (La)	السطح

(T)

Terme (Le)	اللفظ
Terme extinctif (Le)	اللفظ المُسقط
Terme suspensif (Le)	اللفظ المُعطل
Terminologie (La)	علم المصطلحات
Transformation (La)	التحوّل
Triple processus (Le)	المسار الثلاثي

(V)

Vers (Le)	البيت (الشعري)
Visible (Le)	المَرئي

المصادر والمراجع

ليس للبحث الذي تخيرناه ونأمل أن يكون لنا فيه موطن قدم تنفدح عنده شرارة الإدراك الذاتي إلا مصدرا واحدا، وهو القرآن الكريم. أما مراجعه فنفسّمها إلى مجموعات مراعين بذلك طبيعة اللغة. وترتب المراجع ألفبائياً داخل كلّ مجموعة سيان أن يكون المرجع كتاباً أو مقالا ضمن كتاب وما سواه.

❖ المصدر:

اشتغلنا بالقرآن في رواية واحدة وهي:

- القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع المدني، دار الفكر، سوريا.

❖ المراجع:

1 . مراجع متصلة بالقرآن:

- الإسكافي (الخطيب) دُرّة التنزيل وعرّة التأويل، برواية أبي الفرج الأردستاني، طبعة مُصحّحة، منشورات دار الأفق الجديدة، بيروت _ لبنان.
- خلف الله (مُحمّد أحمد) *الفن القصصي في القرآن الكريم*، مؤسسة الانتشار العربي، سينا للنشر.
- الرّازي (الفخر) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- السيوطي (جلال الدين) الإتيان في علوم القرآن، طبعة مؤسسة النداء.
- الشعراوي (مُحمّد متولّي) تفسير الشعراوي، أخبار اليوم قطاع الثقافة.
- الطبري (أبو علي الفضل بن حسن) مجمع البيان في تفسير القرآن، طبعة جديدة ومُصحّحة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت _ لبنان.
- الطبري (مُحمّد بن جرير) تفسير الطبري المُسمّى جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكُتب العلميّة، بيروت _ لبنان.
- الكاشاني (الفيض) كتاب الصّافي في تفسير القرآن، تحقيق مُحسن الحسيني الأميني، الطبعة الأولى 1419 هـ، دار الكُتب الإسلاميّة، طهران _ إيران.

2 . مراجع نظرية وتطبيقية متصلة بفنّ السرديات:

أ: باللّسان العربي:

- ابن رمضان (فرج) *خصائص الشكل القصصي*، مجلّة الفكر 1997، العدد السادس.
- ابن عياد (محمّد) *الرّهان الترجديّ*، مطبعة التسفير الفنّي، صفاقس، تونس.

- ابن عيَّاد (مُحمَّد) *المقام في الأدب العربي*، مطبعة التفسير الفنّي، صفاقس.
- ابن عيَّاد (مُحمَّد) *جدلية القصة والشعر*، مطبعة التفسير الفنّي، صفاقس _ تونس.
- ابن عيَّاد (مُحمَّد) *مسالك التأويل السيميائي*، الطبعة الأولى، مطبعة التفسير الفنّي، صفاقس _ تونس.
- أوشان (آية علي) *السياق والنص الشعري*، من البنية إلى القراءة، الطبعة الأولى 1421 هـ _ 2000م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- الباردي (محمّد رجب) *إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة*، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب دمشق 2000.
- الباردي (مُحمَّد رجب) *سحر الحكاية*، الطّبعة الأولى 2004، مطبعة التفسير الفنّي، صفاقس.
- بلّا (شارل) *مقال حكاية*، دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الفرنسية الجديدة، تعريب: محمّد قوبعة _ فوزي البدوي _ الهادي بوحوش.
- البهلول (عبد الله) مقال بعنوان "*استراتيجية السكوت والاسكات في الرسائل المتبادلة بين أبي العلاء وداعي الدعاة الفاطمي*" ضمن أعمال ندوة المسكوت عنه قسم العربيّة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، أفريل 2009، مُراجعة وتقديم مُحمّد الشيباني، نوفمبر 2010.
- الجُندي (عبد الحليم) *القرآن والنهج العلمي المعاصر*، الطبعة الأولى، 1404 هـ _ 1984م، دار المعارف، القاهرة _ مصر.
- جينات (جيرار) *خطاب الحكاية*، ترجمة: محمّد معتصم - عُمر حلّي، الطبعة الثّانية 1997، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامّة للمطابع الأميريّة، المغرب.
- الحلواني (عامر) *أسلوبية الوصف والحوار*، مطبعة التفسير الفنّي، صفاقس.
- الحلواني (عامر) *جمالية الموت* الطبعة الأولى جوان 2004، مطبعة التفسير الفنّي صفاقس _ تونس.
- ديك (فان) *النص والسياق*، ترجمة عبد القادر فينيني، إفريقيا الشروق، لبنان _ بيروت.
- السويسي (صابر) مقال بعنوان "*المُعطن والمسكوت عنه*" ضمن أعمال ندوة المسكوت عنه، قسم العربيّة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، أفريل 2009، مُراجعة وتقديم مُحمّد الشيباني، نوفمبر 2010.

- صولة (عبد الله) **الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية**، منشورات كلية الآداب بمنوبة 2001.
- العزّابو (كمال) **مقاربات منهجية في المقال الأدبي**، رسالة الغفران نموذجاً، دار الميزان للنشر.
- العيادي (عبد العزيز) **إيتيقا الموت والسعادة**، الطبعة الأولى أفريل 2005، دار صامد للنشر، صفاقس _ تونس.
- نقرة (التّهامي) **سيكولوجيا القصة في القرآن**، الشركة التونسية للتوزيع 1971.
- الهمّامي (عبد الرزّاق) **الحكاية والتأويل**، أطروحة دكتوراه بإشراف حسين الواد، جامعة تونس الأولى، كلية الآداب بمنوبة، جوان 1999.

ب : بالّلسان الفرنسي.

- A.J. (Greimas) : **Sémantique structurale**, recherche de méthode, Edition, librairie Larousse 1966.
- Benveniste (Emile) : **Problèmes de linguistique générale** ,2 , Edition Gallimard 1974.
- Genette (Gerard) : **Figure III**, Edition Seuil, Cères 1972.
- J.L.Austine : **Quand dire c'est faire** , Edition Seuil pour la version française 1970.
- Katrin kerbrate (Orechioni) : **L'énonciation de la subjectivité dans la language**. Edition librairie Armand Colin Paris 1980.
- Rivara (René) : **La mangue du récit introduction à la narratologie énonciative** . Edition L'Harmattan, rue de l'école – polytechnique.

3. مراجع نظرية وتطبيقية متصلة بفنّ الشعرية:

- ابن جعفر (قدامة) **نقد الشعر**، تحقيق وتعليق مُحمّد عبد المُنعم خفّاجي، دار الكُتب العلميّة، بيروت – لبنان.

- الطرابلسي (محمد الهادي) *خصائص الأسلوب في الشوقيات*، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1981.
- العلوي (احمد بن طباطبا) *عيار الشعر*، تحقيق وتعليق محمد زغول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر.

4. مراجع تطبيقية متصلة بفنّ اللغة:

- عاشور (المنصف) *بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية*، جامعة تونس الأولى ، منشورات كلية الآداب بمنوبة 1991.
- عبد الواحد صالح (بهجت) *الإعراب المفصل لكتاب الله المرثّل*، الطبعة الأولى 1414 هـ _ 1993 م دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان _ الأردن.
- عبيد (حاتم) *وظائف التكرار في القرآن*، شهادة الدراسات المعمّقة، إشراف محمد الهادي الطرابلسي، 1997.

5. المعاجم والقواميس والموسوعات:

أ . باللّسان العربي:

- دائرة المعارف الإسلاميّة، الطبعة الأولى 1418 هـ _ 1998 م، مركز الشارقة للإبداع الفكري.
- قاموس الهادي إلى لغة العرب، الكرمي (حسن سعيد)، الطبعة الأولى 1411 هـ _ 1991 م، دار الطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعُلوم، التهانوي (محمد علي)، تحقيق علي دحروج، سلسلة موسوعات المصطلحات العربيّة والإسلاميّة، مكتبة لبنان، ناشرون.
- لسان العرب، ابن منظور (جمال الدين) تحقيق عبد الله الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة ، مصر.
- المعجم المفصّل في الأدب، التتوخي (محمد)، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان.
- المعجم المفصّل في اللغة والأدب، لبديع يعقوب (إميل) وعاصي (ميشال)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- المعجم الوسيط، تأليف لجنة من الباحثين، الطبعة الثانية 1393 هـ - 1973 م، دار إحياء التراث العربي.

ب . باللّسان الفرنسي:

- A.Rey et J.Reydebove : *Le petit Robert. Edition entièrement revue et emplifiée du petit Robert 1993.*

- A.Rey : Le Robert, dictionnaire historique de la langue française. Edition Paris 1992.
- Alain Rey : Le grand robert , dictionnaire de la langue française tome VI, dixième edition. Edition Manterial, Canada, 1992.
- André Laland : Vocabulaire technique et critique de la philosophie. Edition boulevard saint Germain Paris 1996.
- J.Dubois : Dictionnaire de linguistique. Edition librairie Larousse 1973.
- J.Greimas et J.Cortés, Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage. Edition Hachette livre 1993.
- Josef hanse : nouveau dictionnaire des difficultés du français moderne. Edition Duclot, Paris Gembloux 1987.
- O.Ducrot et T.Todorov : Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. Edition Seuil 1972.
- Paul-Emile Littré : Dictionnaire de la langue française. Edition réalisée dans les ateliers de Partenaires livre.
- Pierre varrod : Le robert d'aujourd'hui. Edition Christine Ehm ,Roselyne Messenger, Marie Hélène tournard.
- Serge Cacaly : Dictionnaire de l'information. Edition Armand colin, Paris 2004.

المُوجز

خارجة عن الصفّ بلا ريب القصة الإبليسيّة المُكرّرة في الخطّاب القرآني. فهي التّأليفِ مورّدنا لأوّلًا لإحتوائها على السرد العبقري المعجز. وهي مصدرنا آخرًا، نعودُ إليها لاستيعابِ بنيتها التّقينيّة ومن ثمة نستقصي أفضليّة الوجود. فسّر الخلق في هذه القصة من أين يُؤتى؟ إن سرّ الصّنع في ذات المصنوع. فالتكرارُ فيها ليسَ وابلٌ ظلٌّ إنّما ظلٌّ وابلٌ. وقد اتّخذت غزارته من المدّ انتِلافًا ومن الجزرِ اختلافًا. وتكرارُ قصة إبليس في الخطّاب القرآني ليسَ منه في المدونة السردية العربية القديمة والحديثة شيء. فتقنية التكرار القصصي في القرآن من خلال أنموذج هو قصة إبليس، هي تقنيّة جديدة من رحم القصة الإبليسيّة وليدة. جعلت النسيج القصصي يعلو بالقصة علوًا ويحمّلُ متنها معنى ودلالة. فإذا بالقصة الإبليسيّة لا مُتعة حكي يُبتغى به لتسليّة النفوس. بل هي كلام جدّ مرام، باطنه يرشحُ بالعظّات الحسام. قصة إن تدبرناها أبهتتنا ضروبُ فيها من الأحداث العجّاب. أحداثٌ بين حقيقة ودلالة، بين مبنى ومعنى. أبطالها الكائنات سائرُها الإنس والملائكة وإبليس. أمّا العناصر الكونية فيها فهي الشجرة مألّ آدم أغرته، والطين أو الحمأ المسنون، والنارُ عنصرُ به إبليس يُفأجرُ. تلك إذن هي الخليقة بأسرها على رُكح القصة تتحرّك، تُؤدّي أدوارها وتُحدّث أخبارها. أخبارٌ فيها فوّاجع جهة الوجيعة واللحمة الحيّة، ولا موجدٌ فيها ولا فاجعٌ إلّا إيانا فيما دهانا وأغوانا. فذلك من القصصي مذهبٌ ومن الفكرِ شحنةٌ ولا غاية إلّا الإنسان كلّ الإنسان. فكلّ ما أدلت به القصة الإبليسيّة هي آياتٌ من فنّ القولِ فيها صمّ من معاني الفكرِ صميم.

Le résumé

La légende diabolique répétitive dans le discours du coran est certainement merveilleuse. Elle est notre première inspiration pour les contes puisqu'elle se base sur un récit merveilleuse. Elle est aussi l'origine ou on rentre pour s'inspirer « comprendre » sa structure éducative et comprendre par la suite la superiorité de l'existence. Ainsi d'ou il arrive le secret de la création dans cette histoire ? Le secret de tel fabrication est toujours dans la fonction du fabrique. La répétition dans la légende diabolique est très fréquenté. Cette répétition à prit enfin, unrio et xiens entre la différence et la ressemblance.

D'une autre part, on ne trouve pas la récurrence de l'histoire du diable dans les œuvres narrative arabe classique ou moderne, par contre, la répétition

de cette légende est très fréquente dans le récit du coran . A partir de l'exemple de la légende du diable dans le coran. Il est clair que la technique de la répétition historique est moderne malgré qu'elle est le nouveau né de la légende diabolique. Cette technique nouvelle a créé dans l'histoire (légende) une sorte de démarche historique qui charge son contenu d'un air sémantique, et allégorique. Alors la légende n'a pas le plaisir de carmer les âmes. Cette légende est une sorte d'un message. Allégorique et saint ou le discours éducatif de la croyance est fréquent.

Alors si on analyse les actions merveilleuses qui balance entre le réalisme et l'allégorisme entre ce qui est structural et sémantique. La plupart de ces héros sont des personnes , des anges , le diable et l'arbre de destin de ADEM puisqu'elle le sublime. C'est la création toute entière qui est en état de mouvement et perturbation sur le seuil historique, fait ses rôles et raconte ses nouvelles. Des nouvelles effrayantes qui font très mal au cœur. L'effrayant et le malheureux dans cette légende n'est que la perturbation de notre croyance et la faiblesse de nos âmes.

Ans ces actes n'est un courant historique et une agglomération spirituelle, n'ont pour but que l'homme, rien que l'homme. Et tout ce qu'elle à montrer la légende diabolique n'est qu'un art de dire par un sens difficile et un esprit absolu.

The abstract

Undoubtedly, the 'story repeated' in the Quran is a unique genre. Indeed, it is a source of narration as it contains a unique narrative style. We refer to it to comprehend its structural structure. Then we inquire about the preference of existence. But where does the secret of creation in this story come from?

In fact; the secret of the story lies in the story itself. Repetition in it is not a hail of dew, rather it's a hailing dew. Its abundance takes from ebb

difference and harmony from flow. The repetition of Satan's story in the Quran does not resemble the ancient and modern Arabic narratives at all.

This technique (repetition) in the Quran through the model of Satan's story is new. It's a technique born from the womb of the story. Actually, it makes the structure transcend and loads it with meaning and significance making the Satan's story a pleasure of narration meant to entertain, but with serious words percolating with great sermons.

If we examine the story, it will astonish us with its wonderful events, structure and meaning. The heroes are all the creatures : Humans , angels, Satan , the tree that seduced ADAM and Satan boasting about the element of fire. It's all the creatures on the stage of the story moving, performing their roles and telling their news replete with calamities causing agony. It affects us only as we are its only cause. This is the story teller way of writing, taking a charge from thought and no end but man.

Satan's story presents sorts of the art of saying, where there are sound meanings stemming from the heart of thought.

الفصل الثالث

دلالة الائتلاف في تكرار قصة إبليس

53.....	المدخل المفهومي
54.....	مقدمة الفصل
55.....	1 . على مستوى اللفظ
59.....	2 . على مستوى الجملة
65.....	3 . على مستوى السياق
71.....	خاتمة الفصل

الفصل الرابع

دلالة الاختلاف في تكرار قصة إبليس

72.....	المدخل المفهومي
73.....	مقدمة الفصل
74.....	1 . على مستوى اللفظ
81.....	2 . على مستوى الجملة
85.....	3 . على مستوى السياق
92.....	خاتمة الفصل
93.....	خاتمة المطاف
97.....	ملحق في الأبي القرآنية المعتمدة
100.....	مسرد المصطلحات : الترتيب العربي
109.....	مسرد المصطلحات: الترتيب الفرنسي
118.....	المصدر والمراجع
123.....	الموجز
123.....	Le résumé
124.....	The abstract
126.....	فهرس الموضوعات

سيرة ذاتية

الاسم: فتحي

اللقب: سعدي

مولود بتاريخ 14 جانفي 1984 بمعتمدية حيدرة من ولاية القصرين وصاحب بطاقة التعريف الوطنية عدد 08593935 المستخرجة من تونس بتاريخ 4 أفريل 2010.

- متحصّل على شهادة باكالوريا آداب سنة 2006 بالمعهد الثانوي القلعة الخضباء ولاية الكاف. الجمهورية التونسية

- متحصّل على الإجازة الأساسية في اللّغة والآداب والحضارة العربية سنة 2010 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس. الجمهورية التونسية

- متحصّل على شهادة ماجستير البحث في اللّغة والآداب والحضارة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس. (الجمهورية التونسية) وكان عنوان البحث "تكرار القصص في القرآن: قصّة إبليس أنموذجاً". وقد أشرف على هذا البحث الأستاذ محمّد بن عياد، وقد أسندت إليّ ملاحظة حسن جدّا وكان ذلك سنة 2013.

- متحصل على رسالة الدكتوراه في اللغة والآداب والحضارة العربية وعنوان رسالة الدكتوراه هو "الظاهرة الطللية موقفا رثائيا: نماذج من الشعر الجاهلي". أشرف على هذا البحث الأستاذ محمّد بن عياد. وقد اسندت إليّ ملاحظة مشرف جدّا وكان ذلك سنة 2020.

وإضافة إلى ذلك أنا عضو من أعضاء مخبر البحث في المناهج التأويلية.

- شاركت في يوم دراسي عنوانه في عتبات التأويل، أسسه مخبر البحث في المناهج التأويلية انعقد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس (تونس) يوم 4 جوان 2015، بمدخلة عنوانها اعلاء الوجيف على الرجيف أو متعة العناد مع الدهر: طلل المعلّقة أنموذجاً.

- شاركت بمدخلة عنوانها: المنفى أو سؤال الوجود والعدم. في إطار يوم دراسي نظّمه قسم الإيطالية بكلية الآداب بصفاقس (تونس)

- شاركت في الندوة الدولية التي اقيمت بمدينة الحمامات سنة 2017، نظمتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفافس بمداخلة عنوانها : التدبّر الذاتي.

- شاركت في يوم دراسي يُعنى بالخيال والتراث نظمه قسم التاريخ بكلية الآداب صفاقس، اقيم بمدينة المكناسي سيدي بوزيد سنة 2014، بمداخلة عنوانها: الخيل في محفلها النصي.

- شاركت في الندوة الدولية بالجزائر جامعة عمار ثليجي (الأغواط) سنة 2015، والتي وُسمت بالأدب والسينما، بمداخلة عنوانها استخالة الأدب وأدبة الاستخالة في فيلم الرسالة.

- نشرت مقالين بمجلة علوم اللسان : جامعة عمّار ثليجي، الأغواط (الجزائر) الأول بعنوان: فنيات القصة القرآنية المكررة: قصة إبليس أنموذجاً. والثاني عنوانه: أدبة الاستخالة واستخالة المؤرخة في فيلم الرسالة. درّست بمعاهد خاصة في تونس.

- اشتغلت أستاذة متعاقدا بكلية الآداب صفاقس (الجمهورية التونسية) لمدة سنتين
2016 / 2015 - 2017 / 2016

العنوان البريدي: يتّصل بيد فتحي سعدي عند هيثم بن كريديس صاحب محل إعلامية مقابل لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفافس حي البحري (3) ولاية صفاقس 3064.

البريد الإلكتروني: fathi_saadi@outlook.fr

الهاتف الجوّال: 23908560